جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية أصول الدين

قسم العقيدة

المذاهب العقدية في الأندلس في القرن الخامس الهجري

دراسة وصفية تاريخية تحليلية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة

إعداد الطالب:

أبوعبيدة عبدالرحيم العطا محمد

إشراف الدكتور:

جمال الدين محمد علي تبيدي

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيـــــــــــة

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ
لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن
كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾

سورة النور الآية (٥٥).

الإهـــــداء

- أهدي هذا البحث إلى والـدي العزيـزين أطـال الله أعمارهمـا وبـارك في أيامهما

- وإلى أخواني وأخواتي.

- وإلى خالاتي وبالأخص الأستاذة سهير البشير محمد جبريل .

- إلى طلبة الدراسات العليا والزملاء في قسم العقيدة.

الشكـــــــر

الشكر لله تعالى أولاً وأخراً على ما تم وأنعم، وتفضل وتكرم، وأن يسير لي أسباب هذه الدراسة ومهد لي طريقها فله الحمد والمنة.

ثم أرى من الواجب عليّ الاعتراف بالجميل لأهله بأن أقدم خالص شكري وعظيم امتناني إلى أسرة جامعة أم درمان الإسلامية ممثلة في مديرها البروفيسور حسن عباس حسن وأساتذتها وموظفيها وعمالها كما أتقدم بجزيل الشكر وصادق العرفان إلى فضيلة الدكتور جمال الدين محمد علي تبيدي الذي تكرم على لي بقبول لإشراف على رسالتي هذه فكان لتوجيهاته السديدة، وإرشاداته القيمة النيرة أكبر الأثر في إعداد هذه الرسالة على هذه الصورة فجزاه الله خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين، وأمد الله في عمره لخدمة هذا الدين والدعوة إليه.

والشكر لقسم العقيدة بكلية أصول الدين .

كما أتقدم بوافر الشكر وجزيل العرفان إلى السادة رئيس وأعضاء لجنة المناقشة على ما ستفضلون به من توجيهات سديدة تغني هذه الرسالة وتوصلها إلى الوجه الأكمل إن شاء الله تعالى داعياً العلي القدير أن ينفعني بهمم وأن يحفظهم ذخراً للعلم وأهله كما لا يفوتني أن أسجل صادق شكري وخالص تقديري لكل من مد لي يد العون في انجاز بهذه الرسالة سواء كان ذلك بالنصح والإرشاد، أم بفتح أبواب مكتباتهم طوال فترة الكتابة.

فجزاهم الله عني خير الجزاء وبارك فيهم لخدمة هذا الدين العظيم

مستخلص البحث

يهدف البحث إلى دراسة المذاهب العقائدية في الأندلس في القرن الخامس الهجري وذلك لبيان العقيدة التي كانت سائدة في الأندلس .

استعرض الباحث في أطروحته المغرب والأندلس جغرافياً وتاريخياً والدول التي تعاقبت على المغرب بعد فتح الإسلام وانتقال هذه الدول إلى الأندلس وأول الطوائف في الأندلس والدول الأموية ودولة المرابطين وحالة الأندلس سياسياً وفكرياً واجتماعياً وعلمياً وتكوين الفرق العقائدية في الأندلس وتعريف بهذه الفرق وانتقالها إلى الأندلس وأسباب انهيار دولة المرابطين ، ودخول الإسلام المغرب العربي والأندلسي ، المغرب والأندلس جغرافياً وتاريخياً، الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإسلام في الأندلس والمغرب العربي.

وتناولت الدراسة أصول الفرق الإسلامية ودخولها المغرب الأندلسي، الفرق الإسلامية الكبرى، والفرق الإسلامية الموجودة في المغرب والأندلس .

واختتمت الدراسة بالنتائج والتوصيات أهمها الآتي:

النتائج:

١- سيادة المذاهب المالكي في الأندلس.

٢- ملازمة العقيدة السلفية للمذهب المالكي في الأندلس.

التوصيات:

- ضرورة دراسة الفرق الإسلامية في الأندلس بصورة أوسع.
- التوسع في دراسة أصول الفرق الإسلامية .

Abstract

The Research aims to study the Doctrines in Morisco in 5th century to explain the faith which dominate in Morisco.

The research displays in his theses the entry of Islam in Morisco and Moroco, Moroco and Morisio geographically and Historically, political social and Economical position and Islam in Morico and Moroco.

The study achwed the Islamic sects originals and it's the eatery in Morcoco Morisco, great Islamic groups, the existence Islamic sects in Moroco and Moriso.

The researcher followed the historical, deducted and analytical methods.

Eventually the study had concluded by finding the most important of it is follows:

Results:

1- The domination and supremacy of Malikism.

2- A companying of ancestral faith to Malikism in Morisco.

Recommendation:

Its necessary to study the Islamic sects in Morisco spacious messily

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى وآله وصحابته ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين أما بعد.

فإن من نعم الله على هذه الأمة أن أكمل لها الدين وأتم عليها النعمة، وما قبض رسوله إلا وقد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

قال عليه الصلاة والسلام (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي) [(١)].

فأن دراسة كتاب الله وسنه النبي ﷺ من الأمور التي تقوم العقيدة في أي مجتمع من المجتمعات لهذا كان بحثي هذا دراسة للمسار العقدي في الأندلس البقعة الثانية من بقاع العالم بعد الجزيرة العربية التي أتتها الخلافة عن طريق الأمويين.

إن الأندلس قد تم فتحها عام ٩٢هـ بقيادة طارق بن زياد الذي عبر من أفريقيا إلى أسبانيا ليلحق هزيمة ساحقة بآخر ملوك القوط الغربيين ويستولى المسلمون على قرطبة وعلى العاصمة طليطلة قد سار على أثر طارق سنة ٩٣هـ سيده ومولاه موسى بن نصير الذي استولى على مدينة سيدونيا وأشبيلية ومريدة وسرقسطة، ولم يلبث أن بلغ المسلمون جبال البرانس سنة ٩٩هـ، بعد أن طردوا فلول المسيحيين، وهكذا استقر ملك الإسلام بجزيرة الأندلس وتوطنوا فيها وعمروها حيث لاقوا كل ترحيب من أهلها.

وقد تمكن عبدالرحمن بن معاوية بن هشام، الخليفة الأموي العاشر الذي فر من العباسيين أن يؤسس أول دولة إسلامية بالأندلس عام ١٣٨هـ، وقد وصلت تلك الدولة إلى أوج سلطانها السياسي وذروة قوتها وجاهها هذا فضلاً عن نضجها الفني والفكري وعقب انهيار الدولة الإسلامية بالأندلس عام ٨٩٣هـ وسرعان ما تفككت

---

(١) أخرجه أبوداود في سننه كتاب السنة باب (٥) وفي لزوم السنة ج ١٤/٥ ح رقم (٤٦٠٧) .

الدولة الإسلامية وبلغت من الضعف والتمزق ما جعلها تتحول إلى عدد من الدويلات الصغيرة المستقلة عن بعضها سياسياً ويطلق عليها دول الطوائف. وقد استطاع المرابطون سنة ٤٨٣هـ أن يستولوا على الغرب الأقصى وبلاد الأندلس وأن يتخذ أمراؤهم لقب أمير المؤمنين.

وانتهت بذلك دول الطوائف التي قامت على أنقاض الخلافة الأموية وعاشت زهاء ستين عاماً. وقد استمر المرابطون في حكم المغرب والأندلس زهاء ستين عاماً أخرى إلى أن استولى عليها الموحدون سنة ٥٥١هـ، وتعاقب عليها فيما بعد ملوك ضعفاء وسرعان اهتز سلطات الموحدين في المغرب والأندلس وتداعت ملكهم وأنصار حكمهم سنة ٦٢٩هـ:

فقد مرت الأندلس منذ فتحها إلى سقوطها بسبعة عهود كان أولها عهد الولاة الذي استمر من سنة ٩٥-١٣٨هـ ثم تلاه عهد الأمارة الذي استمر من ١٣٨هـ إلى ٣١٦هـ ثم عهد الخلافة من ٣١٦هـ-٤٠٠هـ ثم عهد الطوائف من ٤٠٠-إلى ٤٨٤هـ ثم عهد المرابطين من ٤٨٤-٥٢٠هـ ثم عهد الموحدين ٥٤٠-٦٢٠هـ ثم مملكة غرناطة وسقوطها من ٨٩٣هـ.

وإن دراستي هذه اقتصرت على عهد المرابطين في القرن الخامس الهجري.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تكمن أهمية البحث فيما يلي:

١- أن موضوع دراسة العقيدة بوجه عام من الموضوعات التي يجب معرفتها ودراستها.

٢- أن هذه الرقعة الجغرافية لا يخفى على أحد ما واجهته من نكبات وصراعات بين المسلمين والنصارى وما أفرزته هذه الصراعات من نشؤ بعض العقائد المنحرفة في أوساط بعيدة كل البعد من مركز الخلافة الإسلامية.

٣- دراسة الدولة الإسلامية في الأندلس عما كانت عليه ثم نهايتها دروس وعبر وعظات والفرق التي كانت دارت رحاها في تلك الدولة وتوضيح ذلك.

حدود البحث الموضوعية:

تمثلت حدود هذا البحث في القرن الخامس الهجري في الأندلس.

الدراسات السابقة:

لم تكن هنالك دراسات سابقة على حسب علمي في هذا الموضوع،أعني رسالة ماجستير أو دكتوراه وإنما كتب ومراجع عامة في شتى المواضيع .

منهج البحث:

١- دراسة وصفية تحليلية.

٢- الإطلاع على مادة البحث وجمعها.

٣- الرجوع إلى المصادر الأصلية من كتب التاريخ والعقائد والتراجم واستقراء النصوص ذات الصلة بالموضوع.

٤- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصلية.

٥- توثيق معلومات البحث ورد كل قول لصحابية.

٦- التراجم للأعلام الواردة في البحث.

٧- استخلاص أهم النتائج والتوصيات التي يمكن الخروج بها من هذه الدراسة.

٨- عمل الفهارس التي تساعد في الوصول معلومات شملت في سهولة ويسر – وأن هذه الفهارس وفهرس للأحاديث النبوية – وفهرس للأعلام، وفهرس للأماكن والبلدان، وفهرس المصادر والمراجع وفهرس للموضوعات.

هيكل البحث:

وقد تكونت خطة هذا البحث من مقدمة.

الباب الأول: دخول الإسلام في المغرب العربي والأندلس

الفصل الأول: المغرب الأندلسي جغرافياً وتاريخياً

المبحث الأول: المغرب جغرافياً وتاريخياً

المطلب الأول: المغرب جغرافياً

المطلب الثاني: المغرب تاريخياً

المبحث الثاني: الأندلس جغرافياً وتاريخياً

المطلب الأول: الأندلس جغرافياً

المطلب الثاني: الأندلس تاريخياً

المطلب الثالث: صلة المغرب بالأندلس قبل الفتح العربي

الباب الأول

دخول الإسلام

في المغرب العربي والأندلس

يشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول
المغرب والأندلس جغرافياً وتاريخياً
يشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: المغرب جغرافياً وتاريخياً.

المبحث الثاني: الأندلس جغرافياً وتاريخياً.

المبحث الأول
المغرب جغرافياً وتاريخياً

يشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المغرب جغرافياً.

المطلب الثاني: المغرب تاريخياً.

المطلب الأول

المغرب جغرافياً

يقول ابن حوقل(1): فبعضه ممتد على بحر المغرب في غربيه ولهذا البحر جانبان شرقي وغربي:

أما الغربي فمن مصر وبرقة إلى أفريقيا وناحية تنس(2)، إلى سبتة(3)، وطنجة(4)، فللعرب خاصة وأزيلي(5).

أما الشرقي فهو بلد الروم من حدود الثغور الشامية إلى القسطنطينية(6)، إلى نواحي رومية(7)، وقلورية(8)، ثم باقي ذلك إلى آخره للعرب في يد أصحاب الأندلس(9).

---

(1) محمد بن علي بن حوقل النصيبي البغدادي الموصلي أبو القاسم، رحالة جغرافي كان تاجراً رحل إلى بغداد ودخل المغرب وصقلية وجانب بلاد الأندلس، توفي بعد سنة ٣٦٧هـ، من آثاره المسالك والممالك، انظر : (هدية العارفين وأسماء المؤلفين والمصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، منشورات مكتبة المثنى بغداد، ١٩٠٥م، ج٢، ص٤٣)، (معجم المؤلفين، عمر رضا كحاله، ط١، الرسالة- بيروت، ١٩٩٣م، ج٣، ص٥٠٨).

(2) تنس: جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين العزما ودمياط في الإقليم الثالث، انظر (معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر - بيروت، ج٢، ص٥١).

(3) الإسبات من الإسبات أي التزام اليهود بفريضة السبت وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس وهي مدينة عظيمة تشبه المهدية التي بأفريقيا، انظر (معجم المؤلفين، ياقوت الحموي، دار صادر - بيروت، حقوق الطبع محفوظة، ج٣، ص١٨٢).

(4) مدينة على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء في البحر الأعظم وبلاد البربر وهي مدينة أزلية على ظهر جبل ماؤها في قناة تجري عليهم من موضع لا يعرفون منبعه على الحقيقة، انظر (مراصد الاطلاع، البغدادي، ج٢، ص٨٩٤).

(5) مدينة بالمغرب في بلاد البربر بعد طنجة في زاوية الخليج المار إلى الشام عليها سور متعلقة في جرف خارج من البحر، انظر (مراصد الاطلاع، ج١، ص٦٧).

(6) هي قلعة كبيرة جداً حصينة عالية هي من حدود أفريقيا لما يلي المغرب، انظر (معجم البلدان، الحموي، ج٤، ص٣٤٩).

(7) سبقت ترجمته وهي الروم.

(8) جزيرة شرقي صقلية وأهلها أفرنج ولها مدن كثيرة ينسب إليها أبو العباس القلوري، انظر (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٩٢).

(9) صورة الأرض، ابن حوقل، بيروت، مكتبة دار الحياة، ص٦٥.

ويقول ابن إسحق الإصطخري[1]: أما المغرب فهو نصفان يمتدان على بحر الروم نصف من شرقية ونصف من غربيه، أما الشرقي فهو برقة[2]، وآخر وأفريقية[3]، تاهرت[4]، وطنجة[5]، والسوس[6] وزويلة[7]. والمغرب فهو الأندلس[8].

يقول غوستاف لوبون[9]: سمي العرب أفريقيا الشمالية والأندلس بالمغرب في البداءة وأطلق اسم أفريقية على تونس وطرابلس الغرب حيث استقر العرب بالقيروان وتونس وصارت كلمة المغرب لا تدل على غير بلاد أفريقيا الغربية وصار العرب يسمون البلاد التي تحتوي على الجزائر بالمغرب الأوسط وعلى مراكش بالمغرب الأقصى[10].

وصف المغرب العربي في كتب العلماء:

---

(١) إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي أبواسحاق جغرافي له مسالك الممالك صور الأقاليم، انظر (معجم المؤلفين، كحاله، الرسالة- بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ج١، ص٦٨).

(٢) مدينة وسط ليست بكبيرة وحولها كور عامرة كبيرة وهي في مستوٍ من الأرض خصبة يسكنها طوائف من البربر، انظر (المسالك والممالك، ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي، تحقيق محمد جابر، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، ١٩٥٨م، ص)

(٣) هي مدينة اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية ينتهي آخرها إلى قبالة الأندلس، سميت بأفريقية نسبة إلى أفريقش بن أبرهة بن الرائش وقيل أفريقش ابن صيفي بن سبا. انظر (مراصد الاطلاع، عبد الحق، ج١، ص١٠٠).

(٤) اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لأحدهما تاهرت القديمة والأخرى تاهرت المحدثة بينهما وبين المسيلة ست مراحل، انظر (مراصد الاطلاع، ابن عبد الحق، ج١، ص٢٥١).

(٥) سبق تعريفها.

(٦) في أقصى بلاد المغرب هي مدينة جليلة حاضرة جامعة كل خير وفضل وأهلها أخلاط وهي بلاد السكر ويصنع في كل شيء ويتجهز حقه إلى الأفارقة، ويصل فاصله إلى أقصى خراسان لها فواكه كثيرة، انظر (الروض العطار، الحميري، ج١، ص٨).

(٧) بلدان بالمغرب أحدهما زويلة السودان مقابل إجدابيا البر بين بلاد السودان وأفريقية والأخرى غير مشهورة في وسط الصحراء وقيل الأخرى دويلة المهدية مدينة بأفريقيا، انظر (مراصد الاطلاع، ابن عبد الحق البغدادي، ج٢، ص٦٧٧).

(٨) المسالك والممالك، ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري (الكرخي) تحقيق د. محمد جابر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، ص٣٣.

(٩) غوستاف لوبون (١٨٤١-١٩٣١م)، طبيب، عالم، اجتماعي، فرنسي، رائد علم الاجتماع، دعا إلى تفسير السلوك الجماعي بالمقارنة بين نفسيات فردية، انظر (المنجد في اللغة والأعلام، مجموعة من اللغويين، لويس معلوف، القاهرة، الشروق، ط٣٤، ١٩٩٤م، ص٤٩٥).

(١٠) حضارة العرب، غوستاف لوبون، نقله للعربية، عادل زعتير، ط٤، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص٢٤٣.

يقول المقدسي المعروف بالبشاري[1]: هذا إقليم بهي كبير كثير المدن والقرى عجيب الخصائص والرفأ به ثغور جليلة وحصون كثيرة ورياض ونزهة وبه جزائر عديدة مثل الأندلس الفاضلة العجيبة وتاهرت[2] الطيبة النزيهة[3].

ويقول اليعقوبي في تاريخه[4]: كانت البربر والأفارقة هم أولاد فارق بن يبصر بن حام بن نوح لما ملك أخوتهم بأرض مصر فأخذوا من العريش[5] إلى أسوان [6] طولاً ومن أيلة[7] إلى برقة[8] عرضاً خرجوا نحو المغرب فلما جاوزوا أرض برقة أخذوا لبلاد فغلب كل قوم منهم على بلد حتى انتشروا بالمغرب[9]، مما يؤخذ القول به أن المغرب أرض خير ورفاء من أهم سكانه قبائل البربر الذين انتشروا في كل الشمال الأفريقي إذ يعتبرون من القبائل الحامية التي كانت موجودة في معظم أنحاء أفريقية.

ويوجد به كثير من الفواكه والمعادن مما جعله قبلة للفاتحين المسلمين والأمم من قبلهم.

---

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري المقدسي، المعروف بالبشاري شمس الدين أبو عبدالله، مؤرخ رحالة جغرافي ولد بالقدس وتعاطى التجارة، من آثاره أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، انظر (معجم المؤلفين، عمر رضا كحاله، ج٣، ص٥٢).

(٢) سبق تعريفها ص ٥.

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المقدسي البشاري، ط٢، مدينة ليون، ١٩٠٩م، ص٣١٥-٣١٦.

(٤) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح أبو العباس جغرافي ومؤرخ عربي إسلامي حوالي ٨٩٧ أو ٩٠٥، ولد في بغداد لأب من كبار عمال البريد، كان جده حاكماً لأرمينية من آثاره البلدان، تاريخ ابن واضح، انظر (موسوعة علماء العرب والمسلمين، محمد فارس، دار الفارسي للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٣م، ص٢١٧).

(٥) كانت أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم في وسط الرحل بها الرمان العريش كانت مرسى مصر أيام فرعون، انظر (معجم البلدان، الحموي، ج٤، ص١١٣-١١٤).

(٦) مدينة كبيرة وكورة في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل، انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج١، ص١٩١.

(٧) مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام وقيل هي آخر الحجاز وهي مدينة اليهود الذين اعتروا في السبت. انظر (مراصد الاطلاع، ابن عبد الحق، ج١، ص١٣٨).

(٨) سبق تعريفها.

(٩) تاريخ اليغوي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب العباس المعروف باليعقوبي، بيروت ١٩٦٠م، ج١، ١٩٠-١٩١.

المطلب الثاني

المغرب تاريخياً

لقد حكم الرومان من غربيين وشرقيين بلدان شمال أفريقيا حكماً تعسفياً واستقلوا المناطق التي سيطروا عليها أجشع استغلال ولم ينقلوا إلى تلك المناطق أية حضارة أو ثقافة(١).

ويقول ابن خلدون(٢): إن أمة العرب لم يكن لهم إلمام قط بالمغرب لا في الجاهلية ولا في إسلام لأن أمة البربر الذين كانوا به إنما كانوا يمائلون عليه الأمم وقد غزاه إفريقش بن ضبيع(٣)، الذي سميت به أفريقيا من ملوك التبابعة(٤)، وملكها ثم رجع عنها(٥).

خلاصة القول أن المغرب له تاريخ قديم كقدم البشرية فقد مر بحكم كثير من الدول قبل دخول العرب والإسلام مما أدى لتكوينه تكويناً ثقافياً متميزاً على باقي غيره من الأقاليم فهو شعب له حضارة عالية نتيجة لامتزاجه بعدد من الثقافات فقد كانت لهم همة عالية لمعرفة الإسلام ولم ينقصهم شيء آنذاك إلا الإيمان بالله الواحد الأحد.

وخلاصة القول أن المغرب قد تداول حكمه في العصور الماضية كثير من الأمم وقد سكنته كثير من القبائل ولم يكن للعرب إلمام بالمغرب إلا بعد الفتح

---

(١) الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، أحمد بن سودة، ط١، دار الأمير الناشر بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ص٩-١٠.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن خلدون الإشبيلي الحضرمي القاضي ولي الدين المؤرخ المالكي، ولد سنة ٧٣٢هـ، بتونس، توفي بالقاهرة ٨٠٨هـ، له تلخيص المحصل لفخر الدين الرازي، شرح قصيدة البردة، ديوان المبتدأ والخبر، انظر : هدية العارفين، البغدادي، ج١، ص٥٢٩.

(٣) إفريقش بن إبراهه بن الرائش وقيل افريقش بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، انظر مراصد الإطلاع، عبد الحق، ج٢، ص١٠٠.

(٤) المرجع السابق ص ١٠٠.

(٥) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر ، ابن خلدون، ط٤، ملوك العرب المستعجمة، ج٦، القسم الأول، ص٢٦.

الإسلامي وإن كان لهم إلمام قبل ذلك قد يكون هجرات صغيرة لا تعد أي لا تعتبر إن صحت العبارة لإقامة حضارة أو ثقافة أو تكون كيان عربي مستقل يمثل القوى الإسلامية في هذا الإقليم.

المبحث الثاني

الأندلس جغرافياً وتاريخياً

يشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأندلس جغرافياً.

المطلب الثاني: الأندلس تاريخياً.

المطلب الثالث: صلة المغرب بالأندلس قبل الفتح العربي.

المطلب الأول

الأندلس جغرافياً

يقول الحميري في الروض المعطار[1]: هذه الجزيرة كانت في آخر الإقليم الرابع إلى المغرب وهو قول الرازي وقال صاعد بن[2] أحمد في تأليف طبقات الحكماء:

معظم الأندلس في الإقليم الخامس جانب منها في الرابع كإشبيلية[3] ومالقة[4] وقرطبة[5] وغرناطة[6] والعمرية[7] ومرسية[8][9].

---

(١) محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس بن يحيى بن حمود بن ميمون بن أحمد الإدريسي، كان جده إدريس من ملوك الحموديين بالأندلس خرج سائحاً في شمال أفريقيا وآسيا الصغرى، له كتاب نزهه المشتاق في اختراق الآفاق في الجغرافية كان له علم بالطب. انظر (معجم المؤلفين، عمر رضا كحاله، ج٣، ص٦٥٣-٦٥٤).

(٢) صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد الأندلسي التغلبي أبو القاسم، مؤرخ أصله من قرطبة مولده في المرية، من كتبه صوان الحكم في طبقات الحكماء، طبقات الأمم، تاريخ الإسلام، ولد ٤٢٠هـ، انظر (الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيروت، ط ١٦-٢٠٠٥م، ج٣، ص١٨٦).

(٣) مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس اليوم أعظم منها تسمى حمص وبها قاعدة ملك الأندلس وسريره بها كان بنو عباد ولمقامهم بها خربت قرطبة، انظر (معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج١، ص١٩٥).

(٤) مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية قد نسب إليها جماعة من أهل العلم فهم عزيز بن محمد اللخمي المالقي وسليمان المعافري المالقي، انظر (معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر – بيروت، ط٣، ٢٠٠٥م، ج٥، ص٤٣).

(٥) مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سرير لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك دولة بني أمية ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء في ذلك الصقع. انظر (معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٤، ص٣٢٤).

(٦) حكى النصاري هي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحصنها بشقها النهر المعروف بنهر قلزم في القديم ويعرف الآن بنهر حداره يلقط منه سحالة الذهب الخالص، انظر (معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٤، ص١٩٥).

(٧) سبق تعريفها.

(٨) مدينة بالأندلس من أعمال تدمير أختطها عبدالرحمن بن الحكم وسماها بتدمير، وتدمير الشام هي ذات أشجار وحدائق محدقة بها كان منزل ابن مردنيش في زمانه، انظر (معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٥، ص١٠٦).

(٩) صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحميري، نشر لافي بروتسال، ص٦.

يقول ابن حوقل[1]: أما الأندلس فهي جزيرة تتصل بالبحر الأصفر[2] من جهة صقلية[3] وأفرنجة[4] وهي في جملة مغربها ويحيط بها الخليج المذكور من مقرنها والبحر المحيط من بعض شمالها وشرقها[5].

ويقول القزويني[6]: جزيرة كبيرة بالمغرب فيها عامر وغامر طولها دون القصير في عرض نيف وعشرين مرحلة ودورها أكثر من ثلاثة أشهر ليس فيها ما يتصل بالبر أنها مسيرة يومين والحاجز بين بلاد الأندلس وأفرنجة جبل[7].

فالأندلس هي جزيرة تقع في الإقليم الرابع إلى المغرب وجزء منها في الإقليم الخامس وهي من الجزائر الكبرى وتحيط بها الخلجان والبحار والحاجز بينها وبلاد الأفرنج جبل على ما بينه العلماء والسالف ذكرهم.

وخلاصة القول أن الأندلس لها موقع جغرافي متميز فهي جزيرة طالة على البحر وهي في الإقليم الخامس جزء منها في الرابع وتحيط بها الخلجان والبحار وبها كثير من الخدمات الزراعية والمعدنية ولها موقع مميز أو هي الرابط بين أوروبا وأفريقيا.

---

(١) سبق تخريجه ص ٤.

(٢) زراع من المحيط الهادي المغربي، يقع بين شبه جزيرة كوريا والسواحل الشمالية الشرقية في الصين، مساحته ٤٠٤,٠٠٠ كيلو متر مربع، انظر (موسوعة المورد العربية، منير البعلبكي، ط ١٩٩٠١م، إعداد د. رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت، ص٢٠٤).

(٣) صقلية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الأندلس في أقصاه من جهة الغرب وصل إليها موسى بن نصير كما فتح الأندلس هي بلاد لا يطيب سكانها لغير أهلها، انظر (معجم البلدان، الحموي، ج٢، ص١٥٧).

(٤) أفرنجة أمة عظيمة لها بلاد واسعة وممالك كثيرة وهم نصارى ينسبون إلى جد لهم وهو أفرنجشي وهي مجاورة لرومية، والروم وهي في شمال الأندلس نحو الشرق إلى رومية، انظر (معجم البلدان، الحموي، ج١، ص٢٢٨).

(٥) صورة الأرض، لابن حوقل، ص٦٥-٦٦، مرجع سابق.

(٦) زكريا بن محمد بن محمود القزويني الأنصاري أبو يحيى عماد الدين مؤرخ جغرافي، ولد بقزوين ورحل إلى الشام عاش في بغداد يعد من الخطاطين، ولد سنة ٦٠٥هـ وتوفي سنة ٦٨٢هـ، آثاره آثار البلاد وأخبار العباد،انظر (معجم المؤلفين، عمر رضا كحاله، ج١، ص٧٣٤).

(٧) آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، دار صادر- بيروت، ص٥٠٣.

المطلب الثاني

الأندلس تاريخياً

يقول ابن عذاري[1]: أول من نزل الأندلس بعد الطوفان قوم يعرفون بشين بالأندلس (بعين معجمة) فأراد الله قطعهم منها فحبس المطر عنهم حتى غاضت مياههم وعيونهم وأنهارهم وخرجوا منها وافترقوا في البلاد ثم دخلها بعد ذلك قوم من الأفارقة أجلاهم صاحب أفريقيا من الجوع[2].

إنما سميت الأندلس بن طوبال بن ياقوت بن نوح لأنه تركها كما أن أخاه سيت بن يافث نزل العدوة المقابلة لها وإليه تنسب سبتة[3][4]. إلى أن قال: ومن بعد الطوفان على ما يذكره علماء عجمها قوم يعرفون بالأندلش، بهم سمي المكان معرب فيما يعرف بشين غير المعجمة كان الذين عمروها وتناسلوا فيها على دين التمجس والإفساد في الأرض[5].

ومن الأمم التي سكنتها الفينيقيون، يقول الطاهر الطرابلس[6]، أمة عربية قديمة الأصل السامي، اشتهرت منذ القدم بالتجارة والأسفار البحرية كان موطنهم فلسطين وسواحل الشام وكان يغيرون على الشمال الأفريقي منذ القرن الثاني عشر ق.م[7]، ومن القبائل كذلك الواندال[8].

---

(١) أبو عبدالله محمد بن عذاري الأندلسي ثم المراكشي المؤرخ المتوفي في حدود ٦٩٥، له من الكتب البيان المغرب في أخبار المغرب في مجلدين مطبوع، انظر (هدية العارفين، البغدادي، ١٣٨/٢).

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، تحقيق ج.س. كولان، ليفي بروفسال، دار الثقافة- بيروت، ط ٢٠٠٠م.

(٣) سبق تعريفها ص ٤.

(٤) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الشيخ أحمد بن المقري التلمساني، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الكتاب العربي- بيروت، ج١، ص١٢٤.

(٥) نفس المرجع السابق، ص١٣٠.

(٦) صاحب كتاب تاريخ الفتح العرب في ليبيا ولم أجد له ترجمة أقف عليها.

(٧) تاريخ الفتح العربي في ليبيا، الطاهر أحمد الزادي الطرابلسي، دار المعارف- القاهرة، ط ١٩٦٩م، ص٢٣.

(٨) هم من الأصل الجرماني (الألمان) زحفوا في القرن الرابع الميلادي على أسبانيا فاحتلوها وأقاموا بها دولة عظيمة، انظر قادة فتح المغرب العربي، محمود شيت خطاب، ط٧، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨٤م، ص٣٣.

وهم من الأصل الجرماني زحفوا في نحو القرن الرابع الميلادي على أسبانيا فاحتلوها وأقاموا بها دولة عظيمة كانوا يسكنون فيما وراء جبل طارق الذي كان يسمى إذ ذاك (أعمدة هرقل)(١).

وتاريخ الأندلس قديم للغاية وأصل السكان القدامى مزيج من كلت(٢)، الأيبيريين(٣)، وقد أسس الفينيقيون في القرن العاشر ق.م واليونانيون في القرن الخامس ق.م على سواحل الأندلس عدة مستعمرات وأطلق اليونانيون على هذه السواحل اسم إيبريا ثم أطلق على الجزيرة كلها(٤).

يقول اليبر حبيب(٥): كانت أسبانيا قبل الفتح العربي تحت حكم القوطيين الغربيين وهم من القبائل التوتونية(٦) التي اجتاحت الإمبراطورية الرومانية في أواخر القرن الرابع الميلادي استطاعوا عند سقوط الدولة الرومانية الاستقلال بحكم أسبانيا(٧).

وخلاصة القول أن الأندلس تاريخياً مرت بحكم كثير من الدول التي غارت عليها فأصبحت مكونة الشعب الأندلس الذي ذاق الظلم والاضطهاد من قبل حكام هؤلاء المستعمرين الذين لم يكن هم غير سلب خيرات هذا البلد الذي كان يعيش في فوضى عارمة لا يقيمها خلق ولا دين إلى أن أمن الله عليه بالإسلام كما سنرى فيما بعد فتغيرت أحواله تغييراً كلياً فأصبحوا أعزة بعد أن كانوا أذلة وأغنياء بعد أن كانوا فقراء.

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٢٥-٢٦.

(٢) الكلت: هم السكان الأول لجنوب ألمانيا وغربيها، انظر ميلاد العصور الوسطى، تأليف سانت. ل. ب، ص٧٧.

(٣) الابيرين: أمة قديمة يقال لها: الأيبر، كانت أقدم أمة عمرت تلك البلاد ولم يعرف قبلها هناك أمة أخرى، جميع الذين أوطنوا هذه الجزيرة إنما جاءوا بعد الأيبر، انظر الحلل السندسية، شكيب أرسلان، ص ٣١.

(٤) هي التي اجتاحت الإمبراطورية الرومانية في أواخر القرن الرابع الميلادي واستطاعوا عند سقوط الدولة الرومانية الاستقلال بحكم أسبانيا ومعها أجزاء من فرنسا في القرن الخامس، انظر الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر الطوائف، لبير حبيب مطلق، ط١٩٧١م، بيروت، ص١٧.

(٥) تاريخ حضارة الإسلام والأندلس، د. عبد العزيز سالم، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص٧.

(٦) لم أجد له ترجمة.

(٧) الحركة اللغوية في الأندلس، البيرجيين ط ١٩٦٧م، ص١٧.

المطلب الثالث
صلة المغرب بالأندلس قبل الفتح العربي

يقول الشريف الأدريسي(١): كان أهل المغرب الأقصى من الأمم السالفة يغيرون على أهل الأندلس فيضرون بهم كل الأضرار وأهل الأندلس أيضاً يكابدونهم ويحاربونهم جهد الطاقة، إلى إن كان زمن الإسكندر ووصل إلى أهل الأندلس فأعلموه بما هم عليه من التناكر مع أهل السوس فأحضر القبلة والمهندسين وقصد مكان الزقاق فأقام جسراً(٢).

يقول د. نبيلة حسن محمد(٣): وهضاب مراكش الوسطى تقابلها هضبة شبه جزيرة أيبيريا الوسطى ومنخفض فاس(٤) يقابله منخفض الوادي الكبير وجبال أطلس(٥) العليا (درن) يقابلها من جهة أسبانيا جبال البرانس(٦)(٧).

يقول شارل لارنزي جوليان: إن وجه الشبه بين تضاريس غرب المغرب الأقصى وأسبانيا كبيراً فلو أمكن ضم تضاريس البلدين بعضها إلى بعض حول المفصلة المتمثلة في مضيق جبل طارق ليطابق الريف سلسلة جبال البيتس، وتقابلت

---

(١) سبق تعريفه ص ١١.

(٢) نزهة المشتاق، الحميري، ص٥٢٦.

(٣) هي صاحبة كتاب تاريخ المغرب والأندلس.

(٤) مدينة مشهورة على بحر المغرب من بلاد البربر وهي حاضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تختط مراكش تفجرت كلها عيوناً تسيل إلى قراره واديها وليست بالمغرب مدينة يتخللها الماء غير غرناطة بالأندلس، انظر معجم البلدان، الحموي، ٤/٢٣٠.

(٥) سلسلة جبال في الجزء الشمال الغربي من أفريقيا تمتد من الجزء الجنوبي الغربي من المملكة المغربية إلى الجزء الشمالي الغربي من تونس تفصل حوض البحر الأبيض المتوسط عن الصحراء الكبرى، انظر موسوعة المورد العربية، منير البعلبكي، رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت، ط ١٩٩٠م، ١/٩٨.

(٦) سلسلة جبال الجزء الجنوبي الغربي في أوروبا تفصل ما بين فرنسا وشبه جزيرة أيبيريا، انظر موسوعة المورد العربية، منير البعلبكي، ١/٢٧٨.

(٧) تاريخ المغرب والأندلس، د. نبيلة حسن محمد، دار المعرفة الجامعية السويس، ط ٢٠٠٤م، ص٨٥.

مهاد تازة[١]، وسبو[٢]، والغرب الأندلس ويطابق الأطلس المتوسط الهضاب السبانية وعلى العكس[٣].

تمتد مراكش[٤] نحو الشمال في شبه جزيرة طنجة[٥] لتقترب من أوروبا وشبه جزيرة أيبيريا عن طريق التي لا تبعد عنها عبر المحيط إلا تسعة أميال فقط[٦].

يقول د. أحمد مختار العبادي: يبدو هذا الاتصال الوثيق بوضوح في منطقة العدوتين التي حول مضيق جبل طارق[٧] منذ أقدم العصور فيذهب بعض علماء الجيولوجيا وما قبل التاريخ إلى الاعتقاد بأن البلاد المغربية كانت متصلة بأسبانيا في أثناء العصور الجليدية وفي العصر الحجري القديم[٨].

وخلاصة القول أن المغرب والأندلس لهما صلات قديمة منذ أقدم العصور بفضل العوامل الجغرافية والتضاريسية إذ ارتبطت كل الارتباط جغرافياً ودينياً إضافة للعنصر البشري المنحدر من القارة الأفريقية.

وقد كانت بينهم حروب في الماضي كما أسلفنا لسهولة الاتصال بينهم إذ لا تفصلهم إلا أميال قليلة.

---

(١) تازة: مدينة كبيرة لا يقل نبلها عن قوتها، تعيش في رخاء على أرض خصبة، أسسها الأفارقة القدماء، على بعد نحو خمسة أميال من الأطلسي، وتبتعد تقريباً عن فاس ٥٠ ميلاً، وعن البحر المحيط ١٣٠ ميلاً، وعن المتوسط ٧ أميال، تحتل هذه المدينة الدرجة الثالثة في الملكة من حيث المكانة والحضارة، انظر وصف أفريقيا، للحسن بن محمد الوزان، الفاسي، المعروف باليون الأفريقي، ترجمه عن الفرنسية محمد مجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣هـ، ج١/٣٥٤. ثم انظر المغرب بذكر بلاد أفريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، لأبي عبيد البكري، مكتبة المثنى بغداد، ص ١١٨.

(٢) نهر بالمغرب قرب طنجة من أرض البربر ، انظر معجم البلدان، الحموي، ٣/١٨٦.

(٣) سبق تعريفها.

(٤) تاريخ أفريقيا الشمالية، شارل لاندري جوليان، تعريب محمد فراي البشيرين سلامة، ١٩٦٩م، ص٢٠.

(٥) أعظم مدينة بالمغرب وأجملها وبها سرير ملوك في وسط بلاد البربر بينها وبين البحر عشرة أيام ومعنى مراكش بالبربرية أسرع المشي لأنها كانت مخافة. انظر مراصد الاطلاع، عبد الحق، ج٣/١٢٥١.

(٦) في تاريخ المغرب والأندلس ، د. أحمد مختار العبادي ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٨م، ص ٢٢.

(٧) افريقية الإسلامية، د. يسري الجوهري، دار المعارف، ١٩٨٠م، ص٢٤٣.

(٨) منه خرج طارق بن زياد ومنه حكم الأندلس وهو عند الجزيرة الخضراء وهو مرسى، انظر الروض المعطار ، الحميري، ص٣٨٢.

كذلك حدثت في هذه المنطقة هجرات العناصر الأيبيرية القديمة إلى أسبانيا وهي عناصر حامية ليبية في شمال أفريقيا وقد اختلط هؤلاء الأيبيريين في أسبانيا بالعناصر الكلتية والسلتية(١)، ثم جاء التوسع الفينيقي في السواحل الشمالية المغربية والأسبانية الجنوبية فأحدثت انفتاحاً قوياً بين هاتين العدوتين(٢).

---

(١) الكلت : هم السكان الأولى لجنوب ألمانيا وغربيها ، انظر : ميلاد العصور الوسطى ٣٩٥هـ-٨١٤ تأليفها سانت ل. ب. ص ٧٧.

(٢)في تاريخ فتح المغرب والأندلس، د. أحمد مختار العبادي، دار النهضة العربية ١٩٧٨م، ص٢٢- ٢٣.

الفصل الثاني

الأحوال الفكرية والعلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية في الأندلس بعد دخول الإسلام

يشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: الأحوال الفكرية.

المبحث الثاني: الأحوال العلمية.

المبحث الثالث: الأحوال السياسية.

المبحث الرابع: الأحوال الاجتماعية.

المبحث الخامس: الأحوال الاقتصادية.

المبحث الأول

الأحوال الفكرية

تعتبر حركة المرابطين في المغرب حركة دينية سياسية وضع أسسها الفكرية وعلم أتباعها ونظمها الفقهية المالك ابن يس... ومن الطبيعي أن تتأثر الحياة الفكرية شأنها في ذلك شأن نواحي الحياة الأخرى بالمستحدثات التي طرأت على ساحة المغرب مثل عملية السياسي له والتكوين الثقافي واتجاههم المذهبي وانتقال مركز الثقل السياسي إلى الأندلس(١).

فقد كانوا فقهاء مالكيين وهو الفكر السائد بين علماء المغرب والأندلس آنذاك.

لكن فكراً جديداً دخل المغرب في أواخر أيام دولتهم هو فكر الصوفية وخاصة فكر الإمام الغزالي منه وكان مناقضاً في جوهره لفكرهم لأنه يجعله ضئيل الأهمية فهو ينصب أولاً على الفروع في الأحكام الدنيوية ويهمل الشيء الأهم وهو التوجه نحو الإيمان والقلب والباطن كما يهاجم الفقهاء(٢).

وتمذهب بعض الأندلسيين بمذهب الشافعي وبعضهم بمذهب داود الظاهري وجاء المذهب الخارجي مع بعض المهاجرين من أفريقيا وكان النكارية هم الغالبين على خوارج الأندلس(٣).

وعرف بعضهم الاعتزال وكان أوائل القائلين به أحمد بن موسى بن أجدير صاحب السكة الذي كان يقول إن الله عاقل(٤).

وكان يطلق لقب زنديق على كل من تسامع الناس بانشغاله بالتنجيم أو قراءته الفلسفة وربما تجاوز هذا الأمر إلى ما هو أسوأ منه(٥).

وقد ظهر مذهب ابن مسرة الذي كان يجمع بين الاعتزال والباطنية(٦).

---

(١) التربية العربية الإسلامية، المؤسسات والممارسات، الأردن مؤسسة آل البيت، ١٩٨٩م، ج٢/٤٠٧.

(٢) نفس السابق، ص٤٥٢-٤٥٣، انظر جزء من نظم الجمان، لابن القطان، ص١٦٢/٥.

(٣) الفصل، ابن حزم، ج٤/١٩١.

(٤) نفس السابق، ج٤/٣٠٢.

(٥) طوق الحمامة في الإلف والالاف، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق أستاذ حسن كامل الصيرفي، قدم له إبراهيم الأنصاري، المكتبة التجارية الكبرى مصر، ص٤٥.

(٦) نفح الطيب، المقري، ١/٢٠٥.

ومن الفلاسفة كابن باجة (و س الصوفية كابن العريف انظر)[1].

وخلاصة القول أن النشاط الفكري في الأندلس فقد كان فكراً سلفياً قائماً على الكتاب والسنة في عهد المرابطين أما في عهد الدولة الأموية فقد كان موجوداً الفكر الشيعي في عهد الناصر[2].

فقد كان عصراً تشوبه كثيراً من الآراء الفكرية والاعتقادية فقد فتح الأندلس وهاجر إليه كثيراً من أصحاب المذاهب.

فقد كان قبل دخول الإسلام الأندلس النصرانية كان عيسى ﷺ بعث الحواريين في الأرض يدعون الخلق إلى ديانته فاختلف الناس فيهم وقتلوا بعضهم واستجاب لهم كثير منهم وكان لمن أسرعهم إجابة لمن جائهم من الحواريون خندش ملك القوط فتنصر ودعا قومه إلى النصرانية وكان من أعاظمهم[3].

ومن أهم عوامل انتصار العرب هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم حتى إن الملك الفارسي كيروس نفسه قال أن هؤلاء المنتصرين لا يأتون كمخرجين إنما يدعيه بعضهم بالتعصب والوحشية تكذبها آلاف من الأدلة القاطعة عن تسامحهم وإنسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة)[4].

وكان أمراء العرب في أول أمرهم قائمين بأمر الفتح فلما جاء الأمويون وكانت البلاد قد تمهدت لهم وضعوا أساس الدولة ورتبوا أنظمتها وجعلوها مصدر الحضارة الإسلامية وكانت سياستهم مبنية على التسامح بعيدة عن الجور والظلم وبذلك انتشر الدين الإسلامي في مدتهم بين الأسبان من غير مبشرين ومنذرين بل كانت سماحة الشريعة الإسلامية هي السبب في انتصاره فأسلم كثير من نصارى الأسبان) [5].

خلاصة القول إن الدين الإسلامي كان قد انتشر في الأندلس بفضل سماحة الفاتحين فدخلت كثير من الشعوب الدين الإسلامي طائعة مختارة .

---

(١) نفح الطيب، ابن القرضي، ص٢١٨.

(٢) فوات الوفيات، محمد بن شاكر، ج٢/١٨٠-١٨١.

(٣) نفح الطيب المقري ج ١/ ١٣٥ – ١٣٦ مرجع سابق.

(٤) ريفريد هونكة – شمس العرب تسطع على الغرب – منشورات المكتب التجاري – بيروت ، أثر الحضارة العربية في أوربا نقله إلى الألمانية فاروق بيضون ، كمال دسوقي ، راجعه هارون عيسى الخزوي، ط ٣ ، ١٩٧٩م ، ص ٣٥٧ – ٣٥٨.

(٥) رحلة الأندلس بقلم محمد لبيب الفيتوني، ط ١، ص ١٠٧.

المبحث الثاني

الأحوال العلمية

يقول ابن صاعد: أما الأندلس فكان فيها أيضاً بعد تغلب بني أمية عليها جماعة عنيت بطلب الفلسفة ونالت أجزاء كثيرة منها وكانت الأندلس قبل ذلك في الزمان القديم خالية من العلم(١).

لما نزل على ذلك عاطله من الحكمة إلى أن افتتحها المسلمون في شهر رمضان سنة ٩٢هـ فجاءت على ذلك أيضاً لا يعني أهلها بشيء من العلوم إلا بعلوم الشريعة وعلوم اللغة إلى أن توطد الملك لبني أمية(٢).

فمن العلماء ما بين وسط هؤلاء المائتين من اعتنى بعلم الحساب والنجوم أبوعبيدة مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة(٣) البلنسي المعروف بصاحب القبلة وكان عالماً بحركات الكواكب وكان مع ذلك صاحب فقه وحديث(٤).

وقد ظهر في عهد المرابطين الفيلسوف ابن باجة(٥).

وظهرت في العصر المرابطي حركة دينية أخذت طابع التصوف التي أسفرت عن قيام طائفة المريدين بغربي الأندلس وكان إمامها ابن العريف(٦).

وأشهرهم محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن عياض المخزومي الشاطبي المتوفي سنة ٤٧٠هـ(٧).

---

(١) طبقات الأمم، ابن صاعد، ص٦٢.

(٢) نفس المرجع والصفحة.

(٣) أبوعبيدة مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة البلنسي المعروف بصاحب القبلة ، إنما عرف بذلك لأنه كان أسرف كثيراً صلاته، كان عالماً بحركات الكواكب وأحكامها وكان مع ذلك صاحب فقه وحديث ، رحل إلى المشرق وسمع بمكة. انظر : (طبقات الأمم لابن صاعد ص ٦٤) .

(٤) نفس السابق، ص٦٤.

(٥) الحلة السيراء، ابن الأبار، ص٥٣٣، بتصرف.

(٦) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج١/١٨٠.

(٧) طبقات المفسرين، السيوطي، ١٩٧٣م، ص٧٥.

ومن الأطباء في الأندلس ابن السمنية يحيى بن علي من آل قرطبة والكرماني أبو الحكم عمرو بن أحمد بن علي الكرماني من آل قرطبة أحد الراسخين في علم العدد والهندسة[١].

من المحدثين والفقهاء في العصر المرابطي أبو علي حسين بن محمد بن فهرة الصدفي، أصله من سرقطسة من أهل الثغر الأعلى، وكان بها مولده ونشأته، ودرس في سرقسطة وبلنسية[٢] والمرية[٣] وكان من أساتذته ابن الوليد[٤] الباجي وأبي العباس العذري[٥][٦].

ومن أشتهر بالأدب وقول الشعر فهم أبو بكر بن إبراهيم المسوفي الصنهاجي المعروف بابن تافلويت صهر علي بن يوسف وكان والياً على تلمسان وعلى سرقطة[٧].

وخلاصة القول إن هذا العصر قد نبغ فيه كثير من العلماء من مختلف العلوم وخاصة علوم الشريعة والطب والفلسفة.

بيد أن الأندلس كانت قبل الفتح كما أوضح ابن صاعد خاوية بلا علم إلى أن جاءت دولة بني أمية فانتشرت تلك العلوم وأما عصر ملوك الطوائف فقد كانت مجالسهم منتديات علم فقد كانوا يميلون إلى الأدب بكافة صوره ومنهم على سبيل المثال المعتمد بن عباد وغيره كثر.

---

(١) آيات المبرزين، ابن سعيد الأندلسي، القاهرة ١٩٧٣م، ص٧٥.

(٢) بلنسية كورة ومدينة مشهورة بالأندلس هي شرق قرطبة تعرف بمدينة التراب . انظر (مراصد الاطلاع – عبدالحق ج١/ ١٦٣) .

(٣) المرية : يجوز أن يكون الشيء المرئ فحذفوا الهمزة وهي مدينة كبيرة في كورة البيرة من أعمال الأندلس، انظر (معجم البلدان ، ياقوت الحموي ج٥/١١٩) .

(٤) هو سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي أبو الوليد الباجي من كبار علماء المالكية ومن رجال الحديث، ولد في باجة بالأندلس ٤٠٣هـ وتوفي ٤٧٤هـ بالمرية، انظر هدية العارفين، البغدادي، ج١/٣٩٧.

(٥) هو أبوالعباس العذري ذكر في نفح الطيب ج٣/ ٦٧.

(٦) عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، محمد عبد الله عنان، القسم الأول، عصر المرابطين، ط٩، القاهرة ١٩٦٤م، ص٤٥٦–٤٥٨.

(٧) النبوغ العربي، كنون، ص٧٤.

فقد كانت في معظم هذا العصر سيطرة الفقهاء على الساحة وخاصة في الدولة المرابطية فقد كانوا مستمسكين بفقه الإمام مالك رحمه الله لذلك كانت معظم العلوم في الدولة المرابطية علوم شرعية سوى جزء قليل من التصوف والفلسفة ومنع الجدل وعلم الكلام باعتباره مخالفاً للكتاب والسنة.

فظهرت السنة وماتت البدعة وطبقت القوانين الإسلامية وانتظمت كل مناحي الحياة بروح التسامح وصفاء العقيدة فقد كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم.

فاحيوا سنة الجهاد التي كانت مندرسة في تلك البلاد التي كان أهلها ينغسمون في اللذات ويؤثرون الدعة والراحة.

فجهادهم كان مرتبطاً بفقههم وعلمهم وصفاء عقيدتهم وتتبعوا منهج النبي ﷺ وآثار صحابته فقد كانوا مجاهدين وطلاب علم.

المبحث الثالث

الأحوال السياسية في الأندلس بعد دخول الإسلام

ما كاد القرن الخامس ينقضي حتى غدت الأندلس مسرحاً للتفكك والانقسام حتى قامت في أرجائها عشرون دويلة متأخرة فيما بينها مستعينة في ذلك بسلاطين النصارى يؤدون لهم الجزية عن يد وهم صاغرون تلك هي دون الطوائف(١).

في تلك الآونة كانت دولة المرابطين قد تكونت في المغرب واتخذت من مراكش قاعدة لها بقيادة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين(٢) وبات معلوماً أن ينتظر الفرصة المناسبة ليجتاز البحر ويخلص أخوانه من الكرب العظيم الذي أصابهم(٣).

في عهد ملوك الطوائف فقد استقل الأمراء والرؤساء من البربر والعرب والصقالية بالمدن الأندلسية واقتسموا ولاياتها(٤).

في عهد الولاة وخاصة في عهد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧هـ قدم موسى بن نصير والياً على أفريقيا فقبض على ذمام السلطة بيد من حديد وضبط الشئون واستصلح الأحوال فأصبحت البلاد تمرح في بحبوحة من الإمام والنظام(٥).

استطاع ابن يس أن يخضع جميع بلاد المغرب لسيطرته وأن يزيل ما كان في بلاد المغرب من منكرات وبدع وتشيع، وأن يعيد الناس إلى مذهب آل السنة والجماعة(٦).

---

(١) الغوامض والمهمات، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال، تحقيق محمود مقراوي، ط١، دار الأندلس الخضراء، ١٩٩٤م، ج٩/١.

(٢) هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم اللمتوني الصنهاجي ، وأمه بنت عم أبيه فاطمة بنت سير بن يحيى بن وجاج بن وارقتين. انظر (سير أعلام النبلاء – الذهبي ، مؤسسة الرسالة ١٩٩٣م ، ج ١٩/٥٤٠-٥٤١).

(٣) نفس السابق، ص١٠.

(٤) الأندلس، دراسة تاريخية حضارية، د. محمد كمال شبانة، ط١، دار العالم العربي، ١٣٩هـ-٢٠٠٨م.

(٥) النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنون، ط٢، دار الثقافة، ج٣٧/١.

(٦) الاستقصاء، الناصري، ج١٣/٢.

وخلاصة القول إن عهد الولاة كان عهد فتح وصلاح ونشراً للدعوة الإسلامية والقرن الخامس كان عهد تفكك وحروبات مع نصارى أسبانيا وقد حاول هؤلاء الكفار السيطرة على الأندلس وإخراج المسلمين منها بكل وجه.

إلا ملوك الطوائف قد استنجدوا بالدولة المرابطية في المغرب فأعادت للإسلام مجده وسيطرته على البلاد الإسلامية أي في الأندلس، فقد كان عهد مليء بالأحداث السياسية من أمويين وطوائف ومرابطين، وقد تناولت هذا العصر بشيء من التفصيل مما جعلني أشير إليه إشارة.

المبحث الرابع

الأحوال الاجتماعية

في بلاد الأندلس أصبح المجتمع الإسلامي يتألف من عدة طبقات تتفاوت في الحقوق والاعتبار.

ومن العناصر التي تألف منها المجتمع الإسلامي في الأندلس: البربر الذين تحملوا أكثر أعباء الفتح ولكنهم خرجوا على أمرائهم واحتلوا الأماكن العامة في البلاد ومن هؤلاء أسرة ذي النون بطليطلة[١] [٢].

وكان مسيحيوا الأندلس فريقين: فريق تمسك بدينه القديم وفريق عرف باسم المستعربين فتح العرب لليهود الذين رزحوا تحت حكم القوط بمزاولة التجارة وبحرية الملكية والرقيق: وقد نال الرقيق كثيراً من الحقوق المدنية فزرعوا الأرض لحسابهم على أن يؤدوا الخراج للدولة[٣].

وكذلك الصقالية: وكانوا يجلبون من أسرى الحروب أوس هؤلاء الذين استولى عليهم القراصنة من السواحل الأوربية. ولا ننسى طبقة الفقهاء الذين اشتد نفوذهم بالأندلس منذ أيام الدولة الأموية ولكن نفوذهم اشتد في عهد المرابطين[٤].

منهم العرب كان الجيش الذي دخل به طارق إلى الأندلس سنة ٩٢هـ بلغ اثنى عشر ألفاً أكثرهم من البربر والسود واليهود والموالي والسكان الأصليون[٥].

وخلاصة القول أن المجتمع الأندلسي قد تكون من عدة طبقات كما ذكرنا وكذلك منهم طبقة الأمراء والقضاء ورجال الدولة قد كان مزيجاً من هذه الأجناس وما كان الذي يجمع فيها الإسلام الذي دخل هذا البلد فقد كانوا متساوين في كل الحقوق حتى حقوق غير المسلمين من النصارى وأهل الذمة وهذه قد جعلت من هذا المجتمع مجتمعاً يصعب توحيده إلا بنشر وتطبيق شريعة الإسلام.

---

(١) مدينة بالأندلس كانت قاعدة ملوك القرطبيين من شاطئ نهر باجة . انظر (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكان والبقاع ج٢/ ٨٩٢) .

(٢) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن، ط١٣، دار الجيل بيروت، مكتبة النهضة المصرية، ج٢/٥٩٠.

(٣) نفس السابق، ج٤/٥٩٠-٥٩١.

(٤) نفس السابق، ج٤/٥٩٠-٥٩١.

(٥) الحركة اللغوية في الأندلس، البيرجيب، ص٢٠-٢٨.

المبحث الخامس

الأحوال الاقتصادية

يقول ابن خلدون: قد اشتهر المغرب والأندلس بزراعة قصب السكر وصناعته، واشتهرت زراعة الزيتون واستخراج الزيت منه، كما اشتهرت باستخراج العقاقير من النباتات المختلفة كما اشتهرت الأندلس بزراعة القمح والشعير والذرة والقطن والكتان والتوت(١).

وقد وجد المسلمون في صقلية أرضاً مثمرة تمدهم بالتفاح والبندق والجوز والقسطل، ويكثر بها الذهب والفضة والنحاس والرصاص والزئبق وكذلك اشتهرت بلاد الأندلس بصناعة آلات الحرب من التراس والرماح والتروس والدرع(٢).

ويقول صاحب نفح الطيب: أما الثمار وأصناف الفواكه فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ويوجد في سواحلها قصب السكر والموز ويوجد في الإقليم الباردة ولا يعدم منها إلا التمر ولها أنواع من الفواكه ما يعدم في غيرها أو يقل كالتين القوطي والتين السفري بأشبيلية ... والخوخ والجوز واللوز (٣).

نجد في العصر المرابطي من الموظفين في الأمور المالية والاقتصادية الوزير المحتسب، القباض والخراص والمتقبلون فكل واحد من هؤلاء له قدر من الأشراف أو العمل المباشر في الأعمال الاقتصادية والمالية(٤).

ويتردد اسم الدينار والدرهم أو كلاهما اسماً للعملة المرابطية وقد كان ينقش على الدينار أو الدرهم اسم الأمير ويبدو أن أول إصدار للعملة المرابطية كان سنة ٤٦٤هـ حيث أنشأ الأمير يوسف بن تاشفين داراً لسك العملة بمدينة مراكش(٥).

---

(١) ديوان المبتدأ، ابن خلدون، ج٦/٣٨٨-٣٩٩.

(٢) نفس المرجع والصفحة.

(٣) نفح الطيب، المقري، ج١/١٨٦.

(٤) رسالة الحسن لابن عبدون، ٧، ١٤، ٢٢، ٣٠، فروفنسال، القاهرة ١٩٥٥م.

(٥) مظاهر اقتصادية في عصري المرابطين والموحدين بالأندلس والمغرب، د. عبد الله محمد حسين الزيات، آفاق الثقافة والتراث، ص١٠٤.

ويقول البكري: وهذه القبائل التي قامت بعد الأربعين والأربعمائة بدعوة الحق ورد المظالم وقطع جميع المغارم(١).

إن المرابطين في عهد عبد الله بن يس غزوا أوغست التي كانت عاصمة غانا قبل دخولها الإسلام وكانت غنية وعامرة لأهلها أموال عظيمة ورقيق(٢).

الحالة العمرانية:

أسس عبد الرحمن الداخل قبل وفاته بعامين جامع قرطبة العظيم سنة ١٧٠ وأنفق عليه ثمانين ألف دينار فأصبح هذا الجامع بعد أن أنجز خلفاؤه ووسعوه وزادوا في زخرفته قبله المسلمين في الغرب(٣).

ومن الحق أن يقال أن المرابطين عنوا قبل كل شيء بالمباني ذات الصبغة العامة أو الطابع الديني كترميم وبناء المراسي والحصون والمساجد(٤).

ويبدو عصر المرابطين عصر الفن الأندلسي المغربي، ويبدو الطابع المغربي في بناء الحصون والأسوار والقلاع بينما يبدو الطابع الأندلسي في بناء القصور والدور وزخرفة المساجد وخاصة محاريبها(٥).

بنى المرابطين مجموعة من القناطر بالمغرب والأندلس أشهرها قنطرة تانسيفت التي يبلغ طولها ٤٠٠ متر وكان بناءها في عهد علي(٦).

قد أعانت سيطرة المرابطين على التجارة بني أفريقية الغربية وأوربا وتحكمهم في تدفق الذهب والرقيق ونمو المراكز الصناعية في المدن على الثراء وعلى التمويل الواسع للمشاريع العمرانية(٧).

---

(١) المسالك والممالك، البكري، ج٢/٨٥٨.

(٢) نفس السابق، ج٢/٢٦٢.

(٣) المجمل في تاريخ الأندلس، عبد الحميد العبادي جمع مادته ونسقها أحمد إبراهيم الشريف، راجعه د. مختار العبادي، ط٢، المكتبة التاريخية ١٩٦٤م، ص٧٢.

(٤) المغرب عبر التاريخ، حركات، ص٢٣٩.

(٥) نفس المرجع والصفحة.

(٦) نفس السابق، ص٢٤٤.

(٧) موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، شاكر مصطفى، دار العلم للملايين، ج٢/٩٢٨.

على أن أهم عمل حضاري قام به المرابطون هو دون شك نشر الإسلام في أفريقيا الغربية وإنما نشأت حركتهم أول ما نشأت على التخوم مع بلاد السنغال وتحركها نحو الشمال والفتح(١).

كانت دولة المرابطين أول دولة مغربية خالصة لأصله لها بالمشارقة أول دولة تضع وحدة المغرب والأندلس هدفاً سياسياً لها وتنجح في ذلك وأول دولة تنشئ عدة تجمعات عمرانية أساسية في المغرب الأقصى وأول دولة تعطي المغرب وحده مذهبية وثيقة عن طريق نشر المذهب المالكي(٢).

وكانت دراية المرابطين بالشئون الهجرية قليلة في ذلك الوقف لهذا لم يتمكنوا من احتلال الثغور ثم شرع ابن تاشفين في إعداد أسطول لهذا الغرض كما استنجد في الوقف نفسه بأساطيل جيرانه ملوك الطوائف بالأندلس(٣).

وخلاصة القول أن الأحوال الاقتصادية في المغرب والأندلس كانت طيبة لخصوبة أراضيها لزراعة الفواكه كما كانت توجد بها كمية كبيرة من المعادن

وقد كانت الرتب الاقتصادية على قرار الدولة الإسلامية وأقاموا كثيراً من المشاريع الزراعية والقناطر وقد كانت كذلك في عهد المرابطين كثيراً من الإصلاحات.

أما من الناحية العمرانية فقد بنيت المساجد وزخرفت في عصر المرابطين واهتم الأندلسي بوضع الزخارف عليها فقد كانت دولة المرابطين قد أقامت الجهاد والترسانات الحربية وأهم من ذلك نشر حضارة الإسلام كما أقامت أسطول حربي لحماية النفوذ ضد غارات النصارى.

كما أنها وحدت المغرب والأندلس بواسطة نشر مذهب واحد وهو المذهب المالكي الذي اعتبر مذهب رئيس للدولة في المغرب والأندلس.

---

(١) نفس السابق، ج٩٢٨/٢.

(٢) نفس السابق، ص٩٢٧-٩٢٨.

(٣) تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، تأليف د. السيد عبد العزيز عالم، د. أحمد مختار العبادي، ط مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٣م، ج٢٣٨/٢.

الفصل الثالث

الإسلام في الأندلس والمغرب العربي

يشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الأندلس قبل الفتح الإسلامي

المبحث الثاني: بقاء الإسلام في الأندلس.

المبحث الثالث: القرن الخامس وخصائصه.

المبحث الرابع: الدولة المرابطية.

المبحث الأول

حال الأندلس قبل الفتح

يشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: حال أسبانيا قبل الفتح.

المطلب الثاني: الديانة في أسبانيا قبل الفتح.

المطلب الأول
حال أسبانيا قبل الفتح

في المجتمع الأوربي الغربي بصورة عامة اعتقد رجال الدين دون غيرهم من الناس أنهم يشتركون وملائكة السماء في الرضاء الأبدي تفضلاً عما استقام لهم من تأدية المعجزات الناشئة عن واجباتهم وصلواتهم الدينية(١).

وفكر العرب في فتح أسبانيا بعد أن طردوا الروم من شمال أفريقيا وردوا جماح البربر وتم لهم بصعوبة فتح الأقطار الأفريقية التي كانت مسرحاً لحروب روما وقرطاجة والمغازى ماسينية وغيره من القادة المشهورين وكان للفينيقيين والأغارقة والقرطاجين مستعمرات في أسبانيا التي يسكنها السلت(٢) الغوليون.. إلى أن فتح الرومان بلاد أسبانيا على أثر الحروب اليونية ذلك قبل الميلاد بقرنين(٣).

وأن أسبانيا كانت قبل الفتح العربي تعيش في حالة إقطاعية ويسيطر عليها رجال الدين المسيحي ويدعون الكرامات والمعجزات ونشروا مذهبهم وحملوا عليه النّاس.

لقد حكم الرومان من غربين وشرقين بلدان شمال أفريقية حكماً تعسفياً واستغلوا المناطق التي سيطروا عليها أبشع استغلال ولم ينقلوا إلى تلك المناطق أية حضارة أو ثقافة لأنهم كانوا يحتلون مدناً كانت قد ازدهرت فيها الحضارة منذ قرون طويلة، لم يكونوا متفوقين بأي علم أو صناعة(٤).

وخلاصة القول فإن الرومان من شرقيين وغربيين بلاد أفريقيا الشمالية حكماً تعسفاً ظالماً فقد كانت مهيأة لحكم إسلامي يعيد للإنسان إنسانيته وحريته.

---

(١) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تأليف هـ.أ.ل، ط٢، نشر دار المعارف، ج٢/٢٦١.

(٢) سبق تعريفه.

(٣) حضارة العرب، غوستاف لوبون، نقله للعربية عادل زعتير، ط٤، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص٢٦٣.

(٤) الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقديم سعاد المستشار أحمد بن سودة، دار الأمير، الناشر بيروت ١٩٩٥، ص٩-١٠.

المطلب الثاني
الديانة في أسبانيا قبل الفتح

قال التلمساني[١]: كان عيسى عليه السلام بعث الحواريين في الأرض يدعون الخلق إلى ديانته فاختلف الناس وقتلوا بعضهم واستجاب لهم كثير منهم وكان من أسرعهم أجابه لمن جاءه من هؤلاء الحواريين خندش ملك القوط تنصر ودعا قومه إلى النصرانية[٢].

يقول ابن خلدون[٣]: كان منهم من تنتصر ومن تهود وآخرون مجوساً يعبدون الشمس والقمر والأصنام لهم ملوك ورؤساء[٤].

فقد كانت الديانة في أسبانيا هي الديانة المسيحية فقد وصلها الحواريون عليهم السلام أيام عيسى عليه السلام واستجاب لهم كثير من الناس.

وكذلك كما يقول ابن خلدون منهم يهود ومنهم مجوس يعبدون الشمس والقمر وكان يوجد فيهم من يعبد الأصنام ومع ذلك فقد كان لهم الملوك والرؤساء الذين يديرون البلاد لمصالحهم الخاصة كما سبق.

وخلاصة القول أن الديانة في أسبانيا قبل الفتح الإسلامي كانت يهودية ونصرانية ومجوسية فكانت لا تقوم على خلق ولا سماحة من قبل معتنقيها إنما كان مجتمع تغمره الفوضى والاستبداد السياسي والفساد والظلم وعبادة الملوك والرؤساء يفقدون الإيمان بالله العلي العظيم وكرامة الإنسان فقد كانوا عبيداً لسادتهم.

---

(١) العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ المالكي، ولد بتلمسان وبها نشأ وحفظ القرآن، وحصل بها على عمه أبي عثمان سعيد بن أحمد المقرئ، قرأ عليه صحيح البخاري والكتاب السنة، ثم رحل إلى فاس وكان له الفتوى أيام حكم مولاي أحمد المنصور، له كتاب نفح الطيب، وأزهار الرياض، توفي بالقاهرة ١٠٤١هـ، انظر ريحانة الألبا وزهرة الحياة، لشهاب الدين أحمد بن محمد ابن عمر الخفاجي، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، ط١، ١٩٦٧م، ج٢/١٧٤. ثم انظر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج١/٣٠٢.

(٢) فتح الطيب، المقري، ج١/١٣٥-١٣٦.

(٣) سبق تعريفه.

(٤) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج١، القسم الأول، الطبعة الرابعة من العرب المستعجمة، ص١٨٥.

فتح أفريقيا

يقول ابن عبد الحكم(١): وأراد عمرو أن يوجه إلى المغرب فكتب إلى عمر بن الخطاب (إن الله قد فتح علينا أطرابلس(٢)، وليس بينها وبين أفريقية إلا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين فتحها على يديه فكتب عمر أنها ليست بأفريقية لكنها المفرقة غادرة فغدروا بها لا يغزوها أحد ما بقيت(٣).

ولما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وأمر عبد الله بن سعد بن أبي السرح كان يبعث المسلمين في جرايد الخيل كما كانوا يفعلونه في أيام عمر رضي الله عنه يصيبون من أطراف أفريقيا ويفتحون فندب عثمان الناس لغزوها بعد المشورة منه في ذلك(٤).

وقد كان فتح أفريقيا عن الليث(٥) بن سعد سنة سبع وعشرين(٦)، وقد كان فتح أفريقيا في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان سيدنا عمر رضي الله عنه وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يخشى على المسلمين ويشفق عليهم أكثر من غيره وأن سيدنا عثمان صلى الله عليه وسلم كان حادباً أيضاً على مصلحة المسلمين ونشر الدعوة الإسلامية.

وخلاصة القول في هذا قد كان علماء الإسلام وفي حق الذين فتحوا الأندلس قريبي عهد بالنبوة فقد كانوا يتمسكون بالصدق والجهاد في سبيل الله.

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن ليث المصري المالكي (أبو القاسم) مؤرخ محدث، توفي ٢٥٧هـ، من مؤلفاته فتوح مصر وأخبارها، ذكره ابن حبان في الثقاة، انظر تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط١، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٩٣م، ج٢/٢٠٨.

(٢) الليث بن سعد بن عبد الرحمن من آل معرفة الفقه والحديث، حج سنة ١١٣هـ، وهو ابن عشرين سنة وسمع من نافع مولي ابن عمر، ولد سنة ٩٢هـ، وتوفي يوم الخميس سنة ١٧٥هـ، ووقت يوم الجمعة بمصر بالغرافة، انظر وفيات الأعيان، ابن حلكان، ج٣/٥٤٤.

(٣) فتوح أفريقيا والأندلس، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، حقق وقدم له عبد الله أنيس الطباع، ١٩٦٤م بيروت للطباعة والنشر، ص٣٣.

(٤) نفس المرجع السابق، ص٣٥.

(٥) بلدة بالغرب بينها وبين جبل تبوسة ثلاثة أيام، انظر المغرب في ذكر بلاد أفرقيا المغرب، لأبي عبيد البكري، ص١٨٢.

(٦) نفس السابق، ص٤٥.

وهؤلاء الخلفاء الراشدين قد كانوا جادين على فتح أكبر عدد من البلاد حتى يكون لهم حجة عند الله تعالى فاحيوا سنة الجهاد ولم يكن همهم دنيا قط في يوم من الأيام.

فقد جندوا الجيوش وأمدوها بالرجال، فقد كان كل مسلم يخرج للجهاد إلا من كان له عذر مانع.

المبحث الثاني
العصر الذي مكث فيه الإسلام الأندلس

يشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: عهد النبي ﷺ

المطلب الثاني: فتح المغرب والأندلس

المطلب الأول
عهد النبي صلى الله عليه وسلم

يشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: الخلافة وسياسة النبي صلى الله عليه وسلم

المسألة الثانية: الخلافة الراشدة.

المسألة الأولى

الخلافة وسياسة النبي ﷺ في أمور الرعية

العرب قبل الإسلام:

لا شك في أن حالة البدو في الصحراء كانت بسيطة ساذجة أما في المدن كمكة والمدينة في كان لهم قانون متطور فمكة بلد تجاري له علاقات تجارية مستمرة بسوريا الرومانية البيزنطية وبالعراق الشاساني وباليمن. والمدينة كانت بلداً زراعياً يضم جالبيه كبيرة من اليهود فكانوا متأثرين بالقانون الروماني الإقليمي: .. حتى يمكننا القول أن البلدان العربية كانت محكومة في القرن السادس الميلادي بقانون عربي متشعب الأطراف به عناصر من أسس عربية تعارف عليها العرب اختلطت بها أنواع من القانون الروحاني والساشاني واليهودي تطورت إلى درجة من نوع ما مختلفة اختلافاً ملحوظاً عما كانت عليه الحياة البدوية التي يحياها البدو في الصحراء(١).

الدعوة في مكة:

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هؤلاء العرب وهم على هذا الحال فقام على أعباء النبوة نحواً من ١٣ سنة بمكة وكانت مهمته الأولى وغرضه الوحيد بمكة مقصوراً على الدعوة الدينية وإرجاع الناس إلى إله واحد، وكان يتعجبون في دعوته إلى إله واحد قال تعالى: (أجعل الإلهة إلهاً واحداً إن هذا لشئ عجبا).

وعلى هذا جاء الوحي في الفترة المكية وثرّ هذه الموضوع مثل الإيمان بالله وتوحيده وتنزيهه والإيمان برسوله ووصف آثار الله في مظاهر الطبيعة(٢).

---

(١) تاريخ الفكر الديني الجاهلي، د. محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفرق الإسلامية السياسي، الخوارج والمرجئة، د. محمد إبراهيم الفيومي، ط١، ٢٠٠٣م، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، ٩٤ شارع عباس العقاد، القاهرة، ص٣٧.

(٢) الخوارج والمرجئة، ص٣٨.

الدعوة في المدينة:

كانت الهجرة إلى المدينة وربما تكونت أمة جديدة وأصبح الرسول صلى الله عليه وسلم بالإضافة إلى نبوته ورسالته القائد الأعلى الروحي والسياسي لهذه الأمة الجديدة فقد كانت المدينة قبل الإسلام مسرحاً لمعارك عنفيه بين الأوس والخزرج(١).

لما لحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى وقع الناس في حيرة من أمرهم إذ لم يستخلف على المسلمين خليفة يلزم الأمة إتباعه بل ترك الأمر إلى الأمة لتختار هي من تشاء فاجتمع الصحابة في سقيفة بني ساعده وبعد الأخذ والرد بين المهاجرين والأنصار تم العقد على أبي بكر رضي الله عنه(٢).

فسار الأمر شورى بين الصحابة رضوان الله عليهم ولا سيما هو رفيق في الغار وهو الذي تولي أمامة المسلمين في مرضه صلى الله عليه وسلم.

ثم سار أبو بكر رضي الله عنه سيرة حسنة لكنه ابتلى بحروب الردة لما ارتد كثير من العرب عن أداء الزكاة أو عن الإسلام بأكمله فأحرز الانتصار على المرتدين وأعادهم إلى جادة الإسلام وبذل كل ما في وسعه من النصح للإسلام والمسلمين وكان زاهداً شجاعاً في الحق(٣).

---

(١) الخوارج والمرجئة، ص٣٨.

(٢) مروج الذهب، المسعودي علي بن الحسين، تحقيق طه محمد الزيني، دار المعرفة بيروت، الحلبي وشركاه، ٣٧٥/٢، ثم انظر تاريخ الخلفاء، السيوطي عبدالرحمن أبي بكر، تحقيق محمد الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٧٥م، ص٦٩-٧٠.

(٣) الأمة والسياسة، لابن قتيبة ٢٣/١.

المسألة الثانية

الخلافة الراشدة

انتصر أبو بكر رضي الله عنه في حروب الردة على المرتدين، وقد اختارته الأمة كما اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحبته فهو أول من صدقه من الرجال وتوفي أبو بكر رضي الله عنه والمؤمنون راضون عنه.

ثم تولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة بعد أبي بكر بعهد منه سنة ثلاثة عشر هجرية وفي سنة أربع عشر فتحت دمشق(١) ما بين صلح وعنوة وحمص(٢)، وبعلبك(٣) صلحاً والبصر(٤)، كلاهما عنوة وفيها جمع عمر الناس على صلاة التراويح(٥).

ثم ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد اشتهر بالفقه والحياء والكرم وكان لين العريكة كثير الحلم وبذل كثير من ماله في الإسلام فقد كانت له السير الطولى في جيش العشرة الذي أعده الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك كما اشترى بئر رومة من يهودي(٦).

واستمر الحال وبايعه المسلمين عثمان رضي الله عنه بعد جدل وخلاف واسع فهم من رضي وفهم من لم يرضى.

---

(١) هي مدينة عريقة عمرها التاريخي طويل وهي عاصمة الجمهورية السورية وعاصمة الخلافة الأموية، انظر مراصد الاطلاع، عبدالحق، ج١/٤٢٥.

(٢) بلدة بين دمشق وحلب وحمص أيضاً بلدة بالأندلس وهم يسمون مدينة إشبيلية حمص، انظر مراصد الاطلاع، ج١/٤٢٥.

(٣) مدينة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، انظر مراصد الاطلاع، ج١/٢٠٧.

(٤) مدينة كبيرة على شط العرب في العراق وهي ثاني مدينة إسلامية قام المسلمون بنائها في العراق بعد الكوفة عام ١٧هـ وازدهرت في أيام العباسيين واشتهرت بمدارسها اللغوية، انظر المعجم الإسلامي، إعداد أشرف طه أبو الدهب، ط١، القاهرة دار الشروق، ٢٠٠٢م، ص١٣٢.

(٥) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٣١.

(٦) تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن، ج١/٢٥٦.

وبعد اختياره انقسم المسلمون إلى أمويين وهاشميين أو علويين فقد كان علي هو المقدم في بني هاشم لسبقه في الدين وإخلاصه وتضحيته في سبيل نصرة هذا الدين، ولأنه زوج فاطمة بنت رسول الله صلى الله رضي الله عنها أما العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لم يتطلع إلى الخلافة واكتفى بمساعدة علي(١).

وتوفي رضي الله عنه مقتولاً في سنة ٣٥هـ.

وخلاصة القول فقد كان من الحادبين على الإسلام وأهله ولعله لم يرد بسياسته التي نقموها عليه إلا الخير للمسلمين والله أعلم بما في ضمائر عباده.

فقد كان دائم العبادة مجتهداً باراً بأهله وأقر بأنه مما جعل المسلمون ينقمون عليه أشياء مثل هذه. ولم أتطرق إلى أسباب الفتنة التي قامت ومقتله وإن كانت هذه الأسباب مختلف في صحة بعضها فآثرت السلامة أن لا أخوض في تلك الأسباب.

ونسأل الله سبحانه وتعالى حسن العاقبة وأن لا يجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا وفي الله تعالى: (...وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ...)(٢).

بويع علي رضي الله عنه بالخلافة بالغد من قتل عثمان بالمدينة فبايعه جميع من كان من الصحابة رضوان الله عليهم ويقال أن حلم الزبير بايعا كارهين غير طائعين ثم خرجا إلى مكة وعائشة بها فأخذوها وخرجا بها إلى البصرة يطلبون بدم عثمان فبلغ ذلك علياً مخرج إلى العراق فلقي بالبصرة ظلم، والزبير وعائشة ومن معهم وهي موقعة الجمل(٣).

قال المسعودي: وقد اختلفت الفرق في أهل ملتنا في الحكمين وقد أتينا إلى ما ذهبوا إليه في ذلك وما قاله كل فريق منهم ومن أيد قوله من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم من فرق هذه الأمة(٤).

وهكذا بدأ الاختلاف بين الأمة والفتن إلى يومنا هذا وقد توفي علي رضي الله عنه سنة أربعين من الهجرة النبوية مقتولاً من قبل الخوارج الذين رفضوا التحكيم بينه

---

(١) نفس السابق، ص٢٦١.

(٢) سورة الحشر، الآية (١٠).

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٧٤.

(٤) نفس السابق، ص٤١٣.

وبين معاوية[1] فقد كان من الحادبين على نشر الدعوة الإسلامية إلا أن خلافته كانت في وقت صعب للأمة الإسلامية وكثرت فيه الخلافات وتعددت الفرق وانتشرت الآراء الفكرية المنحرفة التي لم تكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولاسيما وهو زوج فاطمة رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم.

وتولي معاوية بن أبي سفيان وفي عهده تم فتح أفريقيا وأسلم كثير من البربر فقد كان داهية من دهاة العرب[2].

وخلاصة القول عن هذا العصر أنه كان من خير القرون وكان فيه عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم وكانوا على سنة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده إلى أن تغم النّاس على سياسة عثمان رضي الله عنه في صدرها الثاني وخلافة علي رضي الله عنه فانتشرت الفرق الإسلامية والآراء الفكرية لا سيما قد اتسعت رفعة الدولة الإسلامية ودخل الإسلام كثيراً من الشعوب وقد حاول العامة تحويل الحكومة الإسلامية من بني أمية إلى آل البيت النبوي.

---

(١) تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن، ص٢٨٤-٢٨٨.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

المطلب الثاني
فتح المغرب والأندلس

يشتمل على ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: فتح المغرب.

المسألة الثانية: فتح الأندلس.

المسألة الثالثة: المعارك في فتح الأندلس.

المسألة الأولى

فتح المغرب

يقول ابن الأبار[1]: قدم موسى بن نصير المغرب أميراً عليها في سنة ثمان وسبعين وقال الليث[2] أمر موسى[3] بن نصير على أفريقيا سنة تسع وسبعين وكان والياً من قبل عبد العزيز[4] بن مروان فافتتح عامة المغرب وبعث بغنائمه إلى عبدالعزيز فأهداها إلى عبد الملك فسكن ذلك منه بعض ما كان يجد على موسى[5].

ثم توفي عبد الملك سنة ست وثمانين واستخلف الوليد[6] بن عبد الملك فتواترت فتوح المغرب عليه من قبل موسى فعظمت منزلته عنده واشتد عجبه به[7].

وقد بين ابن الأبار أن موسى بن نصير فتح عامة المغرب سنة تسع وسبعين وحاز على كثير من الغنائم ونال موسى بن نصير مكانة عظيمة عند الوليد بن عبدالملك الخليفة الأموي لها موسى وقد كانت نواة لفتح الأندلس.

ويقول ابن خلدون[1]: اختلفت أيدي البربر فيما بينهم على أفريقية فخلت أكثر البلاد وقدم موسى بن نصير على القيروان والياً على أفريقيا ورأى ما فيها من

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي الأندلسي البلنسي أبو عبد الله، ولد في بلنسية ٥٩٥هـ، وتوفي ٦٥٨هـ، من تصانيفه الحلة السيراء، تكملة الصلة لابن الشكوال، انظر فوات الوفيات، الكتبي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة السعادة مصر، ط١، ١٩٥١م، ج٢/٤٥.

(٢) سبق تعريفه ص ٣٧.

(٣) موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن يزيد اللخمي بالولاء أبو عبد الرحمن فاتح الأندلس أصله من وادي القرى بالحجاز، ولاه الوليد بن عبد الملك أفريقيا وما وراها من بلاد المغرب سنة ٨٨هـ، فأقام بالقيروان، مات بالمدينة المنورة سنة ٩٧هـ، انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج٤/٤٩٦.

(٤) عبدالعزيز بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين أبو حفص، ولد بالمدينة سنة ٥٦هـ، أمه أم عاصم بن عمر بن الخطاب، بعثه أبوه إلى مصر، ولما مات أبوه طلبه عبدالملك بن عبدالعزيز في دمشق، وزوجه بنته فاطمة. انظر فوات الوفيات، الكتبي، ج٢ /٢٠٦.

(٥) الحلة السيرا، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار، تحقيق حسين مؤنس، ط١، القاهرة، ج/٣٣٢-٣٣٣.

(٦) يكنى أبو العباس، أمه ولادة بنت العباس، ولي بعد وفاة أبيه سنة ٨٦هـ، ولد سنة ٤٨هـ، انظر خلاصة الذهب المسبوك، عبدالرحمن سبيط، ج٢/٣٣٢.

(٧) نفس السابق، ج٢/٣٣٢-٣٣٣.

الخلاف وكان ينقل العجم من الأقاصي إلى الأداني وأثخن في البربر ، ودوخ المغرب أدى إليه البربر الطاعة وولي على طنجة طارق بن زياد وأنزل معه سبعة وعشرون ألفاً من العرب، واثنى عشر ألفاً من البربر وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه[٢].

وهكذا فتحت أفريقية وفتح المغرب على يد موسى بن نصير وكان ذلك في عهد الخلافة الأموية وأدخل الإسلام عامة قبائل البربر وأسلم كل البربر في سنة إحدى ومائة.

---

(١) سبق تعريفه ص ٨.

(٢) المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج٦/٢٨-٢٩.

المسألة الثانية

فتح الأندلس

كتب موسى بن نصير إلى الوليد يعلمه بما دعاه إليه يليان في افتتاح الأندلس فكتب إليه الوليد أن خصها بالسرايا حتى تختبر شأنها ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال(١).

يقول ابن الأبار(٢): دخلها طارق بمداخلة صاحب طنجة من الروم وزحف يريد قرطبة فتلقته جنودها فهزمهم وبلغ ذلك لزريق ملك الروم فزحف إليه من طليطلة فاتفقوا على نهر لكه(٣) سنه اثنين وتسعين(٤).

يقول أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم(٥): إن موسى بن نصير خرج من أفريقيا غازياً إلى طنجة وهو أول من نزل طنجة من الولاة وبها من البربر بطون من البتر(٦) والبرانس(٧)، ممن لم يكن لهم دخل في الطاعة فلما دنا من طنجة بعث السرايا فانتهت قبله إلى السوس الأدنى فوطئهم وسبأهم وأرادوا إليه الطاعة وولي عليهم والياً أحسن فيهم السيرة(٨).

---

(١) تاريخ حضارة الإسلام والأندلس، د. عبد العزيز سالم، ١٩٨٥م الإسكندرية، ص٧.

(٢) سبق تعريفه.

(٣) سبق تعريفه.

(٤) الحلة السيراء: ابن الأبار، ج٢٠/٣٣٢-٣٣٣.

(٥) سبق تعريفه.

(٦) بأرض الأندلس نفزة وملكناسة وهوارة ومديونة من البتر.

(٧) وكتامة وزناتة ومصمودة ومليلة وصنهاجة من البرانس وسائر البربر الذين هم من البرانس مفترشون في سائر المغرب من شرق بحر الروم، أما نفزة ومكناسة فهم بالأندلس بين الجلالقة ومدينة قرطبة. انظر المسالك والممالك، ابن إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي، تحقيق د. محمد جابر عبد العال، الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٦١م، ص٣٦.

(٨) فتوح مصر وأخبارها، ابن القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم، ١٩٣٠م مكتبة المثنى بغداد، طبع في مدينة ليون، مطبعة بريل، ص٢٠٤-٢٠٥. الحلة السيرا، ابن الأبار ج٢/٣٣٢-٣٣٣.

يقول ابن الأبار: خلّف موسى على جيشه طارق بن زياد وكانوا ألفاً وسبعمائة فكان ذلك سبب فتح الأندلس[١].

ويقول ابن القوطية[٢]: إن آخر ملوك القوط بالأندلس غيطشة توفي عن ثلاث أولاد أكبرهم المند ثم رملة ثم أرطياش وكانوا صغاراً عند وفاة أبيهم بطليطلة[٣]، وانحرق لوذريف وكان قائداً للملك أبيهم بمن يطيق به من رجال الحرب فاحتل قرطبة، فلما دخل طارق الأندلس أيام الوليد كتب لذريق لأولاد غيطشة وقد ترعرعوا وركبوا الخيل يدعوهم لمناصرة الملك[٤].

فلما تقابل الفئتان أجمع المند وأخوانه على الغدر بلذريق ووصلوا بليلتهم تلك إلى طارق يعلمونه أن لذريق إنما كان كلباً من كلاب أبيهم ويسألونه الأمان على أن يخرجوا إليه في الصباح فلما أصبحوا انحازوا إليه فكان سبب الفتح[٥].

ويقول ابن قتيبة[٦]: فصار طارق في ألف رجل وسبع مئة في شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وقد كان لذريق ملك الأندلس قد غزا قوم يقال لهم البشكنسي[٧]، واستخلف ملكاً من ملوكهم يقال له تدمير فلما بلغ تدمير مكان طارق كتب إلى

---

(١) الحلة السيرا، ابن الأبار، ج٢/٣٣٢-٣٣٣.

(٢) هو محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى الإشبيلي الأصل القرطبي أبو بكر، ولد بقرطبة ونشأ بها، توفي بقرطبة ٣٦٧هـ، من تصانيفه تاريخ الأندلس، انظر معجم المؤلفين، كحاله، ج٣/٥٦٢.

(٣) مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس يتصل عملها بعمل وادي الحجارة كانت قاعدة لملوك القرطبيين وهي على شاطئ نهر باجة، انظر مراصد الاطلاع، للبغدادي، ج٢/٨٩٢.

(٤) تاريخ افتتاح الأندلس، لابن القوطية القرطبي، تحقيق وشرح وتعليق علي مخطوطتي باريس ومدريد، قدم له عبد أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، ص٢٨-٣٠.

(٥) نفس المرجع السابق، ص٢٨-٣٠.

(٦) هو أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري الكاتب النحوي اللغوي مرزوي الأصل، ولد ببغداد ونشأ بها وأقام بالدنيور مدة فنسب إليها، من كتبه "غريب القرآن وغريب الحديث"، توفي ٢٧٦هـ، انظر أخبار الرواة، القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل، ط١، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م، ج٢/١٤٣.

(٧) من الجلالقة. انظر ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج٤/٢٩٩.

لذريق أنه قد وقع بأرضنا قوم لا ندري أم من السماء نزلوا أم من الأرض نبعوا، فلما لذريق أقبل راجعاً إلى طارق في سبعين ألف عنان[1].

وكان المجاز الذي بينه وبين أهل الأندلس عليه رجل من العجم يقال له يليان صاحب سبتة، كان على مدينة على المجال يقال لها الخضراء مما يلي طنجة، وكان يليان يؤدي الطاعة إلى لذريف صاحب الأندلس وكان يليان قد بعث بابنة له إلى لذريف ليؤدبها ويعلمها فأحبلها، فبلغ ذلك يليان فقال لا أرى عقوبة ولا مكافأة إلا أن أدخل عليه العرب فبعث إلى طارق أنى مدخلك الأندلس[2].

وخلاصة البحث إن فتح الأندلس قد كان سنة اثنين وتسعين على يد موسى بن نصر وطارق بن زياد وتعددت أسباب فتحه على ما كان في قصة بليان مع لذريق وقوات المسلمين في طنجة.

وقد يسر الله تعالى فتح الأندلس رحمة منه بأهلها بإخراجهم من الظلمات إلى النور وعبادة الباري وحده وتوفيقاً من الله تعالى لنشر دعوته فكان الفتح رحمة وهداية وتبشيراً وإنذاراً واختياراً وبلاءً من الله تعالى للمسلمين فينظر ما ذا عاملون.

لقد كان هؤلاء الصحابة أهل جهاد ودعوة ولم يكونوا أهل دنيا في يوم من الأيام وحتى تابعيهم هؤلاء كانوا سائرين على دربهم إلى أن لقوا الله تعالى.

---

(١) الأمامة السياسية، الإمام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدنيوري، تحقيق طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر، ج١/٦٠.

(٢) فتوح مصر وأخبارها، ابن عبد الحكم، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٦٠م، طبع في مدينة ليون بريل، ص٢٠٥.

المسألة الثالثة

المعارك في الأندلس أبن الفتح:

أولاً: التخطيط لفتح أسبانيا:

كتب موسى إلى الوليد بتلك الفتوح وبها دعا إليه يليان فكتب إليه أن خصها بالسرايا حتى تختبر ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال، فكتب إليه أنه ليس ببحر إنما هو خليج يصف صفة ما خلفه للناظر فكتب إليه إن كان فاختبره بالسرايا، فبعث رجلاً من مواليه يقال له طريف[1]، ويكنى بابن زرعة في أربع مئة ومعهم مئة فارس، فصار في أربع مراكب حتى نزل بمراكبه جزيرة يقال لها الأندلس التي هي معبر مراكبهم ، يقال لها طريف سميت به لنزوله فيها فأقام حتى تتام إليه أصحابه ثم نهض حتى غار على الجزيرة سنة إحدى وتسعين[2].

ويقول ابن الأثير[3]: لما ولي لذريف أرسل إليه يوليان وهو صاحب الجزيرة الخضراء ولقيه ابنه له فاستحسنها لذريف وافتضها فكتبت إلى أبيها فأغضبه ذلك فكتب إلى موسى بن نصير بالطاعة واستدعاه إليه فأدخله يوليان مدائنه وأخذ عليه العهود له ولأصحابه بما يرضى ثم وصف له الأندلس ودعاه إليها آخر سنة تسعين[4].

---

(١) أبو الوليد طريف بن عبيد الله الموصلي مولي بني هاشم، ضعفه الدارقطني، انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج١٤/١٥٠.

(٢) أخبار مجموعة في فتح الأندلس، مكتبة المثنى بغداد، ١٨٦٧م طبع في مدينة بحريط بمطبع ربونير المسيحية، ص٦٠٥.

(٣) علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الموصلي المعروف بابن الأثير الجزري عز الدين أبو الحسن، مؤرخ، محدث، أديب، لغوي، بياني، نسابة، ولد بجزيرة ابن عمر سنة ٥٥٥هـ، وتوفي سنة ٦٣٠هـ، من تصانيفه الكامل في التاريخ، اللباب في تهذيب الأنساب، انظر هدية العارفين، البغدادي، ٧٠٦/١، ثم معجم المؤلفين، كحاله، ٥٢٣١٢، ط١، بيروت الرسالة ١٩٩٣م.

(٤) الكامل في التاريخ، العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر ١٩٦٥م، ج٤/٥٦١، انظر صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، الحميري، بروفنسال، ص٨.

ثانياً: عبور المسلمين إلى أسبانيا:

كان الملك لما يلفته غارة طري أعظم ذلك وكان غائباً قد غزا بنيلونة[1]، فأقبل منها وقد دخل طارق فجمع له جمعاً يقال مائة ألف فلما بلغ إلى طارق كتب إلى موسى يستعده ويخبره أن الله قد فتح عليه الجزيرة واستولوا عليها وعلى البحيرة وقد زحف عليه ملك الأندلس بما لا طاقة له به[2].

إلى أن قال فأقبل إليهم لذريق ومعه خيار أعاجم الأندلس وأبناء ملوكها فلما بلغتهم عدة المسلمين تلاقوا بينهم فقال بعضهم لبعض ابن الخبيثة، قد غلب على سلطاننا وليس من آله، وإنما كان من سفالنا وهؤلاء قوم لا حاجة لهم بإيطان بلدنا إنما يريدون أن يملوا أيديهم ثم يخرجون[3].

ثالثاً: التلمساني[4]: (فتح العرب لأسبانيا):

شُوق موسى إلى هناك وأخذ بالحزم فيما دعا إليه يليان فعاقده عن الانحراف إلى المسلمين واستظهر عليه بأن سامه مكاشفة آل ملته من الأندلس المشركين وشن الغارة فيها ففعل يليان ذلك، وجمع جمعاً من آل عمله فدخل بهم في مركبين وحل بساحل الجزيرة الخضراء فأغار وقتل وسبي وغنم وأقام بها أياماً ثم رجع بمن معه سالمين[5].

رابعاً: معركة جبل طارق:

جبل خرج فيه طارق بن زياد ومنه افتتحت الأندلس وهو عند الجزيرة الخضراء بجبل طارق مرسي مُكنّ من كل ريح وبه غريبة وهو غار هناك يعرف بغار الأقدام يرى من البطحاء التي تلي الغار أثر قدم فيه أبداً وليس هناك طريق ولا منفذ إلى غير الغار[6].

---

(١) مدينة في غرب الأندلس هي قاعدة النبري أحد ملوك الفرنج انظر (تقويم البلدان ، أبي الفداء صاحب حماة ص ١٨١) .

(٢) أخبار مجموعة، لمؤلف مجهول، ص٦–٨.

(٣) نفس المرجع السابق، نفس الصفحات.

(٤) سبق تعريفه.

(٥) نفح الطيب، المقري، ج١/٢٣٧.

(٦) الروض المعطار ، الحميري، ص١١.

خامساً: معركة شذونة:

التقى لذريق ملك الأندلس في مجموعة من العجم وطارق فيمن معه من المسلمين يوم لليلتين بقيتا من شهر رمضان لسنة اثنين وتسعين، فاتصلت الحرب بينهم إلى يوم الأحد لخمس خلون من شوال بعده، ثم هزم الله المشركين فقتل منهم خلق عظيم أقامت عظامهم بعد ذلك دهراً طويلاً بتلك الأرض وحاز المسلمون من عسكرهم ما يجُعل قدرهم فكان[١].

سادساً: خطبة طارق قبل الحرب:

فلما بلغ طارق دنوه قام في أصحابه فحمد إليه وأثنى عليه بما هو أهله ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم فيه ثم قال أيها الناس أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر وأعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مادية اللئام[٢].

سابعاً: حرق المراكب:

الجزيرة الخضراء أول مدينة افتتحت من الأندلس في صدر الإسلام وذلك سنة تسعين وافتتحها موسى بن نصير من قبل المروانيين[٣]، ومعه طارق بن عبدالله بن ونموا الزناتي ومعه قبائل البربر، ويقال أن هناك اجتمعت رايات القوم وكان وصولهم إليها من جبل طارق لأن طارق لما جاز يحق معه تحصنوا بهذا الجبل فأحسن في نفسه أن العرب لا تثق به فأراد أن يزيح ذلك عنه فأمر بإحراق المراكب التي جاز فيها فتبرأ بذلك عما أتهم به[٤].

---

(١) الروض المعطار، الحميري، ص١٦٩-١٧٠.

(٢) نفح الطيب، المقري، ١/٢٢٥.

(٣) هم الذين توارثوا عقبة بن عبد الرحمن الناصر من بني أمية تسمى بأمير المؤمنين، وتوارث أبناؤه الإمارة من بعده إلى أن كانت آخر الدولة المروانية في الأندلس، انظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المراكش، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة ١٩٦٣م، ص١٢٥.

(٤) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ابن عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي، ط مكتبة الثقافة الدينية ١٩٩٤م، ج/٥٣٩-٥٤٠.

ثامناً: إتمام فتح أسبانيا:

أما من وجه إلى مالقة ففتحوها ولجأ علوجها إلى جبال هناك ممتنعة ثم لحق بعد ذلك الجيش بالجيش المتوجه إلى ألبيرة[١] فحاصروا مدينتها غرناطة فافتتحوها عنوة، وضموا اليهود إلى قصبة غرناطة، وصار ذلك لهم سنة في كل بلد يفتتحونه ومضى الجيش إلى تدمير وكان ملكها عليماً داهية وقاتلهم مضحياً، ثم استمرت عليه الهزيمة، وبلغ السيف في أهلها مبلغاً عظيماً ولجأ العلج إلى أريولة[٢] في يسير من أصحابه إلى أن دبر مكيدة صلح مع المسلمين[٣].

فالتقى لذريق وطارق بالجزيرة بموضع يقال له البحيرة فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت الميمنة والميسرة، ثم انهزم لذريف واذرع المسلمون فيهم بالقتل[٤].

ثم مضى طارق إلى الجزيرة ثم إلى مدينة استجة[٥] فلقيه أهلها ومعهم فل من العسكر فقاتلوه حتى كثر القتل والجراح في المسلمين، ثم أن الله تعالى أنزل عليهم نصرة وهزم المشركين فورد طارق عيناً من مدينة استجة على نهرها على أربعة أميال فسميت العين عين طارق[٦].

خلاصة القول إن فتح العرب المسلمين لأسبانيا قد تم في تخطيط سليم أثر خطة موضوعة وأنزل الله نصرة على المسلمين وعجل لهم به بالرغم من المقاومة التي وجدوها وأثرت أن أذكر المعارك التي دارت بشيء من التفصيل حتى يكون القارئ سريع الفهم لهذا الفتح فكانت هذا الترتيب لهذه المعارك بهذه الطريقة مهماً على حسب علمي.

---

(١) كورة كبيرة بالأندلس ومدينة متصلة بأرض كورة قبرة بين القبلة والشرق في قرطبة، بينها وبين قرطبة تسعون ميلاً، انظر معجم البلدان، الحموي، ج١/٢٤٤.

(٢) مدينة بشرق الأندلس من ناحية تدمير، انظر مراصد الاطلاع، ج١/٦٤.

(٣) نفح الطيب، للتلمساني، ٢٤٩/١، بتصرف.

(٤) أوراق مجموعة، لمؤلف مجهول، ص٨-١٢.

(٥) بالكسر ثم السكون كورة بالأندلس تتصل بأعمال ريه بين القبلة والمغرب من قرطبة على نهر غرناطة، انظر مراصد الاطلاع، ج١/٧٠.

(٦) نفس المرجع السابق، ص٨-١٢.

وإن دل إنما يدل على نصر الله تعالى للحق حينما كان إذ يقول تعالى: (وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)[1].

وقال رسول الله صلى الله عليهم: (واعلم أن النصر مع الصبر)[2]، فصبر أولئك المسلمون حتى نصرهم الله وأعز دينه وأثبت أجورهم إنشاء الله وحشرهم في زمرة الشهداء أنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٢٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج١/٣٠٧، المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق د. بدر الدين جيتن آر، ط٢، تونس- دار سحنون، ١٩٩٢م.

المبحث الثالث

القرن الخامس وخصائصه

يشتمل على مبطلين:

المطلب الأول: عهد الولاء.

المطلب الثاني: ملوك الطوائف.

المطلب الأول

عهد الولاة

يشتمل على ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: ما تميز به عهد الولاة.

المسألة الثانية: الدولة الأموية بالأندلس.

المسألة الثالثة: العلوم عند الأمويين.

المسألة الأولى

ما تميز به عهد الولاة

ابتداء من سنة اثنين وتسعين هجرية بعد الفتح مباشرة.

أولهم طارق بن زياد(١)، مولي موسى بن نصير(٢)، وكلاهما لم يتخذ سرير للسلطنة وثم عبد العزيز بن موسى بن نصير وسريره بإشبيلية ثم أيوب بن حبيب اللخمي وسريره قرطبة.

ومدتهم منذ تاريخ الفتح من لذريق سلطان الأندلس النصراني هو يوم الأحد لخمس خلون من شوال سنة اثنين وتسعين هجرية إلى يوم الهزيمة إلى يوسف بن عبد الرحمن الفهري وتغلب عبد الرحمن بن معاوية المرواني على سرير ملك قرطبة سنة مائة وثمان وثلاثين إلى ستة وأربعين عاماً وخمسة أيام(٣).

وخلاصة القول أن عهد الولاة في الأندلس انحصر في صفوة المسرة فقد كان عصراً ذهبياً قريب عهد بالقرون الأولى المفضلة وقد كانوا ينتقلون من مدينة إلى أخرى حسب سياسة كل والي.

ما تميز به عهد الولاة:

اهتم ولاة الأندلس بتنظيم البلاد وإدارتها وحسن السياسة للرعية بكل جماعاتها والقيام بالإصلاحات اللازمة وأمر عمر بن عبد العزيز(٤)، السمح بن مالك(١): (أن يحمل الناس على طريق الحق ولا يعدل بهم عن نهج الرفق)(٢).

---

(١) هو طارق بن زياد الليثي بالولاء فاتح الأندلس أصله من البربر أسلم على يد موسى بن نصير ولما تم لموسى فتح طنجة ولي عليها طارقاً سنة ٨٩هـ، فأقام فيها إلى أوائل سنة ٩٢هـ، ثم غزا طارق الأندلس بنحو اثنى عشر ألفاً معظمهم من البربر، توفي سنة ١٠٢هـ، انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج٤/٥٠٠، ثم الأعلام، الزركلي، ٢١٧/٣.

(٢) سبق تعريفه.

(٣) نفح الطيب، المقري، ٢٧٩/١-٢٨٠.

(٤) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين أبو جعفر رضي الله عنه، ولد بالمدينة سنة ٦٠هـ، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وفاته سنة ١٠١هـ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً، تولي الخلافة سنة ٩٩هـ، وتوفي ١٠١هـ، انظر فوات الوفيات، الكتبي، ج٢/٢٠٦.

عاش المسلمون أحراراً في عقائدهم وبقيت الكنيسة تملك بعض الأراضي وكان النصارى أحراراً في عقد مجامعهم واختلط كثير من غير المسلمين بالمسلمين وتقبلوا لقتلهم وكثير من عاداتهم(٣).

ويمثل عهد الولاة في الأندلس التحول والانتقال إلى حياة جديدة خيرة فيها التنور والامتداد في العروش الثابتة النيرة وهو هدف أصيل(٤).

وقامت في عهدهم بعض الأعمال العمرانية منها إنشاء المساجد في الأماكن المختلفة وهو أمر كان أول شيء ينجزه المسلمون حين يقومون في مكان ما(٥).

وخلاصة القول فقد كان عهد الولاة عهد اهتمام الدولة الإسلامية برعيتها واتسم بالعدل والإنصاف والتعايش مع الأديان الأخرى الموجودة في الأندلس.

وقد تطرقت لهذا العهد لأنه أساس قيام الدولة الإسلامية في الأندلس وهو النواة الحقيقية للإسلام في القارة الأوربية واتصف الإسلام فيه بالسماحة والرفق وعرضه على الأديان الأخرى في الأندلس وما جاورها من الأقطار، حتى يرغب فيه غير المسلمين فتكون وسيلة لنشر دعوة إذ لا همَّ لهم آنذاك إلا نشر الدعوة الإسلامية.

---

(١) السمح بن مالك الخولاني، نسبة إلى قبيلة خولان اليمنية، أهم عمل قام بها هو عبور جبال البرتات، وغزو جنوب فرنسا، انظر في تاريخ المغرب والأندلس، للعبادي، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٨م. ص ---، ثم انظر نفح الطيب، للمقري، ج٤/١٣. ثم انظر في تاريخ الأندلس، لابن الفرضي، ص١٩٥.

(٢) البيان المغرب، ابن عذاري، ٢/٢٦.

(٣) التاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى قوط غرناطة، د. عبد الرحمن علي الحجي، دار القلم دمشق، ص١٤١.

(٤) نفس السابق، ص١٣١.

(٥) نفس السابق، ص١٤٢.

المسألة الثانية

الدولة الأموية بالأندلس

يقول ابن الخطيب[١]: لما أتيح للعباسية انفطر بمروان بن محمد الجعدي[٢] بأحواز مصير وانقرضت دولة بني أمية وصاحت بهم الأيام وقع الطلب عمن أقلت منهم كان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك هذا ممن شرده الخوف واستشار به الجلاء والاختفاء إلى المغرب[٣].

وفي عام مائة وثلاثة وثلاثين مات بمصر مروان الثاني آخر خليفة من بيت بني أمية وكان قد التجأ إليها ملتمساً ملاذاً لنفسه وبموته بدأت أسرته الكبيرة تعاني اضطهاداً وحشياً على أيدي العباسيين[٤].

يقول ابن الآبار[٥]: مؤسسها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الداخل إلى الأندلس يقال له صقر قريش سماه أبو جعفر المنصور بذلك وكنيته أبو المطرف وقيل أبوزيد وقيل أبو سليمان هرب في أول دولة بني العباس إلى المغرب وتردد بنواحي أفريقيا دهراً في أقواله في نقرة من قبائل البربر[٦].

---

(١) محمد بن عبدالله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني الغرناطي، قرطبي الأصل، أبوعبدالله لسان الدين، يعرف بابن الخطيب، الإمام الأوحد، صاحب الفنون المنوعة، والتآليف العجيبة، ذو الوزارتين، من كتبه الإحاطة في تاريخ غرناطة، وغيرها، ولد سنة ٧١٣هـ، وتوفي ٧٧٦هـ، انظر نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠٠٤م، ج٢/١٠٤. ثم انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، حققه وقدم له ووضع فهارسه محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، ج٤/٨٨.

(٢) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي أبو عبد الملك ويعرف بالجعدي وبالحمار، آخر ملوك بني أمية في الشام ولد بالجزيرة سنة ٧٢هـ، ولاه هشام بن عبد الملك على أذربيجان وأرمينية والجزيرة سنة ١١٤هـ، توفي ١٣٢هـ، النجوم الزاهرة عن ملوك مصر والقاهرة، لابن تغريردي الأتابكي، ج١/٣٢٢.

(٣) تاريخ أسبانيا الإسلامية، ابن الخطيب، ط٢، دار الكشوق بيروت، ١٩٥٦م، ص٧.

(٤) تاريخ مسلمي أسبانيا، دوزي، ترجمة حسن حبشي، مراجعة جمال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الموسوعة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار المعارف القاهرة ١٩٦٣م، ص١٨٣.

(٥) سبق تعريفه.

(٦) الحلة السيراء، ابن الأبار، ج١/٣٥-٣٦.

وخلاصة القول استطاع عبد الرحمن بن معاوية أن يعيد مجد دولة بني أمية وأن يقيمها في الأندلس بعد استيلاء الدولة العباسية على مقاليد الأمور وهرب إلى المغرب خوفاً من بطش العباسيين إلى أن دخل الأندلس بعد أن هزم أميرها يوسف بن عبد الرحمن الفهري(١).

وقد ذكر ابن حزم(٢): ذكر غير واحد منهم ابن حزم أن دولة بني أمية بالأندلس كانت اثيل دول لها سلام واتكأها في العدو يلفت من العز والتعمير ما لا مزيد عليه(٣).

علاقة الدولة الأموية بالخلافة العباسية:

يقال أنه أقام أشهراً دون السنة يدعو لأبي جعفر المنصور متقبلاً في ذلك يوسف الفهري الوالي قبله إلى أن أفرد نفسه بالوعاء ويقال أن عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم أشار عليه بذلك(٤).

فقد انقطعت الدعوة للخلافة العباسية في الأندلس بعد استيلاء صقر قريش على الحكم في الأندلس وأصبحت الأندلس مستقلة روحياً عن الخلافة العباسية.

---

(١) نفس السابق، ج١/٣٥-٣٦.

(٢) هو علي بن سعيد بن حزم بن غالب (أبومحمد) أصله من الفرس وجده الأقصى في الإسلام اسمه يزيد مولى ليزيد بن أبي سفيان كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث، وفقيهاً مستنبطاً للأحكام في الكتاب والسنة، له كتاب الأحكام في أصول الأحكام انظر (جزوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، تأليف الحميدي أبي عبدالله محمد بن أبي نصر بن عبدالله الأزدي ٤٨٨هـ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م ص ١٠٨).

(٣) نفح الطيب، المقري، ج١/٣٠٦.

(٤) الحلة السيراء، ابن الأبار، ج١/٣٥-٣٦، وانظر نفح الطيب، المقري، ٥٩/٤.

المسألة الثالثة
العلوم في الدولة الأموية

يقول الأستاذ الدكتور محمد بيصار: أما في منتصف المائة الثالثة وذلك في عهد محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن فقد تحرك أفراد من الناس إلى طلب العلوم ولم يزالوا يظهرون مظهراً غير شائع إلى قرب وسط المائة الرابعة[١].

ويقول ابن صاعد[٢]: وأما الأندلس فكانت أيضاً بعد تغلب بني أمية عليها جماعة عنيت بطلب الفلسفة ونالت أجزاء كثيرة منها وكانت الأندلس قبل ذلك الزمان خالية من العلم[٣].

ومن الذين اعتنوا بعلم الحساب والنجوم أبو عبيدة[٤] مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة البلنسي المعروف بصاحب القبلة لأنه كان يسرف كثيراً في صلاته وكان عالماً بحركات الكواكب وأحكامها وكان مع ذاك صاحب فقه وحديث.

وخلاصة القول أن الدولة الأموية في الأندلس كانت مزودة في كثير من العلوم وقد نقلت حضارتها إلى الأندلس وأظهرت بروزها في كثير من الميادين العلمية والعسكرية وبانهدامها انهدمت الأندلس وانتهت الدولة الأموية بالأندلس في الحال.

---

(١) طبقات الأمم، ابن صاعد، ص٦٤.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) طبقات الأمم، ابن صاعد، نشره وذيله بالحواشي وأردفه بالروايات والفهارس الأب لويس شنجو اليسوعي ينشر تتابع في السنة الرابعة عشر من مجلة المشرق بيروت، المكتبة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩١٢م، ص٦٢.

(٤) سبقت ترجمته ص ٢٥.

المطلب الثاني
ملوك الطوائف

يشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: التعريف بهم.

المسألة الثانية: علاقتهم بالعالم من حولهم.

المسألة الأولى
التعريف بملوك الطوائف

أولاً: ملوك الطوائف.

ثانياً: أهم ملوك الطوائف.

أولاً : ملوك الطوائف

يقول ابن الخطيب(١): ذهب أهل الأندلس من الانشقاق والانشعاب والافتراق إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار مع امتيازها بالمحل القريب والخطة المجاورة لعباد الصليب ليس لأحدهم في الخلافة إرث ولا في الإمارة سبب ولا في الفروسية نسب اختطوا الأقطار واقتسموا المدائن وجندوا الجنود وقدموا القضاء وانتحلوا لها أسماء.

يقول د. فليب حتي(٢): ونشأ على أنقاض الخلافة الأموية مجموعة من الدول الصغيرة كان همها التنازع فيما بينها بعد أن سقطت هذه الدويلات فريسة لدولتين بربريتين من مراكش اكتسحتها كلها الواحدة تلو الأخرى.

وهكذا فقد شهد النصف الأول من القرن الحادي عشر لا أقل من عشرين دولة قامت في نحو عشرين مدينة ساسها زعماء وأمراء عرفوا في التاريخ عند العرب بملوك الطوائف(٣).

(وهذه الكلمة مصطلح تاريخي ما يزال يضرب مثلاً على تمزق الدولة الواحدة وتضارب بعضها مع بعض واستعانة بعضها للأجانب ضد بعض وعصر ملوك الطوائف في الأندلس امتد قرابة ثمانين سنة ما بين وفاة المظفر(٤) بن أبي عامر علم

---

(١) سبق تعريفه.

(٢) فليب حتي: ١٣٠٤-١٣٩٩هـ=١٨٨٦-١٩٧٨م، مؤرخ وباحث وعلامة، هو أول من أسس أكبر دائرة للدراسات الإسلامية الشرقية، في برنستون في أمريكا، وترجم حضارة الشرق إلى الغرب، ولد في قرية شملان، على سفوح جبل لبنان، انظر الموسوعة العربية، الحافلة الكهربائية الخمائر، ط١، ٢٠٠٣، ج٨/٤٣.

(٣) تاريخ العرب -مطول- بقلم د. فيليب حتي، د. إدوارد جرجي، د. جبرائيل جبور، ط ع، بيروت دار الكشاف ١٩٦٥م، ج٢/٦٣٩.

(٤) المظفر بن الأفطس سلطان الثغر الشمالي من الأندلس ودار ملكه بطليوس، كان رأس في العلم والأدب والشجاعة والرأي، وكان مناغراً للروم شجي في حلوقهم، له تأليف كبير في الأدب على هيئة عيون الأخبار، لابن قتيبة، توفي بعد ٤٧٠هـ، وقبلها، انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج١٨/٥٩٤.

ثلاث مائة وتسعة وتسعين الذي كان مسيطراً هو وأبوه المنصور على الخليفة هشام المؤيد الصبي الصغير وما بين سنة ربع مئة وتسعة وتسعين)[1].

ويقول ابن الأثير[2]: ثم إن الأندلس اقتسها أصحاب الأطراف والرؤساء فغلب كل إنسان على شيء منها فصاروا مثل ملوك الطوائف وكان ذلك أحقر شيء على المسلمين فطمع بسببه العدو الكافر خذله الله فيهم، ولم يكن لهم اجتماع إلى أن ملكه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[3].

وخلاصة القول أن الأندلس بعد فتحها خضعت لحكم الولاة ثم حكم الدولة الأموية وبعد سقوط الدولة الأموية أقتطعها ملوك الطوائف فقد أصبحت دولة ممزقة مما سهل سيطرة المسيحيين عليها فما زالت في تلك التفرق إلى أن ملكها الأمير يوسف بن تاشفين بعد أن جاز إليها من المغرب باستدعاء بعض أمراء الطوائف له على ما سنرى فيما بعد.

وقد استمرت فترة حكمهم قرابة الثمانين عاماً ولم يكن لهم هم إلا الحكم والاستنصار بالنصارى على بعضهم.

فقد كانت الدعوة الإسلامية دعوة جامعة تسعى لحماية الفرد والمجتمع ونبذ الفرقة والشتات وتوحيد الكلمة على ما يرضي الله تعالى إذ يقول الله تعالى: (وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا...)[4].

ويقول تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...)[5].

ومن الواجبات على أمة الإسلام الوحدة والتراحم فيما بينها وقد بين الله تعالى ذلك كما سبق والآيات في ذلك كثيرة وقد حكي النبي صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن

---

(١) موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، شاكر مصطفى، ط١، دار العلم للملايين، ١٩٩٣م، ج٢/٦٢٧.

(٢) سبق تعريفه.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ط دار صادر، بيروت ١٩٦٦م، ج٩/٢٨٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية (١٠٣).

(٥) سورة آل عمران، الآية (١١٠).

فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلم ستره الله يوم القيامة)[1].

فيجب على كل مسلم إعانة أخيه المسلم ولا يجوز له النصرة من الكفار على المسلمين ولا موالاتهم إذ يقول الله تعالى: (لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ...)[2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب-١٥- باب تحريم الظلم، ج٣/١٩٩٦، ح رقم ٢٥٨٠، صحيح مسلم، للإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط٢، تونس- دار سحنون للطباعة ١٩٩٢م.

(٢) سورة المجادلة، الآية (٢٢).

ثانياً : أهم ملوك الطوائف

أولاً: مملكة اشبيلية:

أصحابها من العرب هم بنو عباد اللخميون[١]، وقد أسس هذه الدولة إسماعيل بن عباد علي مدينة اشبيلية أولاً ثم عمل بنو عباد منذ عام أربع مائة وأربعة إلى عام أربعمائة وأربعة وثمانين على توسيع رقعة بلادهم بالإغارة على الإمارات الصغيرة التي تجاورهم[٢].

ويقول عبد الواحد المراكش[٣]: ولم يزل المعتمد هذا في جميع مدة ولايته والأيام تساعده على ما يريده يوازره ويعاضده إلى أن انتظم له في ملكه من بلاد الأندلس ما لم ينظم لملك قبله أعني من المتغلبين ودخل في طاعته مدن من مدائنها أعيت الملوك وأعجزتهم وامتدت مملكته إلى أن بلغت مدينة مرسية[٤].

ثانياً: مملكة طليطلة:

تعرف بالثغر الأوسط لأنها من الممالك المواجهة للحدود الأسبانية لأصحابها بني النون المغاربة[٥]، من رجالاتها يحيى الملقب بالمامون الذي دخل في نزاعات مع بني هود صاحب سرقسطة[٦]، وابن عباد صاحب اشبيلية.

---

(١) أصحاب اشبيلية وأشهر ملوك الطوائف بالأندلس قامت دولتهم على أنقاض الخلافة الأموية الأندلسية على يد أبي القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي، أنهى حكمها يوسف بن تاشفين، ٤١٤-٤٨٤هـ، انظر المعجم الإسلامي، أشرف طه، ص٣٩٥.

(٢) الصراع على اشبيلية بين الفونسو السادس ويوسف بن تاشفين، ٤٠٤-٤٨٤هـ، د. فارس بوز ، دراسة تاريخية، مجلة علمية، السنة العشرون، العددان ٦٩-٧٠، كانون أول ١٩٩٩م.

(٣) هو عبد الواحد بن علي التميمي الحافظ مجد الدين أبومحمد المراكشي المغربي المالكي، ولد بمراكش ٥٨١هـ، توفي ٦٤٧هـ، صنف المعجب في أخبار المغرب في التاريخ، انظر هدية العارفين، البغدادي، ج٦٣٥/١.

(٤) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي، تقديم تحقيق د. محمد زينهم محمد عزب، دار الفرحان للنشر والتوزيع ١٩٩٤م، ص١١٥.

(٥) مسلمي أسبانيا، لابن الخطيب ، ط ١٩٦١م، ص٦٣.

(٦) بلدة مشهورة بالأندلس وهي أيضاً بليدة من نواحي خوارزم، انظر مراصد الاطلاع، عبدالحق، ج٧٠٨/٢.

كما استعان بالأسبان في سبيل تحقيق أطماعه وحاول الاستيلاء على قرطبة من بني عباد ففشل[1][2].

ثالثاً: مملكة بطليوس الثغر الأدنى:

لأصحابها بني الأفطس المغاربة الذين انتسبوا إلى قبيلة تجيب العربية وقد امتدت رقعة صفوة المملكة على حوض نهرانه واتخذت بطليوس عاصمة لها ومن أشهر رجالات هذه الدولة محمد بن الأفطس[3] الملقب (بالمظفر) (المتوكل) الذي سقطت في عهده مملكة بطليوس في عهد المرابطين[4].

خامساً: مملكة غرناطة:

وأصحابها بنو زيري الصنهاجيون (٤١٢-٤٨٣) قد أسس هذه الدولة حبوس[5] بن ماكس ثم خلفه ابنه باديس الذي استولى على مالقة[6].

سادساً: مملكة المرية:

لأصحابها بني صمادح (٤٣٣-٤٨٤) الذين تولوا الحكم فيها أثر انقسام الدولة التي أقامها موالي العامرية في شرق الأندلس وهذه المملكة من أصغر الدول المذكورة لكنها غنية بالموارد بسبب نشاط مدينة المرية[7] التجاري[8].

وخلاصة القول انقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة مفككة واتخذ ملوك هذه الدويلات ألقاباً مختلفة، في الوقت الذي فيه يستعد النصارى لاسترداد ما كان بأيدي المسلمين من الأراضي الأندلسية.

والملاحظ أن أصحاب هذه الممالك كانوا من العرب الذين وفدوا إلى الأندلس وتأسبنوا، أي اختلطوا بالسكان المحليين.

---

(١) الإسلام في المغرب والأندلس، ليفي بروفنسال، الترجمة العربية، مراجعة لطفي عبد البديع، ط القاهرة ١٩٥٦م، ص١٢٠-١٥٠.

(٢) الصراع على اشبيلية، د. فارس بور، السنة العشرون، العدوان ٦٩-٧٠، ١٩٩٩م، ص٣٣.

(٣) سبق تعريفه.

(٤) الصراع على اشبيلية، د. فارس بور، ص٣٣.

(٥) ملك غرناطة، ثم مات ٤٢٩هـ، ولي بعده ابنه.

(٦) الصراع على اشبيلية، فارس بور، ص٣٣.

(٧) سبق تعريفها.

(٨) نفس السابق، ص٣٣.

ثالثاً : أهم مظاهر عصر الطوائف

يقول د. أحمد شلبي[1]: يصور لنا Lame pale هذا العصر تصويراً دقيقاً فيقول: تمزقت الدولة إلى أمارات صغيرة في الوقت الذي وحد فيه الفونسو السادس تحت إمرته استورياس[2]، وليون[3]، وقشتالة[4]، وقد عرف الفونسو ما يجب أن يفعله تمام المعرفة فقد رأى أنه لم يكن إلا أن يمد حبله لملوك الطوائف مداً كافياً ليشنقوا به أنفسهم، لأن هؤلاء الجهلة لم ينظروا في العواقب[5].

يقول المراكشي[6]: ولم يزالوا كذلك وأحوال الأندلس تضعف وثغورها تحتل وما جاورها من الروم تشتد أطماعهم ويقوي تشوفهم إلى أن جمع الله الكلمة ورأب الصدع نظم الشمل وحسم الخلاف وأعز الدين وأعلى كلمة الإسلام وقطع طمع العدو ---- نقيبه أمير المسلمين وناصر الدين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين[7].

وخلاصة القول في هذه الأقوال أن تفرق ملوك الأندلس المسلمين قد أدى لطمع الفونسو في الأندلس وما زالوا على هذا الحال والمسلمين في ضعف يوماً بعد يوم إلى أن قيض الله لهم يوسف بن تاشفين عابراً من المغرب فأعز الله به الإسلام في الأندلس وقطع طمع العدو وصارت الأندلس في عهده آمنة مطمئنة تحكمها أحكام الشريعة الإسلامية في كل مناحي الحياة على المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

---

(١) تخرج من كلية دار العلوم ثم سافر إلى انجلترا حيث حصل على الدكتوراه من جامعة كمبردج ولما عاد إلى مصر عين مدرساً للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، له كتب عديدة منها: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، انظر الدليل البيلوجي في القيم الثقافية العربية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م، ج٣٣٢/١.

(٢) بالضم حصن من أعمال وادي الحجاز بالأندلس، انظر مراصد الاطلاع، ج٧١/١.

(٣) ليون: قال في العزيزي: هي المصر الأعظم وأجل مدن الجلالقة، صباح الوجوه، وأشد الأبدان، ومن ليون إلى ساحل بحر الظلمات أعني المحيط أربع مراحل غرباً، لهم مملكة ونفوذ منفرد عن الروم، انظر ميلاد العصور الوسطى، ٣٩٥-٨١٤هـ، تأليف هـ. سانت ل.ب موسى، ترجمة عبدالعزيز توفيق، راجعه السيد الباز العريني ١٩٦٧م، الناشر عالم الكتب، ص١٨٥.

(٤) إقليم عظيم بالأندلس قصبته اليوم طليطلة، انظر مراصد الاطلاع، ج١٠٩٤/٣.

(٥) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، د. شلبي، ط٢، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦م، ص١٢٠.

(٦) سبق تعريفه.

(٧) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكش،ص٨٧.

المسألة الثانية
علاقة ملوك الطوائف
بالعالم من حولهم

أولاً: علاقتهم بالخلافة العباسية.

ثانياً: علاقتهم بالنصارى.

أولاً : علاقة ملوك الطوائف بالخلافة العباسية

يقول المراكشي[1]: انقطعت الدعوة للخلافة وذكر اسمها على المنابر فلم يذكر خليفة أموي ولا هاشمي بقطر من أقطار الأندلس خلا أيام يسيرة دعي فيها لهشام المؤيد[2] بن الحكم المستنصر بمدينة اشبيلية وحسب ما اقتضته الحيلة واضطر إليه التدبير ثم انقطع ذلك[3].

وخلاصة القول أن ملوك الطوائف قطعوا الدعوة للخلافة العباسية وصار حكماً جمهورياً كل ملك بمؤيديه منفرداً بنفسه ولا حتى ولا سابق للأمويين إلا حسب ما اقتضته الضرورة فهؤلاء ملوك الطوائف فتحوا الثغرات للمسلمين في الأندلس.

وكل ذلك من أسباب البعد عن التعاليم وبث الروح الإسلامية في المجتمع فقد ضعفت همة المسلمين آنذاك وكانوا أقل غيرة على الإسلام وأهله وما كان همهم إلا الدنيا والملك فيها فسبحان من بعده الملك، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر رضي الله عنه: (ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)[4].

---

(١) سبق تعريفه.

(٢) صاحب الأندلس قام بتشييد الدولة الحاجب لمنصور محمد بن أبي عامر، مات في صفر سنة ٣٩٩هـ أو ٤٠٠هـ، انظر جذوة المقتبس، ص١٧.

(٣) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المراكش، ص٨٧.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب لزوم جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال تحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، ج٢/١٤٧٨، ح رقم ١٨٥١، صحيح مسلم، ابن الحسن مسلم بن الحاج، محمد فؤاد عبد الباقي.

ثانياً : علاقة ملوك الطوائف بالنصارى

يقول ابن عذارى[١]: في حديثه عن معركة الزلاقة: وكان السبب في ذلك فساد الصلح المنعقد بين الطاغية وبين المعتمد فإن المعتمد اشتغل عن أداء الضريبة في الوقت الذي صارت فيه عادته يؤديها فيه بغزوان صمادح[٢].

يقول العبادي[٣]: إتباع نظام كلوني[٤] الذين انتشروا في شمال أسبانيا:

لم يكن هؤلاء الفرنسيون يشعرون بمثل ما كان يشعر به الأسبان نحو مسلمي الأندلس إذ لم تكن تربط الفرنسيين بالمسلمين تلك الروابط القديمة التي جمعت بين الأندلسيين والأسبان في الدم والجوار والأخذ والعطاء وتشابه الشعور والعادات بل هدفهم هو القضاء على جميع في شبه جزيرة أيبريا[٥].

ويقول ابن خلدون[٦]: تغالب الطاغين على بلاد المسلمين وراء البحر وانتهز الفرصة فيها بما كان من الفرقة بين ملوك الطوائف فحاصر طليطلة وبها القادر بن يحيى بن ذي النون حتى نالهم الجهد وتسلمها منه صلحاً سنة ثمان وتسعين[٧].

وخلاصة القول إن علاقة ملوك الطوائف مع المسيحيين في أسبانيا كانت كعلاقة السيد بمملوكه فكانوا يفرضون عليهم الضرائب الباهظة ويريدون بكل وسيلة إبادتهم والقضاء عليهم في الأندلس اليوم قبل الغد.

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عدارى، ج٤/١٣٠.

(٢) سبق تعريفه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) نظام كلوني: مدينة في فرنسا عندها دير كلوني، للآباء البندكتين، ومنه انبثقت نهضة دينية ثقافية في القرن الحادي عشر الميلادي، ثم تلبس أن عمت أوربا وأخذت تحرض القوى المسيحية على خوض حرب صليبية ضد المسلمين، انظر تاريخ أوربا في العصر الحديث، مرجع سابق، ص ٩. ثم انظر في تاريخ المغرب والأندلس، للعبادي، ص٢٦٢.

(٥) في تاريخ المغرب والأندلس، د. أحمد مختار العبادي، ط دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨م، ص٢٦٢.

(٦) سبق تعريفه.

(٧) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج٦/٣٨٢-٣٨٤.

وهذا ما حصل مستقبلاً عندما تعرفوا وكانوا شيعاً ضعفت قوتهم وأصبحوا في طيات الزمان (...**وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ**...)[1].

وعلى كل حال فقد كانت علاقة اضطهاد وذل ومحاولة للسيطرة على كل ما بأيديهم من الأراضي وزروع الفرقة والشتات بينهم.

---

(١) سورة الحشر، الآية (١٠).

المبحث الرابع

الدولة المرابطية

يشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الجذور التاريخية للمرابطين.

المطلب الثاني: حالة المغرب قبل غزو المرابطين.

المطلب الأول

الجذور التاريخية للمراطبين

يشتمل على أربعة مسائل:

المسألة الأول: شخصية الملثمين.

المسألة الثاني: سبب تسميتهم.

المسألة الثالث: مواطنهم.

المسألة الرابع: أهمية موقعهم.

المسألة الأول

تسمية الملثمين

يقول بن خلدون(١): هذه الطبقة من صنهاجة الملثمون(٢)، ويقول الناصري(٣): تقدم لنا أن النسابين العرب زعموا أن صنهاجة وكتامة من حِمْيَر خلفهم الملك أفريقش بالمغرب فاستحالت لغتهم إلى البربرية والتحقيق خلاف ذلك وأنهم من ولد كنعان بن حام كسائر البربر وتحت صنهاجة قبائل كثيرة، تنتهي إلى السبعين منهم: لمتونة، كدالة، مسومة، مسراتة وغير ذلك كانت لهم بالمغرب دولتان عظيمتان(٤).

ويقول ابن خلكان(٥): والذي وجدته أن أهل هؤلاء القوم من حمير بن سبأ هم أصحاب خيل وإبل وشاة(٦).

وخلاصة القول قد اختلف المؤرخون في أصل الملثمين وقد ذكر أنهم بربر من ولد حام بن نوح وآخرين قد رأوا أنهم عرب من حمير وقد رجح هذا الرأي ابن خلكان والسلاوي الناصري والثابت في الأمر على حسب علمي أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح تأييد القول الناصري والله أعلم أنهم أو خلاف ذلك، نسبة لموطنهم ولغتهم.

---

(١) سبق تعريفه.

(٢) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج٦/٣٧٠.

(٣) هو أحمد بن خالد بن حماد بن محمد الناصري الدرعي شهاب الدين السلاوي، مولده ووفاته بمدينة سلا بالمغرب الأقصى، ولد ١٢٥٠هـ، وتوفي ١٣٥١هـ، من آثاره الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، انظر الأعلام، الزركلي، ج١/١٢٠.

(٤) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة المرابطية الموحدية، تحقيق الأستاذ جعفر الناصر، أ. محمد الناصري، ١٩٥٤م، دار الكتاب الدار البيضاء، ج٢/٣.

(٥) سبق تعريفه.

(٦) وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر خلكان، تحقيق د. يوسف علي طويل، ج٥/٤٨١-٤٨٢، ود. مريم قاسم طويل، ط١، منشورات محمد علي بيضون ١٩٩٨م، دار الكتب بيروت.

المسألة الثاني

سبب تسميتهم

يقول الناصري[١]: إنما قيل لهم الملثمون لأنهم يتلثمون ولا يكشفون وجهاً أصلاً، قال ابن خلكان[٢]: فاللثام سنة لهم يتوارثونها خلفاً عن سلف وسبب ذلك على ما قيل أن حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد بصفة الخواص منهم وكثر ذلك حتى صار تفعله كثيراً منهم[٣].

وقيل كان سببه أم قوماً من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم إذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي فيأخذون المال والحريم فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء في ذي الرجال إلى ناحية، ويقعدوا في البيوت متمثلين في ذي النساء[٤].

وهذا سبب التسمية في ارتداء اللثام حتى صار عادة لهم يعرفون بها ويتخذون بها عن غيرهم وقد قيل هو على شدة الحر أو شدة البرد وقيل خطه للكيد بالعدو.

---

(١) سبق تعريفه.

(٢) سبق تعريفه.

(٣) الاستقصاء، السلاوي، ج٢/٣، ثم انظر وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٥/٤٨٥.

(٤) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة والجزء.

المسألة الثالث

موطنهم

يقول القلقشندي[1]: كان الملثمون من البربر من صنهاجة قبل الفتح الإسلامي متوطنين في القفار وراء رمال الصحراء، ما بين بلاد البربر وبلاد السودان في جملة قبائل صنهاجة على دين المجوسية قد اتخذوا اللثام شعاراً لهم يميز بينهم وبين غيرهم من الأمم[2].

ويقول الناصري[3]: موطن هؤلاء الملثمين أرض الصحراء والرجال الجنوبية فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان ومساحة أرضهم نحو سبعة أشهر طولاً في أربعة عرضاً وفيهم قوم لا يعرفون حرثاً ولا زراعة ولا فاكهة إنما أموالهم الأنعام وعيشهم اللحم واللبن[4].

ويقول ابن خلدون[5]: كان موطنهم ما بين المغرب الأوسط وأفريقيا وهم آل مدر ومواطن سوقة ولمتونة وكدالة بالصحراء وهم أهل وبر[6].

وقال أبو عبيد البكري[7]: موطنهم الصحراء وجميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب وهو فوق اللثام حتى ى يبدر منه إلا محاجر عينية ولا يفارقون ذلك في حال من الأحوال[8].

---

(١) هو أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله القلقشندي شهاب الدين أبو العباس، ولد سنة ٧٥٦هـ في قلقشندة من قرى القليوبية قرب القاهرة، من كتبه صبح الأعشى، نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، توفي ٨٢١هـ، انظر المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغريردي، تحقيق أحمد يوسف، ط١، القاهرة، مطبعة دار الكتب ١٩٥٦م، ج١/٣٣.

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، الموسوعة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ج٥/١٨٨.

(٣) سبق تعريفه.

(٤) الاستقصاء، الناصري، ج٢/٤.

(٥) سبق تعريفه.

(٦) ديوان المبتدأ، ابن خلدون، ج٦/٣١٠-٣١١.

(٧) هو عبد الله عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري أبو عبيد مؤرخ نسابة، جغرافي، ولد بقرطبة ٤٣٢هـ، توفي بها في شوال ٤٨٧هـ، من كتبه: المغرب في بلاد أفريقيا والمغرب، انظر معجم المؤلفين، كحاله، ج٢/٢٥٣.

(٨) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، أبي عبيد البكري، جزء من كتاب المالك والممالك، مكتبة المثنى بغداد، ١٦٩-١٧٠.

وخلاصـة القـول فيمـا سـبق أن مـوطنهم الصـحاري فهـم أهـل ماشـية وخيـل، وغذائهم الألبان واللحم الحاف، مما جعلهم صابرين على مكابدة الشقاء وقد صاروا أكثر صبراً على الجهاد في سبيل الله.

مما جعلهم يقيمـون دولـة المرابطين فـي المغرب والأنـدلس ومكايـدة النصـارى لأنهم لـم يعيشوا علـى الدعـة والترف والملـذات وقـد صـاروا صـابرين صـادقين فـي جهادهم ضد النصارى في أسبانيا حتى توغلوا داخل القارة الأوربية وزيادة على ذلك لاستمسـاكهم بشـعائر الإسـلام وحمايـة الرعيـة المسـلمة فـي الأنـدلس ضـد اضـطهاد النصارى لملوك الطوائف ونسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومنهم صالح أعمالهم.

المسألة الرابعة

أهمية موقعهم

يقول أبي عبيد البكري[1]: بني لمتونة ظواعن رحالة في الصحراء مراحلهم فيها بين مسيرة شهرين في شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام ويصيفون في موضع يسمى أمطلوس وهم إلى بلاد السودان أقرب بينهم وبين بلاد السودان نحو عشر مراحل وليس يعرفون حرثاً ولا زرعاً ولا خبزاً... إلى أن تمر بهم التجارة من بلاد الإسلام، وبلاد السودان فيطعمونهم الخبز ويتحفونهم بالدقيق[2].

يقول الناصري[3]: موطنهم أرض الصحراء والرحال الجنوبية فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان[4].

كانت بلاد الملثمين الممر الوحيد بين الأندلس وأواسط أفريقية، فكانت تسلكه القوافل على ثلاثة طرق فالطريق الأول هو الطريق الساحلي على المحيط الأطلسي، والطريق الثاني هو الأوسط فيمتد من أواسط المغرب إلى قلب الصحراء حيث بلدان مالي[5]، والنيجر[6]، والطريق الثالث هو طريق الصحراء يمتد من السودان الغربي إلى أواسط الصحراء شرقاً[7].

---

(١) عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري أبوعبيد، مؤرخ نشابه جغرافي، ولد بقرطبة سنة ٤٣٢هـ، وتوفي بها في شوال سنة ٤٨٧هـ، من كتبه المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، انظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج٢/٢٥٣.

(٢) المسالك والممالك، البكري، ص١٩٤-١٩٥.

(٣) سبق تعريفه.

(٤) الاستقصاء، الناصري، ج٢/٤.

(٥) إمبراطورية إسلامية ابتدأت من ٦٣٦هـ-١٢٤٠هـ، كانت تقسم الدول المعروفة واليوم بمالي والسنغال وغينيا وجامبيا وموريتانيا عاصمتها تمبكتو، انظر المعجم الإسلامي، أشرف طه، ص٥٣٠.

(٦) جمهورية تقع في أفريقيا الغربية بجوار ليبيا والجزائر ومالي وبوركينا فاسو ونيجريا وتشاد وعاصمتها نيامي ولغتها الفرنسية والهوسا وكانت جزء من إمبراطورية مالي الإسلامية، دخلها المسلمون في القرن الثاني الهجري واحتلتها فرنسا عام ١٩٠٠م واستقلت عام ١٩٦٠م، انظر المرجع السابق، ص٦٢٩.

(٧) الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، د. علي محمد محمد الصلابي، ط مكتبة الإيمان ٢٠٠٦م بالمنصورة، ص١٩.

ونشطت حركة التجارة بين أفريقيا وبلاد المغرب والأندلس بسبب الدور الريادي الذي قامت به قبائل لمتونه ومسوقه وجداله[1].

وخلاصة القول أن التجارة قد نشطت في بلادهم بحكم موقعهم الجغرافي بين أفريقيا والأندلس في تلك المناطق الصحراوية مما جعلهم يتجمعون بين القوافل المارة من السودان أو بلاد الإسلام لأن موقعهم يتوسط فكانوا عبارة عن ملتقى أو حلقة وسط إن صحت هذه العبارة.

فهذه الطرق الثلاث تمر بهم فكانوا لا يتجهون للزراعة لطبيعة بلادهم الصحراوية إلا القليل من الواحات ويحتكرها الرؤساء منهم.

ومما لا شك فيه أن الأسواق التجارية قد كثرت في هذه المنطقة وازدهرت تجارياً وازداد نشاطها وأصبحت قبلة للتجارة من بلاد الإسلام وأفريقية.

فقد كان موقعاً استراتيجياً متميزاً حكمة من الله تعالى فقد اختار هؤلاء القوم لنصرة دينه واختار لهم هذا المكان لنصرة دينه في وقت مخصوص.

فقد ظهر المرابطين وقادوا مسيرة الجهاد في هذه الصحراء والمغرب ومن ثم الأندلس ونشروا دينه وأعزوا أهله.

---

(١) نفس السابق، ص١٩.

المطلب الثاني

حالة المغرب قبل غزو المرابطين

يشتمل على أربعة مسائل:

المسألة الأولى: قبائل غمارة.

المسألة الثانية: دولة برغواطة.

المسألة الثالثة: الدولة الزناتية.

المسألة الرابعة: الشيعة والوثنيين.

المسألة الأولى
قبائل غمارة

يقول بن خلدون[١]: من بطون المصامدة من ولد غمار بن مصمود وقيل غمار بن مسطان بن مليل بن مصمود وقيل غمار بن أصاد بن مصمود ويقول بعض العامة أنهم غمروا في تلك الجبال فسموا غمارة وهو مذهب عامي وهم شعوب وقبائل أكثر من أن تتحصر ساكنين ما بين سبتة[٢]، وطنجة[٣].

وللمسلمين فيهم أزمان الفتح وقائع الملاحم وأعظمها لموسى بن نصير هو الذي حملهم على الإسلام واسترهن أبناءهم وأرى منهم عسكراً مع طارق بطنجة ... كان أميرهم لذلك العهد بليان[٤].

أي أن حكي: وكانوا غارقين في الجهالة والبعد عن الشرائع بالعداوة والانتباذ عن مواطن الخير وتنبأ فيهم مجكسة حاميم بن من الله، استمع إليه كثير من الناس وأقروا بنبوته ووضع لهم قرآناً وقتل في حروب مصمودة بأحواز طنجة سنة ٣١٥هـ[٥].

رد لهم الصلاة صلاتين عند طلوع الشمس وعند غروبها وأسقط عنهم الحج والطهر والوضوء وحرم عليهم أكل الحوت حتى يذكى، وحرم عليهم بعض كل طائر[٦].

وخلاصة القول على الرغم من القضاء على هذا المنافق في القرن الرابع الهجري فإنه يبدو بقايا من بدعة قد استمرت في غمارة حتى مجيء المرابطين في القرن الخامس الهجري فقد أظهر أفكاره المتحللة من كل روابط الشريعة الإسلامية لم يترك شيئاً يربطه بالله تعالى فقد شرع بغير ما أنزل الله واعتبر نفسه في مقام الأنبياء الذين يشرعون بواسطة الوحي من الله تعالى.

---

(١) سبق تعريفه.

(٢) سبق تعريفه.

(٣) سبق تعريفه.

(٤) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، ١٩٥٩م، ج٦/٤٣٦-٤٣٧.

(٥) نفس السابق والجزء، بتصرف.

(٦) الاستبصار في عجائب الأمصار، لمؤلف مجهول، نشر د. سعد زغلول، مطبوعات جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨م، ص١٩٠.

المسألة الثانية
دولة برغواطة

حكي ابن السلاوي[1]: اختلف الثاني في نسب برغواطة هؤلاء إلى أي شيء يرجع بعضهم ملحقين بزنانه وبعضهم يقول في نبيهم صالح بن طريف البرغواطي أنه يهودي الأصل من سبط شمعون بن يعقوب عليه السلام، نشأ برباط حصن من عمل شذونه[2] من بلاد الأندلس[3].

من يدعنه أنه ادعى النبوة وشرع لهم شرائع ووضع لهم قراناً.

ويقول ابن خلدون[4]: التحقيق أن برغواطة قبائل شتى ليس يجمعهم أب واحد إنما هم أخلاط من البربر اجتمعوا إلى صلاح بن طريف الذي ادعى النبوة بتامستا[5]. سنة خمس وعشرين ومائة من الهجرة من خلافة هشام بن --- بن مروان وتسمى بصالح المدينة[6].

وسمع ابن يس[7] بحال برغواطة وما هم عليه من الكفر رأي الواجب تقديم جهادهم على جهاد غيرهم فسار إليهم بجيوش من المرابطين الأمير على برغواط

---

(١) أحمد بن خالد بن عماد بن محمد الناصري الدرعي، شهاب الدين السلاوي، مولده ووفاته بمدينة سلا بالمغرب الأقصى، ولد ١٨٣٥هـ، وتوفي ١٨٧٩هـ، من آثاره الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، انظر الأعلام، للزركلي، ج١/١٢٠.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) الاستقصاء، الناصري، ج٢/١٥.

(٤) سبق تعريفه.

(٥) تامستا: كلمة بربرية من لهجة زناته، ومعناها البسيط الخالي، وقد أطلقت على الأرض الممتدة من ساحل المحيط من الرباط إلى فضالة الدار البيضاء، وتنتهي عند أزمور عند مصب وادي أم الربيع، كانت مركزاً لبرغواطه، انظر نفاضة الجراب، وعلالة الاغتراب، لابن الخطيب، تحقيق د. العبادي، راجعه الدكتور عبدالعزيز الأهواني، القاهرة، دار الكتاب العربي، ص ١٧٣.

(٦) نفس السابق، ج٢/١٦.

(٧) عبدالله بن يس بن مكو الجزولي، انظر ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج٦/٣٧٤.

عيسى[1] بن أبي الأنصار فكانت بينه وبين ابن يس ملاحم عظام أصيب فيها ابن يس فكانت فيها شهادته رحمه الله[2].

وخلاصة القول أن هذه الدولة يرجع أمرها إلى ما كانت عليه من الضلالة والفسوق فهي كسابقتها كما يقول ابن خلدون[3] هذا يفسر شخصية ابن يس وغيرته على انتهاك حرمات الله وهمته العالية في نشر الإسلام والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته.

فقد رأى من أولوياته جهاد هذه الدولة الضالة على غيرها مما يعين ترتيبه للمهام إلى أن قتل شهيداً في إحدى معاركه مع هؤلاء الكفرة.

فقد غيروا وبدلوا أعزهم الله بالإسلام وأرادوا الذلة بغيره اطمئنوا فجلبوا الخوف بأيديهم عاشوا في سعادة فاستحلوا الشقاء والله نسأله حسن العاقبة.

---

(1) أبوبكر بن أبي عيسى، واسمه أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبدالأعلى بن عبدالغافر بن عبدالمجيد بن عبدالله بن أبي عيسى بن عبدالرحمن الأنصاري، صاحب رسول الله ﷺ كان مقدماً في العدد والهندسة، والنجوم، وكان يجلس لتعليم ذلك في أيام الحكم، انظر طبقات الأمم، لابن صاعد، ص٦٨.

(2) الاستقصاء، الناصري، ج٢/١٦.

(3) المبتدأ، ابن خلدون، ج١/٤٢٨-٤٢٩.

المسألة الثالثة

الدولة الزناتية

يقول ابن الخطيب[1]: كان لهؤلاء الملوك الزناتيين ذكر وشهرة وحروب تضمنتها كتب التاريخ وكان جدهم حرب بن حفص بن صولات بن وازمار بن مغراو مولي أمير المؤمنين عثمان[2] بن عفان رضي الله عنه أتى به من ---أفريقية أدل فتحها فأسلم على يديه وحسن إسلامه فمن هذه النسبة وهذه الوسيلة كان ميله إلى بني أمية بالأندلس ونفرتهم عن أضدادهم من بني عبيد الله العلوية[3].

وكانت هذه الدولة في نظر المؤرخين لاسيما بعد زوال الأدارسة هي القوة الشرعية الحاكمة في المغرب.

وكانت إمارة سلا[4] في أيام أميرها أبي الكمال تميم اليفراني في أوائل القرن الخامس الهجري من أشد الإمارات وطأة على برغواطة، يروي صاحب القرطاس والسلاوي الناصري في هذا الصدد: (كان أبو الكمال تميم مستقيماً في دينه مولعاً بجهاد برغواطة، كان يغزوهم مرتين في السنة، إلى أن توفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وفي سنة اثنين وستين وأربعمائة قتل ابنه في حرب لمتونة فجاءوا به ليدفنوه إلى جانب قبر أبيه تميم فشهدوا من قبره تكبيراً وتشهداً كثيراً فنبشوا قبره فألقوه ثم لم يتغير منه شيء...)[5].

---

(١) سبق تعريفه.

(٢) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أمه أروى بنت كريز، استخلف على شورة ستة أنفس وكانت خلافته اثنى عشر سنة إلا اثنى عشر يوماً، انظر مشاهير علماء الإحصاء، محمد بن حيان البستي، ص٦.

(٣) تاريخ المغرب في العصر الوسيط من كتاب أعمال الأعلام، للوزير الغرناطي، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق وتعليق د. أحمد مختار العبادي وأستاذ محمد إبراهيم الكتاني، نشر وتوزيع دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤م، ص١٥٣.

(٤) مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها معمور إلا مدينة يقال لها غرنيطوق وسلا على الزاوية شمالية البحر، وغربيها نهر جارٍ من الجنوب في غربية المهدية، انظر مراصد الاطلاع، ج٢/٧٢٤.

(٥) روض القرطاس، ابن أبي زرع، ج١/١٧١-١٧٢.

وخلاصة القول أن الدولة الزناتية كانت تقوم بواجب أحكام الشريعة وجهاد البرغوطين وغيره من المنافقين واليهود الذين يسعون لهدم الدين.

فقد كانت أعظم مدنية في تلك المسيرة الهامة في تاريخ المغرب العربي، فقد كان قوادها مستعينين في دينهم يحبون الجهاد ويسعون لإصلاح المسلمين فقد كانت القوة الشرعية في المغرب العربي بعد زوال دولة الأدارسة.

فقد اثني عليها كثير من المؤرخين ويعتمدوا لها بالجهاد ودهر الأعداء وحماية البلاد من كل عدو.

المسألة الرابعة

روافض الشيعة والوثنيين

يقول: البكري[1]: بنو لماش روافض يعرفون بالبجليين نزل بين ظهرانيهم رجل بجلي من أهل قسطيلية[2] قبل دخول عبيد الله الشيعي[3]، يقال له محمد بن ورسند، فدعاهم إلى سب الصحابة رضوان الله عليهم وأحل لهم الحرمات وزعم أن الربابيع من البيوع وزادهم في الآذان بعد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً خير البشر وبعد حي على الفلاح حيا خير العمل وآل محمد خير البرية وهم على مذهبه إلى اليوم وأن الإمامة في ولد الحسن[4].

ويقول: جرجي زيدان[5]: قد علمت حال الشيعة في أيام دولة بني أمية بالشام وهي وما قاسوه من القتل والصلب ثم ما كان من حالهم في الدولة العباسية ومنصوصاً في أيام[6] الرشيد والمنصور[7] من الاضطهاد والقتل، حملهم ذلك على الفرار إلى أطراف المملكة الإسلامية... إلى إن قل وكان فيمن جاء نحو الغرب

---

(١) سبق تعريفه.

(٢) بالفتح ثم السكون وكسر الطاء مدينة بالأندلس، انظر مراصد الاطلاع، ج٣/١٠٩٢.

(٣) داعية عبيد الله المهدي عالماً أديباً شاعراً هو الذي حارب جيش زياد الله بن الأغلب وهزمه وقتله أخاه أبا العباس، زحف إلى القيروان ونازلها جمهور أجناد أفريقيا واستولى على رقاده دار ملك الغالبة حينئذٍ وعلى أعمال أفريقيا، انظر الحلة السيراء، ج١/١٩٤.

(٤) المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، البكري، ص١٩١.

(٥) هو جرجي بن حبيب زيدان منشئ مجلة الهلال بمصر، ولد وتعلم في بيروت ١٨٦١م، وتوفي ١٩١٤م بالقاهرة، من آثاره تاريخ التمدن الإسلامي، آداب اللغة العربية، انظر الإعلام، الزركلي، ج٢/١١٧.

(٦) ١٤٩-١٩٣هـ-٧٦٦-٨٠٩م، هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباس أبو جعفر خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرهم، ولد بالري سنة ١٧٠هـ، توفي في سابناد قرى طوس ١٩٣هـ، انظر----------------------------

(٧) هو عبد الله بن محمد بن علي بن العباس أبو جعفر المنصور، ٩٥-١٥٨هـ-٧١٤-١٧٧٥م ثاني خلفاء بني العباس وأول من كني ملوك العرب وكان عالماً بالفقه والأدب، ولد في الحميمة، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه السفاح سنة ١٣٦هـ، وهو يأتي مدينة بغداد سنة ١٤٥هـ، وجعلها دار ملكه بدلاً من الهاشمية التي بناها السفاح وهو والد الخلفاء العباسيين جميعاً، انظر الملوك، ج/١١٦.

إدريس[1] بن عبد الله بن الحسن المثنى أخو محمد بن عبد الله الذي بايعه المنصور فأتى إدريس مصر وهو في حوزة العباسيين فاستخفى في مكان أتاه إليه بعض الشيعة سراً وبايعوه إلى أن قامت دولة مراكش عرفت بالدولة الإدريسية من سنة ١٧٢ إلى ٣٧٥[2].

وخلاصة القول أنهم كانوا شيعة روافض ومعلوم من مبادئ الشيعة سب الصحابة وقد زاد البجي هذا في الأوان زيادة لم ترد بها السنة ولا يوجد لها سند شرعي ويقول بإمامه أبناء الحسن بن علي خاصة.

وقد كان وجودهم في البلاد المغربية ما قاسوه من الذل والاضطهاد في أيام الدولة الأموية والعباسية فوصلوا إلى المغرب وكونوا دولة مراكش عرفت بالدولة الإدريسية.

مما اختلف المؤرخين في نسبة هذه الفرقة للشيعة فواضح أو قد تبني من مذهبهم سب الصحابة رضوان الله عليهم وقد ورد النهي صريحاً في منع سب الصحابة قرآناً وسنة أو قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾[3].

وقد وردت كذلك أحاديث كثيرة ذكر جزء منها سالفاً في هذا البحث.

ومع ذلك كانت لهم بعض الأفكار المنحرفة التي تخرج صاحبها من الملة الإسلامية مثل الذين كانوا يصدون كبشاً وهم المجوس من البربر انظر[4]:

---

(١) إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد لعبد الله بن حسن كان الشيخ بن هاشم في وقته إدريس الأكبر، وأمه هند بنت أبي عبيدة المطلبية، كان فيمن هرب يحيى إدريس أبناء عبدالله بن الحسن أما إدريس فمكث بالمغرب ولجأ إلى آله فأعظموه ولم يزل عندهم إلى أن أحتيل عليه، كان مولده ربيع، انظر الحلة السيراء، ابن الآبار، ص٥٠-٥٢.

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، تحقيق د. حسين مؤنس، دار الهلال ١٩٥٨م، ج٤/٢٣٠، ثم انظر روض القرطاس، ابن أبي زرع، ج٢/٢١.

(٣) سورة الحشر، الآية (١٠).

(٤) المغرب، البكري، ص١١٩.

وقد تبين من عرضنا لهذه الدويلات الطائفية التي سبقت دولة المرابطين أن المغرب كان في ذلك العهد يعاني محنة دينية وسياسية فقد كان المرابطين قد أولوا اهتماماً زايداً بجهاد برغواطة وخاضوا معهم معارك وفي هذه حق المعارك قد استشهد ابن يس رحمة الله.

فقد كانت الحالة السياسية ممهدة لقيام المرابطين وخروجهم من الصحراء للقضاء على أن الزيغ والضلال واتخذ المرابطين سياسة عدم السماح بتعدد المذاهب الدينية وحرصوا على الاكتفاء بسياسة المذهب الواحد وهو المذهب المالكي التي قامت عليه دولتهم.

المبحث الخامس

نشأة دولة المرابطين

يشتمل على مطلبينن:

المطلب الأول: النشأة وعواملها.

المطلب الثاني: أهم الشخصيات.

المطلب الأول

النشأة وعواملها

يشتمل على ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: العامل السياسي.

المسألة الثانية: العامل الديني.

المسألة الثالثة: العامل الاقتصادي.

المسألة الأولى

العامل السياسي

يقول الناصري(1): بعد توبة صنهاجة تم أخذ في اشتراء السلاح وإركاب الجيوش من ذلك المال وجعل يغزو القبائل حتى ملك جميع بلاد الصحراء وذلك قبائلها.

فاشتهر أمره في جميع بلاد الصحراء وما والاها من بلاد السودان وبلاد القبلة، وبلاد المصامدة وسائر أقطار المغرب(2).

وكانت مملكة غانة(3) قوية في بداية القرن الخامس ولما كان الملثمون قد أصبحوا يسيطرون على تجارة السودان في مطلع هذا القرن وقد رغب الملثمون في الاستيلاء على أودغشت(4) لسنة ٤٣٢ بيد أنهم انهزموا ولم يتمكنوا من اقتحام أودغشت التي كانت قبل ذلك بأيديهم هي مركز تجاري هام بغرب نهر النيجر في الصحراء إلى أن قال: قد دعا الخطر الغاني الملثمين على صفوفهم في الشمال، حيث ضايقوا الزناتيين فقد كان اضطراب الأحوال السياسية في الشمال أهم العوامل التي يسرت قيام دولة المرابطين(5).

ويقول ابن خلدون(6): إن أهل غانية ضعف ملكهم وتلاش أمرهم، واستفحل أمر الملثمين المجاورين لهم من جانب الشمال مما يلي البربر وعبروا على السودان

---

(1) سبق تعريفه.

(2) الاستقصاء، الناصري، ج٢/١٠.

(3) هي مملكة اسم البلد أوكارو وهي مدينة كبيرة . انظر : (المقرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب للبكري ص ١٧٤) .

(4) مدينة بالمغرب بين جبلين جنوبي مدينة سلجماسة في شرقيهم وجنوبيهم بلاد السودان وفي غربيهم المحيط وفي شماله بلاد سلجماسة، انظر مراصد الاطلاع، ج١/١٣٠.

(5) المغرب عبر التاريخ، إبراهيم، حركات تقديم محمد الفاسي، ط١، طبع ونشر دار السلمي، ١٩٦٥م، ج١/١٦٧.

(6) سبق تعريفه.

واستباحوا حماهم وبلادهم واقتضوا فهم منهم الأتاوات والجزي وحملوا كثيرهم على الإسلام[١].

(بعد هذه الانتفاضة الدينية التي وحدت شمل هذه القبائل وجعلت منها قوة تجيش تخشى بأسها على مملكة غانة والأحداث التاريخية التي تلت ذلك تدل على أن نهاية مملكة غانة كانت في أواخر القرن الخامس الهجري)[٢].

وخلاصة القول إن موقع المرابطين المميز تجارياً جعلهم يسيطرون على تجارة السودان وقد حاولوا السيطرة على نهر النيجر وخاصة على مدينة أودغشت مما جعلهم يلمون صفوفهم وتحالفوا على حرب السودان فقد كانوا قبل ذلك في فرقة مما طمع فيهم ملوك السودان آنذاك وتمت لهم السيطرة على بلاد السودان وفرضوا عليهم الجزية والأتاوات فأخذوا يعدون الجيوش ويشترون السلاح لغزو المغرب ولعل ذلك من أهم الأحداث السياسية التي أدت لظهور المرابطين كقوة كبرى.

---

(١) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج٦/٤١٣.

(٢) في تاريخ المغرب والأندلس، الصاوي، ص٣٠٣.

المسألة الثانية

العامل الاقتصادي

الواقع إن حرب الغانيين والملثمين كانت صراعاً اقتصادياً تجارياً فقد كان أهم طريق تجاري بين شمال الصحراء وجنوبها يمر من سلجماسة[1] إلى أودغشت[2] فكان السودان يدفع بالتبر والصوف والإبل بينما كان الشمال يدفع القمح والقطاني وكان على القوافل أن تمر بديار الملثمين[3].

وخلاصة القول فقد كانت دولة المرابطين قد استعادت اقتصادياً من هزيمتها لمملكة غانة وفرضها الضريبة والإتاوة عليها والسيطرة على مراكز التجارة فقد بدؤوا في اشتراء السلاح وإعداد الجيوش لظهورهم كدولة قوية في المغرب العربي والصحراء.

وقد كان هذا عاملاً اقتصادياً وتجارياً مهد لقيام هذه الدولة فلم يكن همهم تجارة ولا اقتصاد فقط إنما هدفهم الأسمى نشر الدعوة الإسلامية في أوسع نطاق فقد كانوا قوم صحراء من أقدم العصور ولم تأتهم هذه الفكرة فقد كان باستطاعتهم أن يتوحدوا ويشنون الحروب إلا أن الروح الدينية بدأت تسري فيهم هداية ورحمة من الله تعالى فقد نجحوا من بعد توفيق الله تعالى في قيام دولة من أعظم الدول في أفريقيا والمغرب العربي.

وأن مملكة غانا كانت غنية بالذهب ويقصدها التجار من كل نواحي أفريقيا.

---

(١) مدينة وسط من حد تاهرت إلا أنها منطقة لا يسلك إليها إلا في القفار والرمال، وهي قريبة من مدن الذهب بينها وبين أرض السودان وأرض زويلة مسيرة، انظر المسالك والممالك، الكرخي، ص٣٤.

(٢) مدينة وسط من حد تاهرت إلا أنها منقطعة وهي قريبة من معدن الذهب . انظر: المسالك والممالك ، الكرخي، ص ٣٤.

(٣) المغرب عبر التاريخ، حركات، ج١/١٦٧.

المسألة الثالثة

العامل الديني

كانت الحالة في سلجماسة(١) قد بلغت منتهى الخطورة بسبب المكوس الجائرة التي فرضها الزناتيون على التجارة والانحلال الخلقي الذي يتمثل في شرب الخمر وتفشي السرقة والزنا(٢).

ولما انقرضت الدولة الأموية بالأندلس وافترق أمر الجماعة بها وصار الملك طوائف استبد أمراء الأطراف وملوك زناتة بالمغرب كل بما في يده وعدم الوازع وتصرفوا في الرعايا بمقتضى أغراضهم وشهواتهم، فنالوا فأساً وأعمالها من جور بني عطية المغراوين ونال أهل سلجماسة ودرعه(٣) من بني خزرن(٤) بن فلفل المغروايين قبل ذلك(٥).

يقول ابن خلدون(٦): وقصدوا سلجماسة فدخلوا وقتلوا من كان بها من فل مقراوة، واصلحوا من أحوالها، وغيروا المنكرات وأسقطوا المغارم والمكوس، واقتضوا الصدقات واستعملوا عليها منهم وعادوا إلى صحرائهم.

وخلاصة القول أن المرابطين قد أرادوا تطهير هؤلاء القوم الذين تمكنوا من حكم البلاد من تنظيمهم ومنعهم من الظلم والاستبداد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد كان عاملاً مهماً من الناحية الدينية لقيام هذه الدولة.

---

(١) سبق تعريفها.

(٢) الاستقصاء، الناصري، ج٢/١٣، بتصرف.

(٣) مدينة صغيرة بجنوبي المغرب بينها وبين سلجماسة، أربعة فراسخ. انظر مراصد الاطلاع، ج٢/٥٢٣.

(٤) كان لهؤلاء الملوك الزناتيين شهرة وعظمة وحروب تضمنتها كتب التاريخ، كان جدهم حرب بن حفص بن وازمار بن مغراو مولي أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أتى به من سبي أفريقية فأسلم على يديه وحسن إسلامه، انظر تاريخ المغرب في العصر الوسيط، ابن الخطيب، ص١٥٣.

(٥) الاستقصاء، الناصري، ج٢/١٢.

(٦) ديوان المبتدأ، ابن خلدون، ج٦/٣٧٥.

إذ العامل الديني يمثل أهم العوامل للنصر إذ قال الله تعالى: (...إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ)[1].

فهم قوم قد وحدوا الله تعالى وأحيوا سنته صلى الله عليه وسلم فحق على الله تعالى نصرهم في تعالى: (...وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)[2].

---

(١) سورة محمد، الآية (٧).

(٢) سورة الروم، الآية (٤٧).

المطلب الثاني
أهم الشخصيات

يشتمل على أربعة مسائل:

المسألة الأولى: الأمير يحيى بن إبراهيم.

المسألة الثانية: أبو عمران الفاسي.

المسألة الثالثة: عبد الله بن يس.

المسألة الرابعة: يوسف ابن تاشفين.

المسألة الأولى

الأمير يحيى بن إبراهيم

يقول الناصري[1]: لما توفي أبو عبد الله بن تيفاوت قام بأمر صنهاجة من بعده يحيى بن إبراهيم الكدالي، وكدالة ولمتونة أخوان يجتمعان في أب واحد كل منهما قبيل كبير يسكنون الصحراء التي تلي بلاد السودان ويليهم من جهة المغرب البحر المحيط فاستمر الأمير يحيى على رئاسة صنهاجة إلى أن كانت سنة ٤٢٧ استخلف على صنهاجة ابنه إبراهيم بن يحيى وارتحل إلى المشرق برسم الحج[2].

ويقول ابن خلدون[3]: لما مضت الرئاسة إلى يحيى بن إبراهيم الكدالي وكان له صهر في بني ورتانطون هؤلاء وتظاهروا على أمرهم وخرج يحيى بن إبراهيم لقضائه فرضه في رؤساء من قومه في سنة ٤٤٠ فلقوا في منصرفهم بالقيروان شيخ المذهب المالكي أبو عمران الفاسي واغتنموا واحتموا به من هديه، وسأله الأمير يحيى أن يصحبهم من تلميذه ما يرجعون إليه في نوازلهم وقضايا دينهم.

وقال الشيخ أبي عمران ليحيى بن إبراهيم أني أعرف ببلد نفيس من أرمى المصامدة فقيها حاذقاً ورعاً أخذ عني علم كثير واسمه وجاج[4] بن زولو من آل السوس الأقصى كتب إليه كتاباً لينظر في تلامذته من يبعثه معك فسر إليه فكتب إليه الشيخ كتاباً.

وخلاصة القول فقد كان يحيى بن إبراهيم حريصاً على أخذ فقيهاً عالماً معه ليفقه قومه في الدين، فقد كان يفكر في إخراج قومه من الظلمات إلى النور، فبعث معه عبدالله بن يس فقد حاولوا أن يرسموا منهجاً لدولتهم بتربية أفرادها على الإسلام.

---

(١) سبق تعريفه.

(٢) الاستقصاء، الناصري، ج٢/٦-٧.

(٣) ديوان المبتدأ، ابن خلدون، ج٦/٣٧٤.

(٤) الاستقصاء، الناصري، ج٢/٦-٧.

المسألة الثانية

أبو عمران الفاسي

قال القاضي عياض(١): هو موسى بن عيسى بن حاج بن وليم بن الخير القفوجومي، وقفجوم فخذ من زناتة من هوارة وأصله من فاس، وبيته بها بيت مشهور، يعرفون ببني أبي حاج ولهم عقب وفيهم نباهة إلى الآن(٢).

شيوخه:

تفقه بالقيروان عند أبي الحسن الفاسي وسمع بها من أبي بكر الدويلي وعلي بن أحمد اللواتي السوسي ورحل إلى قرطبة متفقه بها عند أبي محمد الأصيلي وسمع الحديث من أبي عثمان سعيد بن نصر إلى غير ذلك(٣).

أثره وتلاميذه:

بدأ نشاطه العلمي في ٤٠٢هـ حين عاد من المشرق فقد جلس للطلبة في المسجد وفي داره وسرعان ما عرف قدره واشتهرت إمامته وطار ذكره في الآفاق وقد خلف الإمام الفاسي المتوفي سنة ٤٠٣هـ في نشر علوم السنة في أفريقيا ورئاسة العلم بها ورحل إليه الناس من الأقطار لسماع مروياته(٤).

كان يحدث بصحيح البخاري والتاريخ الكبير له أيضاً وتصحيف المحدثين للدارقطني(٥).

---

(١) هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض، كان إمام وقته في الحديث والعلوم والنحو واللغة وكلام العرب، صنف الإكمال في شرح مسلم، دخل الأندلس طالباً للعلم، ولي القضاء بمدينة سبتة مدة طويلة، ثم قضاء غرناطة، ولد بسبتة ٤٧٦هـ، وتوفي بمراكش يوم الجمعة ٥٤٤هـ، سبتة مدينة مشهورة بالمغرب، وهي بالأندلس، انظر وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٣/٤٢٤.

(٢) ترتيب المدارك، القاضي عياض، ط المغربية، ج٧/٢٤٣-٢٤٤.

(٣) نفس المرجع السابق.

(٤) انظر مدرسة الحديث في القيروان، ج٢/٧٦٥-٧٦٦.

(٥) هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود أبو الحسن الدارقطني، إمام عصره في الحديث، ولد بدار قطن سنة ٣٠٦هـ، من أحياء بغداد، وتوفي بها ٣٨٥هـ، من آثاره السنن، انظر غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، ط١، ص٥٥٨.

تتلمذ عليه عدد كبير من الناس من أهل أفريقية والمغرب والأندلس وصقلية[1]، وحكى الذهبي[2]: (تخرج بهذا الإمام خلق من الفقهاء والعلماء)[3].

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) جزيرة في منطقة من البحر الشامي افتتحها المسلمون في صدر الإسلام، وصقلية اسم لإحدى مدنها، فنسب الجزيرة كلها لها وفيها مدن كثيرة وهي جزيرة عظيمة ضخمة. انظر الروض المعطار الحميري، ص٣٦٦.

(٣) أحمد بن عثمان بن قايماز عبد الله التركماني الأصل الفارقي ثم الدمشقي الشافعي أبو عبد الله، شمس الدين، محدث ومؤرخ، ولد بدمشق سنة ٦٧٣هـ، وتوفي سنة ٧٤٨هـ، انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٩/٥٨٧-٥٨٨، ثم البداية والنهاية، ابن كثير، ط٣، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٧٢م، ج١٢/٣١٢.

المسألة الثالثة

عبد الله بن يس

يقول ابن خلدون: فبعث معهم عبد الله بن يس بن مكو الجزولي وهو معلم يعلمهم القرآن، ويقيم لهم الدين ثم هلك يحيى بن إبراهيم وافترق أمرهم واطرحوا عبد الله بن يس واستصعبوا علمه وتركوا الأخذ عنه لما تجشموا فيه من مشاق التكليف فأعرض عنهم وترهب وتنسك معه يحي بن عمر من رؤساء لمتونة وأخوه أبو بكر فتبذوا عن الناس في ربوة يحيط بحر النيل من جهاتها ضخضاخاً في المصيف وغمراً في الشتاء فتعود جزر متقطعة... فتسامع بهم من في قلبه ذرة من خير[1].

يقول الناصري: لما انتهى يحيى بن إبراهيم إلى بلاده ومعه الفقيه عبد الله بن يس الجزولي تلقاه قبائل كدالة ولمتونة وفرحوا بمقدمها وتيمنوا بالفقيه وبالغوا في إكرامه وبره فشرع يعلمهم القرآن، ويقيم لهم رسم الدين وسوسهم بآداب الشرع، وألفاهم يتزوجون بأكثر من أربع حرائر فقال لهم: (ليس هذا من السنة وإنما سنة الإسلام أن يجمع الرجل بين أربع نسوة فقط، وله فيما شاء من ملك اليمين سعة)، وجعلوا يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وشدد في ذلك فاطرحوه واستعصوا علمه)[2].

وخلاصة القول أنه ليس ينجح في رسالته الدعوية وهي ما وهبه الله تعالى من صفات فطرية وما اكتسبه في حياته في سبيل دعوته[3].

أهم الصفات الفطرية التي ظهرت من سيرته:

أولاً: الذكاء: فكان رحمه الله عميق الفهم، صاحب حجة يقيم الدليل على خصومه من الفقهاء المحليين الذين تحالفوا مع الأمراء للقضاء عليه.

ثانياً: الشجاعة: أنه دخل الصحراء داعياً إلى الله تعالى مع أن غيره من تلاميذ أبي عمران الفاسي اعتذروا وكذلك من تلاميذ واجاج بني زلوا. وامتاز بشجاعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستشهد مجاهداً[1].

---

(١) ديوان المبتدأ، ابن خلدون، ج٦/٣٧٤.

(٢) الاستقصاء، الناصري، ج٢/٧-٨.

(٣) البيان المغرب، ابن عذارى، ج٤/٧.

والشجاعة في الحق في مبادئ القتال بالنسبة للمسلم تدل على قوة العقيدة وصفاء العقيدة يرفع الهمة وينمي الشجاعة، قال تعالى: (ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)[٢].

وكم نحن محتاجون إلى الشجاعة في الدعوة إلى الله من أمثال الفقيه أي لنزيل بها المنكرات.

ثالثاً: المهابة: كان مهيباً قوياً شديداً في خوضه الحروب بنفسه، وجعل منهاجه في أصحابه قوله تعالى: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...)[٣].

لقد جمع ابن يس من القوة الفكرية أنواعاً متعددة من قوة الإدراك وقوة العلم، وقد أشار الله تعالى إلى القوة الفكرية والبدنية (...إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ...)[٤].

رابعاً: الأمانة: عندما وجد ابن يس أن القلوب التفت حوله وأصبح الآمر والناهي في قبائل الملثمين لم ينافس الأمير يحيى بن إبراهيم في منصبه، وقد وصف الله تعالى المؤمنين بصفات منها الأمانة قال تعالى: (وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ)[٥].

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي، ج٥/١٨٩.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان (١٧٣-١٧٤).

(٣) سورة الأنفال، الآية (٦٠).

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٤٧).

(٥) سورة المؤمنون، الآية (٨).

خامساً: الحياء: عندما طلب شيخه منه الذهاب للصحراء لم يمانع من ذلك بل استجاب لدعوته وعندما عرض عليه الأمير يحيى رباط في نهر السنغال أجابه ولم يعارضه وكان عازماً على فراق الملثمين لظلمهم له وعنتهم عن الحق[1].

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياءً وقد وصفه أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه)[2].

فالحياء مطلوب للدعاة في سبيل الله وهو الذي يمنع صاحبه من الوقوع في المعاصي ويحث صاحبه على نصرة الحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناه إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)[3].

سادساً: الحلم: وعندما تمكن من قبائل جداله ولمتونه التي حاربت دعوته عفا عنها وأحسن إليها.

سابعاً: الجاذبية: بها جذب قلوب قبائل الملثمين بدون تكلف وهذه من الصفات المهمة في شخصية الداعية فمثلاً يقول الله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)[4].

ثامناً: الصدق: كان صادقاً في دعوته في مخاطبته للناس وعرف الناس ذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المراحل التي مر بها عبد الله بن يس في دعوته:

الرباط:

---

(١) اسمه سعد بن مالك بن سنان الخزرجي، من سادات الأنصار، مات بالمدينة سنة ٦٤هـ، انظر مشاهير علماء الأمصار للبستي، ص١١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه -٤٣- كتاب الفضائل -١٦- باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم، ج١٨٠٩/٢، ح رقم٢٣٢٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيح كتاب الإيمان -١١- باب الدليل على أن من رضي بالله رباً وبمحمداً نبياً ورسولا فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي والكبائر، ج٦٣/١، ح رقم٣٥.

(٤) سورة الأنعام، الأيتان (١٦٢-١٦٣).

قال يحيى بن إبراهيم لعبد الله بن يس: هل لك في رأي أشير به عليك إن كنت تريد الآخرة قال وما هو؟ قال: (إن ههنا جزيرة في البحر وفيها الحلال المحض من سجر البرية وصيد البر والبحر، ندخل فيها ونقتات من حلالها، ونعبد الله حتى نموت)، فقال: ابن يس إن هذا رأي حسن فهلم بها فلندخلها على اسم الله، فدخلها ودخل سبعة نفر، نشأ عبدالله رباط وأقام فيه أصحابه مدة ثلاثة أشهر تتسامع الناس بهم... فلم تمر عليه الأمدة يسيرة حتى اجتمع له من التلامذة نحو ألف رجل سماهم بالمرابطين للزوم رابطتهم[١].

أما في القرآن قوله تعالى: : (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ...)[٢].

وقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ...)[٣].

عن سهل[٤] بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها)[٥].

الجماعة الملتزمة بالرباط مؤمنة بربها ونبيه صلى الله عليه وسلم فكانت العبادة تقتصر على الصلوات الخمس جماعة وقد وضعت عقوبات لمن تأخر عنها.

ورباط ابن يس يقع قريباً من مملكة غانا الوثنية ولابد لأصحابه من الجهاد في أي وقت. وتكاثر أعداد طلابه حتى بلغ ألف رجل ولما كثر أتباعه ومنع لهم شروطاً فكان يختار منهم أطهرهم نفساً وأقدرهم على تحمل المشاق وحكم فيهم بشرع الله وكان رحمه الله يهتم بالفقهاء والعلماء يساعدوه على تربية الناس.

منهجيته:

---

(١) الاستقصاء، الناصري، ج٢/٨-٩، انظر تاريخ المغرب في العهد الوسيط، ابن الخطيب، ص١-٢. انظر صبح الأعشى، القلقشندي، ج٥/.

(٢) سورة الأنفال، الآية (٦٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٢٠٠).

(٤) هو سهل بن سعد بن مالك الساعدي، كان اسمه حزن فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلاً كنيته أبو العباس، مات بالمدينة ٩١هـ وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة، انظر مشاهير علماء الأمصار، السبتي، ص٢٥.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه -٢٠- كتاب فضائل الجهاد -٢٦- ما جاء في فضل المرابط ج٤٠/١٨٨، ح رقم١٦٦٤، سنن الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط٢، تونس، دار سحنون للطباعة والنشر، ١٩٩٢م.

القرآن الكريم هو المرجعية العليا لابن يس وأتباعه وكان موقفهم التسليم لكل ما جاء به وما يتعلق بالعقائد والعبادات والأخلاق (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)[1].

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2].

السنة:

عند المرابطين هي المنهج المفضل في تعاليم الإسلام وتطبيقه وتربية الأمة عليه.

جهاده:

يقول الناصري[3]: ثم ارتحل ابن يس إلى بلاد المصامدة ففتح جبل درن[4]، وبلاد رودة[5]، ومدينة شفشاوة[6] بالشيف ثم فتح مدينة نفيسي[7] وسائر بلاد كدميوه[8]، ووفدت عليه قبائل رجراجة[9] وحاحة[1] فبايعوه ثم ارتحل إلى مدينة

---

(١) سورة فصلت، الآية (٤٢).

(٢) سورة ص، الآية (٢٩).

(٣) سبق تعريفه.

(٤) بالمغرب وهو جبل معترض في الصحراء معمور والقبائل صنهاجة وغيرها وهو الجبل الذي يقال متصل إلى المقطم بمصر ومن هذا الجبل ينزل إلى بلاد السوس، انظر المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ابن عبد البكري، ص١٦٠.

(٥) رودة: بضم أوله وبالدال المعجمة موضع قرب نهاون، انظر معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، للوزير الفقيه أبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي، مخطوطات القاهرة، حققه وضبطه مصطفى السقا، ١٩٤٩م، ج٢/٦٨٤.

(٦) شفشاوة: اختطت في سنة ٨٧٦هـ على يد الشريف الفقيه الناصح المجاهد أبي جمعة العلمي واختطت هذه المدينة لتحصين المسلمين من نصارى سبتة، انظر الاستقصاء، الناصري، ج٤/١٢١.

(٧) مقعد نفيس على ميلين من المدينة ينسب إلى نفيسي بن محمد، من موالي الأنصار، انظر مراصد الاطلاع، ج٣/١٣٨٣.

(٨) كدميوه تبتدي من قمة جبل سعد غرباً وتمتد شرقاً على مسافة نحو ٢٥ ميلاً إلى أن يصل أمزميز . انظر (وسط أفريقيا للحسن بن محمد الوزان ، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ط٢، دار الغرب الإسلامي، ج١/ ص ١٤١) .

(٩) رجراجة: تسكن جبل يسمى جبل الحديد الذي يمتد من المحيط شمالاً وجنوباً إلى نهر تسيفت فاصلاً بين أقاليم حاحا ومراكش ودكالا، انظر وصف آخر للحسن بن محمد بن وزان الفاسي، مرجع سابق، ص١١٢.

أغمات[2]، وبها يومئذ أميرها لقوط بن يوسف[3] بن علي المغراوي وحاصرها حصاراً شديداً ودخل المرابطون مدينة أغمات سنة ٤٤٩هـ... ثم تقدم ابن يس إلى بلاد تامسنا[4] ففتحها واستولى عليها[5]، وتوفي ابن يس سنة ٤٥١هـ[6].

ويقول ابن خلدون[7]: في سنة ٤٦٦هـ غزا عبد الله أودغشت وهو بلد قائم العمارة مدينة كبيرة بها أسواق ونخل كثير وأشجار الحناء وهي في العظم كشجر الزيتون وهو كان منزل ملوك السودان المسمى بغانة[8] قبل أن تدخل العرب غانة.

وخلاصة القول لقد صار ابن يس في دعوته لقبائل الملثمين سيرة حسنة وتدرج بهم إلى أن وصل درجة قيام الدولة المرابطية ثم شرع في قتال الدول المنحرفة أو القبائل التي لم تحترم وتقدس المحرمات.

ففي قتالهم وجهادهم لبرغواطة وغمارة ذات الأفكار المنحرفة والضلالات فهذا يعتبر من أكبر الأعمال الجهادية.

فقد كان رجال الدولة المرابطية يسعون للجهاد دائبين ومصرين في ذلك كل الإصرار على صوت الإسلام وكرامة المسلمين ابتداءً من ابن عمران الفاسي ثم الأمير يحيى بن إبراهيم فقد شجع العلماء في ذلك الزمان وخاصة علماء سلجماسة على قيام دولة المرابطين وقد كان لابن يس الفضل في قيام هذه الدولة بعد الله تعالى.

---

(١) حاحة: فيها عدة جبال لكنها غير مسكونة، نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش، انظر معجم البلدان، الحموي، ج١/٢٢٥.

(٣) لقوط بن يوسف المغراوي أمير مغراوة، ضرب حولها الحصار ودافع لقوط عن مدينته أشد دفاع عند عبور المرابطين جبال أطلس، وفتح المرابطون سائر بلاد كدميوة وبايعتهم القبائل، انظر دول الطوائف حتى الفتح المرابطي، عنان، ط١، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٢٩٥.

(٤) سبق تعريفها.

(٥) الاستقصاء، الناصري، ج٢/١٤-١٥.

(٦) نفس السابق، ص١٤-١٥.

(٧) سبق تعريفه.

(٨) ديوان المبتدأ، ابن خلدون، ج٦/١٦٩/١٧٠.

فقد كانت معسكرات الجاهد لا تتوقف في يوم من الأيام وشراء الأسلحة لذلك أي إعداد العدة للمرحلة القادمة وقد تم كل ذلك بتوفيق الله تعالى.

المسألة الرابعة

الأمير يوسف بن تاشفين

نسبه:

يوسف بن تاشفين بن إبراهيم اللمتوني الصنهاجي، وأمه بنت عم أبيه فاطمة بنت سير بن يحيى بن وجاج بن وارتقين. وكانت قبيلته قد سيطرت بسيادتها وقيادتها على صنهاجة واحتفظت بالرئاسة(١).

أوصافه:

كان رجلاً ديناً خيراً حازماً داهية، وكان على نهج السنة وإتباع الشريعة فاستعان به آل المغرب فسار إليها واقتحمها حصناً حصناً، وبلداً بلداً بأيسر سعى فأحبه الرعايا وصلحت أحوالهم(٢).

وكان حازماً سائساً للأمور ضابطاً لمصالح مملكته مؤثراً لآل العلم والدين كثير المشورة لهم، وبلغني إن الإمام حجة الإسلام أبا حامد الغزالي رحمه الله لما سمع لما هو عليه من الأوصاف الحميدة وميله إلى العلم عزم بالتوجه إليه فوصل إلى الإسكندرية وشرع في تجهيز ما يحتاج إليه فوصله خبر وفاته فرجع عن ذلك العزم(٣).

يتضح مما سبق من صفات ابن تاشفين:

التـدين: فقد كان ديناً لا يحابى ولا يجامل في انتهاك حرمات الله متبعاً للشريعة.

الحزم: فقد كان حازماً في أموره متبعاً الكتاب والسنة النبوية إذ قال تعالى: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ...)(٤).

---

(١) سبقت ترجمته ص ٢١.

(٢) الكامل، ابن الأثير، ج٩/٦٢١-٦٢٢.

(٣) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٥/٤٨١-٤٨٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية (٣١).

محبـة أهـل العلـم: فقد كـان يحـب العلـم وآلـه وخاصـة فقهائـه لمـا عـزم الإمـام الغزالي بالتوجيه إليه لتلك هذه الصفة الحميدة.

الغوث والنجدة: فقد كان عندما استعان به أهل المغرب نجدهم وفرج عنهم تلك الكرب، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم)(١).

وخلاصـة القول أن ابن تاشفين قد اتصف بصفات لا توجد إلا في المؤمنين الصادقين فقد تلقى تعليمه في قلب الصحراء على ابن يس.

المراحل العسكرية التي مر بها ابن تاشفين:

لما ملك أبو بكر بن عمر سلجماسة استعمل عليها يوسف بن تاشفين اللمتوني وهو من بني عمة الأقربين ورجع إلى الصحراء فأحسن يوسف السيرة في الرعية ولم يأخذ منهم سوى الزكاة فأقام بالصحراء مدة ثم عاد أبو بكر إلى سلجماسة فأقام بها سنة والخطبـة والأمـر لـه، واستعمل عليها ابن أخيه أبي بكر بن عمر وجاز مع يوسف بن تاشفين جيشاً من المرابطين إلى السوس ففتح على يديه(٢).

فحينئذٍ صار يوسف بن تاشفين في عسكره من المرابطين دوخ أقطار المغرب، ثم رجع أبو بكر إلى المغرب فوجد يوسف ابن تاشفين قد استبد عليه، واختط يوسف مدينة مراكش سنة ٤٥٤هـ، إلى أن قال ارتحل يوسف إلى فاس واختط منازلها وافتتح جميع الحصون المحيط بها(٣).

وفي سنة ٤٦٠هـ فتح جميع بلاد غمارة وجبالها من الريف إلى طنجة(٤)، وفي سنة ٤٦٢هـ أقبل إلـى فـاس(٥)، فنزل عليها بجيوشه بعد أن فرغ من جميع بلاد

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب السير والبر والصلة والآداب ١٥- باب تحريم الظلم ج١٩٩٦/٣ ح رقم ٢٥٨٠ مرجع سابق، صحيح مسلم الإمام أبوالحسين مسلم بن الحجاج ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط٢، تونس، دار سحنون للطباعة ١٩٩٢م .

(٢) الكامل، ابن الأثير، ج٦٢١/٩-٦٢٢، ثم انظر ديوان المبتدأ، ابن خلدون، ج٣٧٧/٦.

(٣) نفس المرجع السابق، ج٣٧٨/٦، انظر الاستقصاء، الناصري، ج٥٤/٢.

(٤) سبق تعريفه.

(٥) سبق تعريفه.

المغرب سوى سبتة[1] وشدد الحصار على فاس فدخلها عنوة بالسيف فقتل بها من مغراوة وبني بفرن ومكناسة[2]، وغيرهم خلقاً كثيراً[3].

في سنة ٤٦٤هـ استدعى يوسف أمراء المغرب وأشياخ القبائل من زنانة وعمارة والمصامدة وسائر قبائل البربر فقدموا عليه وبايعوه وكساهم ووصلهم بالأموال[4].

في سنة ٤٧٤هـ زحف يوسف بن تاشفين إلى مدينة وجدة[5] ففتحها ثم سار إلى تلمسان ففتحها واستلحم من كان بها[6].

وخلاصة القول بعد هذه الجولة الجهادية تم توحيد المغرب الأقصى وأصبحت الدولة المرابطية قوة لا يستهان بها وشكلت خطراً على النصارى في الأندلس حيث أن النصارى استفحل خطرهم.

في الأندلس حيث قامت دويلات كثيرة في تلك البلاد وتناحرت فيما بينها وعرف حكامها بملوك الطوائف وتلقبوا بالألقاب الخلافية كالمامون والمعتمد والمستعين والمتوكل.

لقد آلت أوضاع الأندلس إلى السوء مما شجع النصارى على توجيه ضربات إلى المسلمين وشنوا حرباً شعواء نابعة من شعورهم العدائي للعرب والمسلمين تهدف إلى خروجهم من أسبانيا وبدأت هذه الحرب صليبية في شكلها ومحتواها.

ولم تكن للمقاومة الإسلامية في الأندلس القدرة على إيقاف المد الصليبي الزاحف للتخلص من المسلمين فاضطر أهل الأندلس إلى طلب القوة من المرابطين.

---

(١) سبق تعريفه.

(٢) مدينة بالمغرب في بلاد البربر على البر الأعظم اختطها يوسف بن تاشفين ملك المغرب من الملثمين وأكثر شجرها الزيتون، انظر معجم البلدان، الحموي، ج١٨١/٥.

(٣) الاستقصاء، الناصري، ج٢٩/٢.

(٤) نفس السابق، نفس الصفحة.

(٥) هي على ساحل مدينة تابحريت بينها أربعون ميلاً ومن تلمسان إلى وحدة ثلاث مراحل وعلى طريق مدينة وجدة المارة والصادرة من بلاد المشرق إلى سلجماسة وغيرها من بلاد المغرب، انظر المغرب، تكر بلاد أفريقيا والمغرب، أبي عبيد البكري، ص٨٧.

(٦) نفس السابق، ص٣٢.

المطلب الثالث

المرابطون ودفاعهم عن مسلمي الأندلس

يشتمل على ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: ملوك الطوائف وتفككهم.

المسألة الأولى
ملوك الطوائف وتفككهم

أولا: الصراع بين طليطلة وقرطبة.

ثانيا: الصراع على إشبيلية بين الفونسو ويوسف بن تاشفين.

ثالثا: معركة الزلاقة.

رابعا: تسميته باسم أمير المسلمين.

خامسا: ولاية علي بن يوسف وإحراق الأحياء.

سادسا: أثر الحكم بما أنزل الله على المرابطين.

أولاً : الصراع بين طليطلة وقرطبة

طليطلة تعرف بالثغر الأوسط لأنها من الممالك المواجهة للحدود الأسبانية لأصحابها بني النون المغاربة من رجالاتها يحيى الملقب بالمأمون الذي دخل في منازعات مع ابن هود صاحب سرقسطة وابن عباد صاحب أشبيلية كما استعان بالأسبان في تحقيق أطماعه وحاول الاستيلاء على قرطبة من بني عباد ففشل في مسعاه[١].

وقد تولي حفيده القادر الحكم ولكنه أرغم على الفرار ولجأ إلى الفونسو يستعين به لاستعادة ملكه الضائع[٢].

وعندما تولي المأمون يحيى بن ذي النون ١٠٤٣م إمارة طليطلة اغتنم عون خليفة عبدالعزيز بن أبي عامر واستأجر الفرسان النصارى من القشتاليين ليبطش بمحمد بن جهور أمير قرطبة فتدخل ابن عباد صاحب أشبيلية بنو الأفطس أصحاب بطليوس للوقوف ضد صاحب طليطلة الذي كان يقودهم جميعاً[٣].

وبينما كانت الأندلس تعاني من هذا الضعف السياسي والاجتماعي تحت حكم ملوك الطوائف إذا بدول أسبانيا المسيحية في الشمال تعمل على توحيد قواها بمساندة فرنسا والبابوية[٤].

وخلاصة القول فقد صارت الأندلس طوائف ممزقة لا يجمعها أي شيء فقد كانت تتناحر في بعضها وتستنجد بملوك النصارى على بعضها البعض فقد ثبت استعانتهم بالنصارى.

وقد تطرقت لهذه المسألة إثباتاً لتفكك هذه الدويلات ومعرفة ثمار التعاون مع النصارى والفرقة بين المسلمين والخلافات والمطامع التي ظهرت في هذه الدولة

---

(١) الإسلام في المغرب والأندلس، لفي بروفنسال، مراجعة لطفي عبد البديع، الترجمة العربية، القاهرة ١٩٥٦م، ص١٢٠-١٥٠.

(٢) الصراع على أشبيلية بني الفونسو وابن تاشفين، ص٣٣.

(٣) دولة المرابطين، د. علي محمد محمد الصلابي، ص١٠٩.

(٤) في تاريخ المغرب والأندلس، د. أحمد مختار العبادي، ص٢٦٠.

الأندلسية بعد أن كان الرعيل الأول منهم أصحاب جهاد ومثابرة ضد العدو النصراني الذي ما لبث يوماً أن يكف عن أحقاده على المسلمين وآله وإن كانت مظاهرته الود والتسامح وليعلم المسلمين من عدوهم وقال الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...﴾[1].

فهم يجتمعون على حرب الإسلام والمسلمين ويفترقون فيما بينهم إذ همهم الأول والأخير طمس معالم الإسلام ومحاربة حضارته وتاريخه في شتى المجالات.

فلنكن ذوي أبصار نافذة نقيم القيم الإسلامية فيما بيننا حتى نصبح أخوة في الله مجتمعين على محبة عباده المؤمنين لنحرص على التربية الدينية التي تقوم على محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم.

(١) سورة البقرة، الآية (١٢٠).

ثانياً : الصراع على أشبيلية بين الفونسو ويوسف ابن تاشفين

اتجه الفونسو بعد طليطلة إلى النيل من مملكة بني عباد فهي أكبر الممالك الإسلامية بالأندلس وسقوطها معناه سقوط غيرها بسرعة وإدراك المعتمد بن عباد أن لا قبل له بالوقوف في وجه الزحف المسيحي وساءه ما آل إليه حال المسلمين بالأندلس فقرر الاستعانة بالمرابطين حكام الشمال ولما حذره بعض أتباعه من نتيجة ذلك في قولته المشهورة: (لأن أكون سائق جمال في صحراء أفريقية خير من رعي الخنازير في قشتالة)[1].

الرواية المشهورة عن دخول المرابطين إلى الأندلس تذكر أن المعتمد عباد قد اختلف مع سفارة لا لفونسو السادس ٤٧٥هـ التي قدمت لتسليم الأموال التي تعهد لتقديمها كجزية سنوية لا لفونسو ملك قشتالة[2].

وخلاصة القول أن اتجاه الألفونسو لمملكة بني عباد بأشبيلية إنما كان غرور منه واتسهانة بمسلمي الأندلس فقد أظهر المعتمد عزته وإبائه وضربه لليهودي المنافق وهكذا تمكن قوة المسلم لا يرضى الذلة ولا المهانة وخاصة من المشركين اليهود والنصارى.

(١) المعجب، المراكشي، تحقيق: د. محمود غنيم ، ثم انظر الاستقصاء، الناصري، ج٢/٣٩.

(٢) الصراع على أشبيلية، ص٣٩.

ثالثاً : معركة الزلاقة

يقول ابن خلدون: أسبابها تكالب الطاغية على بلاد المسلمين وراء البحر وانتهز الفرصة فيها بما كان فيها من الفرقة بين ملوك الطوائف فحاصر طليطلة(١)، وبها القادر بن يحيى(٢) بن ذي النون حتى نالهم الجهد وتسلمها صلحاً سنة ٤٧٨هـ على أن يملكه بلنسية(٣)، فدخل بلنسية ... إلى خاطب المعتمد(٤) بن عباد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين منتجزاً وعده في صريخ الإسلام(٥).

في سنة ٤٧٩هـ عبر ابن تاشفين البحر إلى الأندلس ذلك استجابة لفداء بعض ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد أمير أشبيلية حيث اشتبك مع جيوش الفونسو السادس في موقعة الزلاقة في رجب سنة ٤٧٩هـ(٦).

يقول صاحب نفح الطيب(٧): قال ابن الأثير : وكان المعتمد بن عباد أعظم ملوك الأندلس ومتملك أكثر بلادها مثل قرطبة وأشبيلية وكان مع ذلك يؤدي إلى الأذفونش كل سنة فلما تملك الأذفونش طليطلة أرسل إليه المعتمد الضريبة المعتادة فلم يقبلها منه وأرسل إليه يهدده ويتوعده بالمسير إلى قرطبة ليفتحها ويقال أن

---

(١) سبق تعريفها.

(٢) هو الأمير أبو الحسن يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن عامر بن مطرف بن موسى بن ذي النون وأبو الحسن، هذا أقدم ملوك الأندلس رئاسة وأشرفهم بيتاً، وأحقهم بالتقدم لقب بالمأمون إلى أن استولى النصارى على طليطلة سنة ٣٧٦هـ، انظر المعجب في ذكر أخبار المغرب، المراكش، ص١٢٥، ثم انظر ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج٤/٣٤٩.

(٣) في شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجاية ستة عشر يوماً، وهي مدينة سهلة وقاعدة من قواعد الأندلس في مستقرٍ من الأرض عامرة القطر كثيرة التجارات وبها أسواق، انظر الروض المعطار، الحميري، ص٩٧.

(٤) هو المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبي عمر وعباد، قاضي إشبيلية صاحب قرطبة أشبيلية وما ولاها من جزيرة الأندلس، توفي ٤٦١هـ، انظر وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج /

(٥) ديوان المبتدأ، ابن خلدون، ج٦/٣٨٢-٣٨٤.

(٦) الدويلات الإسلامية في الغرب، د. محمد كمال شبانة، ط١، دار العالم العربي، يناير ٢٠٠٨م، ص٤٤.

(٧) نفح الطيب، المغرب، ج٦/٨٨-٨٩.

الأذفوفش سأل المعتمد في دخول امرأته القمطجية إلى جامع قرطبة لتلد فيه فرفض المعتمد[1].

ويقول ابن عذارى: كان السبب في ذلك فساد الصلح المنعقد بين الطاغية وبين المعتمد فإن المعتمد اشتغل عن أداء الضريبة في الوقت الذي صارت عادته يؤديها فيه لغزو ابن صمادح[2] صاحب المرية واستعاذه ما في يديه بسبب ذلك فتأخر إلى أن قال فسأله في دخول امرأته القمطجية إلى جامع قرطبة لتلد فيه[3].

المعركة:

ثم أجاز ابن تاشفين البحر في عسكر من المرابطين وقبائل المغرب ونزل الجزيرة سنة ٤٧٩هـ، ولقيه المعتمد بن عباد وابن الأفطس[4]، وجمع الفونسو ملك الجلالقة أمم النصرانية لقتاله ولقي المرابطون بالزلاقة من نواحي بطليوس فكان للمسلمين عليه اليوم المشهور سنة ٤٨١ ثم رجع إلى مراكش[5].

ثم ثانية سنة ٤٨٦هـ وتثاقل أمراء الطوائف عن لقائه لما أحسوا من تكبره عليهم لما سيحدث به عليهم من الظلامات والمكوس فلما أجاز انقبضوا عنه إلا ابن عباد بادر إلى لقائه[6].

---

(١) نفس السابق والصفحة، بتصرف.

(٢) هو معن بن صمادح التجيبي أبو الأحوص أمير المرية بالأندلس، كان والياً عليها وهو أبوالمعتصم محمد بن معن، توفي ٤٣٣هـ، انظر الأعلام الزركلي، ج٧/٢٧٣.

(٣) البيان المغرب، ابن عذارى، ج٤/١٣٠، ثم انظر الاستقصاء، الناصري، ج٢/٣٨، ثم انظر الصراع على أشبيلية، ٣٧، ثم انظر رحلة الأندلس، بقلم محمد لبيب البلتوني، ط١، ص١٢١، تاريخ أسبانيا الإسلامية، ابن الخطيب، ط٢، دار الكشوف بيروت، ١٩٥٦م، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٤) سبق تعريفه.

(٥) ديوان المبتدأ، ابن خلدون، ج٦/٣٨٦.

(٦) نفس السابق والصفحة والمرجع.

يقول المراكشي[١]: وانتدب الناس للجهاد من سائر الجهات وأمد ملوك الجزيرة يوسف والمعتمد بما قدروا عليه من خيل ورجال وسلاح فتكامل عدد المسلمين من المتطوعة والمرتزقة زهاء عشرين ألفاً والتقوا هم والعدو بأول بلاد الروم[٢].

ولما تراءى الجمعان من المسلمين والنصارى رأى يوسف وأصحابه أمراً عظيماً حالهم من كثرة عدد وجوده سلاح وخيل وظهور قوة فقال المعتمد ما كنت أظن هذا الخنزير لعنه الله يبلغ هذا الحد... فإذا المعتمد وأصحابه من وراء الناس في صلاة الجمعة، فأخذ المرابطون سلاحهم فاستووا على متون الخيل فأظهر يوسف من أصحابه من الصبر وحسن البلاء والثبات ما لم يكن يحسبه المعتمد وهزم الله العدو[٣]، وكان ذلك سنة ٤٧٩[٤].

ثم أجاز ثانية ونازل حصن ليط في كورة تدمير وتعذر عليه فتحه، فقل إلى بلاده مراكش، فأعاد الجواز ثالثة سنة ٤٨٣هـ وشرع في خلعهم، فتم له ذلك وتوفي سنة ٥٠٠هـ[٥].

اجتماع علماء قرطبة:

استشار المعتمد أولياؤه في ذلك فقال له ولده الرشيد ما معناه: (حاول الأمر بجهدك مع النصراني ولا تستعجل بإدخال من يسلبنا الملك). إلى أن خاطب المعتمد يوسف بن تاشفين سنة ٤٧٨هـ، يستأذنه في القدوم إليه لتقرير أحوال الأندلس فلما ورد عليه الخطاب جمع قومه وإخوانه فقال لهم: (ما ترون في هذا الأمر)؟ فقالوا: هذا الرجل قد استنصر بنا على عدو الدين ووجب علينا وعلى كل مسلم نصره[٦].

ولما عزم أمر صاحب بطليوس المتوكل عمر بن محمد وعبد الله بن حبوس الصنهاجي صاحب غرناطة أن يبعث كل واحد منهما قاضي بحضرته ففعلا

---

(١) سبق تعريفه.

(٢) المعجب، المراكشي، ص١١٨.

(٣) نفس السابق، ص١١٩، بتصرف.

(٤) البيان المغرب، ابن عذاري، ج٤/١٣٠-١٣١.

(٥) أسبانيا الإسلامية، ابن الخطيب، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٦) تاريخ أسبانيا الإسلامية، ابن الخطيب، ص٢٤٥-٢٤٦.

واستحضر قاضي الجماعة بقرطبة أبا بكر عبيد الله بن أدهم وكان أعقل أهل زمانه، فلما اجتمع عنده القضاة بأشبيلية أضاف إليهم وزيره أبا بكر بن زيدون وعرف أربعتهم أنهم رسله إلى ابن تاشفين[١].

وكاتبه أهل الأندلس كافة من العلماء والخاصة فاهتز للجهاد وبعثه ابنه المعز في عساكر المرابطين إلى سبتة فنازلها براً[٢].

في سنة ٤٨٦هـ وتوافق ملوك الطوائف على قطع المدد من عساكره ومحملاته فساء نظرة، وأفتاه الفقهاء وأهل الشورى من المغرب والأندلس بخلعهم، وانتزاع الأمر من أيديهم وصارت إليه بذلك فتاوى أهل الشرق الأعلام مثل الغزالي[٣] والطرطوش[٤]، فعهد غرناطة، واستنزل صاحبها عبيدالله[٥] بن بلكين بن باديس بها أجاز الأمير يحيى[٦] بن أبا بكر بن يوسف سنة ٤٩٣هـ واقتحموا عامة الأندلس من أيدي ملوك الطوائف[٧].

وخلاصة القول أن معركة الزلاقة قد رفعت الروح المعنوية لأهل الأندلس، وأزال عن ملوك الطوائف قلقهم من النصارى.

ومهدت الزلاقة لإسقاط دول الطوائف لاحقاً، أدخلت الفرح في قلوب المسلمين وسرت العلماء ورجال الدين الإسلامي، وأثرت في نفوس نصارى أسبانيا وتحطمت آمالهم في استيلاء أراضي المسلمين أو إخراجهم عنها.

---

(١) نفح الطيب، المقري، ج٦/٩٢.

(٢) ديوان المبتدأ، ابن خلدون، ج٦/٣٨٢.

(٣) سبق تعريفه.

(٤) هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي أبو بكر يقال له ابن أبي رندقة، من فقهاء المالكية من أهل طرطوشة بشرق الأندلس رحل إلى المشرق سنة ٤٧٦هـ، توفي بالإسكندرية ٥٢٠هـ له سراج الملوك، انظر هدية العارفين، البغدادي، ج٢/٨٥.

(٥) عبد الله بن بكين بن باديس بن حبوس بن ماكس أمير غرناطة، لقبه المظفر بالله، الناصر لدين الله ولي سنة ٤٦٥هـ وخلع سنة ٤٨٣هـ خلعه أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين، انظر الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، ج٣/٣٧٩.

(٦) يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين، تولي مدينة غرناطة إلى أن انتهى أمر غرناطة سنة ٥٤٠هـ، انظر الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، ج١/١٤٧.

(٧) ديوان المبتدأ، ابن خلدون، ج٦/٣٨٥.

وجعلت النصارى يرتبون أمورهم ويوحدون صفوفهم ويتنازلون عن صراعاتهم الداخلية.

وأقوى الأسباب في نصر الله للمرابطين هو تمسكهم بالدين وتحكيم القرآن والسنة واهتمامهم بالعلماء والفقهاء على مستوى شعبهم ودولتهم وقائدهم.

رابعاً :تسميته باسم أمير المسلمين

علاقة المرابطين بالخلافة العباسية من بعد موقعة الزلاقة تسمى بأمير المسلمين وكانت أيامه حسنة، وسيرته جميلة، وخاطب المستظهر بالله الخليفة العباسي فوصله تقديمه إلى بلاد المغرب والأندلس، وأمره بخلع ثوارها، وتوفي رحمه الله بمراكش سنة ٥٠٠هـ، وولي بعده ابنه علي بن يوسف[١].

يقول العلامة الشيخ عبد الحي[٢] الكتاني: (لما تكلم ابن أبي زرع على وقعة الزلاقة كانت سنة ٤٧٩هـ وما أوتيت من النصر في اليوم نفسه سمي يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين ولم يكن يدعي بها قبل ذلك[٣].

ويقول ويروي بعض المؤرخين أن الخليفة الذي أعطى عهد الخلافة لابن تاشفين إنما هو المقتدي[٤] أو المستنصر[٥] بالله وليس المستظهر[٦]، ويستندون في ذلك إلى أن الكتاب الذين ترجموا لحياة أبي بكر[٧] بن العربي قد تحدثوا عن رحلته

(١) تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط من القسم الثالث، أعمال الأعلام، ص٢٥٠-٢٥٢.

(٢) من رجال العلم والسياسة في المغرب الأقصى، من آثاره التراتيب الإدارية، توفي سنة ١٩٦٣م، انظر معجم المؤلفين، كحاله، ج٢/٦٧.

(٣) نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، العلامة الشيخ عبد الحي الكتاني، ص٩.

(٤) المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبد الله، ولد ٥٤٣هـ، انظر هدية العارفين، البغدادي، ج٢/٩٠.

(٥) هو أبو القاسم أحمد بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر المستضيء الهاشمي العباسي البغدادي، بويع بعد خلو الوقت خليفة عباسي ثلاث سنين ونصف وهو الخليفة ٣٨ من بني العباس بويع ٦٥٩هـ توفي، النجوم الزاهرة، ج٧/١٠٩.

(٦) أمير المؤمنين أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله، أبو القاسم عبدالله، ولد سنة ٤٧٠هـ، استخلف عند وفاة أبيه تاسع عشر المحرم، وله ستة عشر سنة وثلاثة أشهر، ذلك في سنة ٤٨٩هـ، توفي سنة ٥١٢هـ، انظر النجوم الزاهرة، في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، ط١، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٥م، ج٥/٢١٥.

(٧) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي القاضي أبو بكر المعافري الإشبيلي الأندلسي، ولد سنة ٤٦٨هـ، وتوفي ٥٤٣هـ، صنف من الكتب أحكام القرآن، انظر هدية العارفين، البغدادي، ج٢/٩٠.

ومؤلفاته وشيوخه لكنهم لم يكتبوا عن الدور السياسي الذي قام به هو ووالده خلال هذه الرحلة[١].

ورأى المرابطون أن مبايعة الخليفة العباسي واجبة فاعترفوا بالخلافة العباسية واتخذوا السواد شعاراً لهم ونقشوا اسم الخليفة العباسي على نقودهم منذ القرن الخامس الهجري، ونزولاً عن رغبتكم اتصل بالخليفة العباسي أحمد المستظهر بالله وأرسل إليه بعثة منها عبدالله بن محمد بن العربي المعروف[٢].

علاقة الأمير يوسف بملوك الطوائف:

يقول التلمساني[٣]: فوقع اتفاقهم على مكاتبته لما تحققوا إنه يقصدهم بسالونة الإعراض عنهم وأنهم تحت طاعته فكتب عنهم من أهل الأندلس كتاباً: وهو إما بعد فإنك إن أعرضت عنا نسبت إلى كرم ولم تنسب إلى عجز وأن أجبنا داعيك نسبنا إلى عقل...)[٤].

مرحلة التآلف:

أجمع ملوك الطوائف فيما بينهم على استدعاء عرب المغرب لنصرتهم وكان هذا رأي ابن عباد وكان المغرب وقتئذٍ في حكم المرابطين وأميرهم يوسف ابن تاشفين[٥].

رحلة العداوة:

ثم أن يوسف ابن تاشفين استوثق له أمر الأندلس بعد القبض على المعتمد إذ كان هو كبش كتيبتها وعين أعيانها وواسطة نظمها فلم يزل أصحاب يوسف ابن تاشفين يطون تلك الممالك مملكة مملكة إلى أن دانت لهم الجزيرة بأجمعها[٦].

---

(١) الصلة، ابن البشكوال، ترجم ١٨١.

(٢) دولة المرابطية، د. علي محمد محي الصلابي، ص٢٢٩.

(٣) سبق تعريفه.

(٤) نفح الطيب، المقري، ج٦/٨٧.

(٥) رحلة الأندلس، بقلم محمد حبيب البنتولي ، ص١٢١.

(٦) المعجب، المراكشي، ص١٤٣.

خامساً : ولاية علي بن يوسف وإحراق الأحياء

يقول المراكشي[١]: وقام بأمره من بعد علي بن يوسف بن تاشفين فلقب بلقب أبيه أمير المسلمين وسمي أصحابه المرابطين فجرى على سنن أبيه في إيثار الجهاد وإخافة العدو وحماية البلاد وكان حسن السيرة جيد الطوية نزيه النفس بعيداً عن الظلم...، واشتد إيثاره لآل الفقه والدين كان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء[٢].

وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شيء منه وأنه بدعة في الدين ... ولما دخلت كتب أبي حامد الغزالي رحمه الله أمر المغرب أمير المسلمين بإحراقها وتقدم بالوعيد الشديد من سفك الدم واستئصال المال إلى من وجد عنده شيء منها[٣].

يقول ابن الخطيب[٤]: كان رحمه الله منعاً كبيراً فاضلاً معتدلاً، عظم في إباحة الملك واتسق العز وملك جميع بلاد المغرب إلى بجاية[٥] إلى الأرض الأندلسية والجزر الجوفية وبلاد القبلة بأسرها[٦].

أمر علي بن يوسف بإجماع قاضي قرطبة ابن حمدين[٧] وفقهائها على حرق كتاب الأحياء، فأحرق على الباب الغربي من رحبة المسجد بجلوده بعد إشباعه زيتاً

---

(١) عبدالواحد بن علي التميمي الحافظ محي الدين أبو محمد المراكشي، المغربي المالكي، ولد بمراكش سنة ٥٨١هـ، توفي سنة ٦٤٧هـ، صنف المعجم في أخبار أهل المغرب، انظر هدية العارفين، وأسماء المؤلفين، لإسماعيل باشا البغدادي، ج١/٦٣٥.

(٢) المعجب، المراكشي، ص١٤٩-١٥٠.

(٣) نفس السابق، ص١٥١.

(٤) سبق تعريفه.

(٥) مدينة على ساحل البحر بين أفريقيا والمغرب، انظر مراصد الاطلاع، ج١/١٦٣.

(٦) تاريخ المغرب في العصر الوسيط، ابن الخطيب، القسم الثالث، ص٢٥٣-٢٥٤.

(٧) العلامة قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز الأندلسي المالكي، ولي القضاء ليوسف بن تاشفين، توفي سنة ٥٠٨هـ، وولي قضاء قرطبة، انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج١٩/٤٢٢، ثم انظر الذخيرة في محاسن آل الجزيرة، ابن بسام، القسم الأول، القاهرة لجنة التأليف للترجمة والنشر، ١٩٤٢م، ج٢/٣٣٣.

بمحضر جماعة من أعيان الناس ووجه إلى جميع بلاده بأمر إحراقه وتوالى الإحراق على ما اشترى منه ببلاد المغرب في ذلك الوقت[1].

وخلاصـة القول أن دولـة المرابطين كانـت تعير الفقهاء مرتبـة عاليـة ومصـالح جمة مما جعلهم يخافون على موقفهم وأن تزول هذه السلطة من أيديهم وأن كتاب الأحياء من الكتب التي ألفها الإمام الغزالي رحمه الله من كتب الصوفية، بينما كانت هذه الدولة تسهم المنهج السلفي الذي يعتمد على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مما اعتبـرت دخيلـة علـى هـذا المجتمـع، وقاومهـا هـؤلاء الفقهـاء فـي دولـة المرابطين فأمر الأمير علي بن يوسف بإحراقها وقد غضب الإمام الغزالي لهذا المسلك.

(١) البيان المغرب، ابن عذارى، ج٤/٦٠، ثم انظر الإسلام في المغرب والأندلس، ليفي بروفنسال، ترجمة د. عبدالعزيز سالم، راجعه د. لطفي عبدالبديع، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص٢٥٣.

سادساً : أثر الحكم بما أنزل الله على المرابطين

الاستخلاف: نجد المرابطين منذ زعيمهم ابن يس حرصوا على إقامة شرع الله في أنفسهم وأهلهم وأخلصوا لله تعالى تحاكمهم فكان حليفهم النصر.

قال تعالى: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ..)[1].

وقد خاطب الله تعالى المؤمن داعياً إياهم بالتمكين قال تعالى: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ..)[2]، أي بدلاً عن الكفار.

الأمن والاستقرار: نجد دولة المرابطين بعد أن استخلفت ومن الله عليها ومكنها أعطاها دواعي الأمن والاستقرار ضمن الله لأهل الإيمان والعمل بشرعه وحكمه أن ييسر لهم الأمن والسلام فبيده سبحانه مقاليد الأمور وتصريف الأقدار وهو مقلب القلوب قال تعالى: (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ...)[3].

النصر والفتح: حرصوا على نصرة دين الله تعالى بكل غالٍ ونفيس وحقق الله لهم النصر والتمكين لأن الله ضمن لمن استقام في شرعه أن ينصره قال تعالى: (...وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ * ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ)[4].

---

(١) سورة القصص، الآيتان (٥-٦).

(٢) سورة النور، الآية (٥٥).

(٣) سورة الأنعام، الآية (٨٢).

(٤) سورة الحج، الآيتان (٤٠-٤١).

وإن الحكام والشعوب التي تبتعد عن شريعة الله تعالى تذل نفسها في الدنيا والآخرة.

العز والشرف: إن عزهم وشرفهم العظيم الذي سطر في كتب التاريخ يرجع للتمسك بالكتاب والسنة على الجهاد في سبيل الله وإذلال الكفار وقال تعالى: (لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[1].

عندما نمر بسيرة ابن يس ذكر وصفه بأنه ذو مهابة عظيمة وشجاعة عالية في نفوس أصحابه ونال شرفاً في قومه وعندما نمر بسيرة أبي بكر بن عمر ذكر أنه إلا ركب للجهاد ركب معه قوم كثير من قومه يجاهدون معه وعندما نمر بسيرة ابن تاشفين كأنه خلق للإمامة وللزعامة.

مقارنة بموقف ملوك الطوائف من ذلك قال تعالى: (...فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ...)[2].

لقد كانت ممارستهم للحكم البعيد عن شرع الله آثار سيئة على الأمة فنجد الإنسان المتبع هواه مصاباً بالقلق والحيرة والخوف والجبن يحسب كل صيحة عليه، لذلك كانوا يخشون النصارى ولا يستطيعون الوقوف أمامهم في عزة وشموخ.

فأي أمة لا تعظم شرع الله في الأمر والنهي فإنها تزول كما تزول بنو إسرائيل في رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم بعضاً ثم ليلعنكم كما لعنهم)[3].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (١٠).

(٢) سورة النور، الآية (٦٣).

(٣) أبي داؤد كتاب الملاحم، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح رقم ٤٦٧٠.

إن ملوك الطوائف تحققت فيهم سنة الله الماضية بسبب تحولهم من الطاعة إلى المخالفة قال تعالى: (ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(١).

لقد كانت ممالك الأندلس مليئة بالاعتداءات على الأنفس والأموال والأعراض وتعطلت أحكام الشرع فيما بينهم ونشبت حروب وفتن.

وبسبب الابتعاد عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم سهلت مهمة النصارى في الأندلس فأصبحت قوتهم مرهوبة الجانب وغاب نصر الله عن ملوك الطوائف وآل الأندلس وأصبحوا في خوف وفزع من أعدائهم.

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٥٣).

الباب الثاني
أصول الفرق الإسلامية
ودخولها الأندلس والمغرب

وفيه فصلان:

الفصل الأول: كبارالفرق الإسلامية

الفصل الثاني: الفرق الإسلامية في الأندلس والمغرب

الفصل الأول

أصول كبار الفرق الإسلامية

يشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الوعيدية.

المبحث الثاني: الإمامية

المبحث الثالث: القدرية.

المبحث الرابع: الصفاتية

المبحث الأول
الوعيدية

يشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الخوارج.

المطلب الثاني: الإباضية.

المطلب الثالث: الصُفرية

المطلب الأول

الخوارج

تعريفهم:

هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما حكم الحكمين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري ذلك أنهم لما تبعوه ومنعوه واحتجوا عليه فتاب وأظهر لهم توبته فتابعوه بعد التوبة(١).

سبق التعريف بالخوارج ومبادئهم وبقي لنا أن نعرف ببعض مناشطهم ومواقفهم

يقول د. حسن عبدالقادر: وكل ما هناك أنهم لم يكونوا مثل سلفهم الصالح من الخلفاء الراشدين أو مثل الأتقياء من التابعين بالمدينة مثلاً في إتباع مبادئ الدين بحرص ودقة، ولم يعيروا اهتماماً للأمور المتعلقة بالدين قبل اهتمامهم بأمور الدولة السياسية وما يتعلق بكيانها وتوسيع رقعتها شرقاً وغرباً(٢).

وكانت رفاهية ولاة بني أمية في عهد عثمان باستيلائهم على أموال الخراج والفئ باسم بيت المال دفعت بأبي ذر الغفاري ذلك الصحابي الجليل بدعوة الناس إلى الزهد ونهيه عن اقتناء الأموال وحضه الأغنياء على الخروج عن أموالهم إلى الفقراء(٣).

ويقول فيلهوزن: وكان أثر ذلك في النفوس شديداً وخصوصاً أن عثمان جرى على اختيار الأمراء والعمال من آل بيته وكأنما قد تحولت الدولة من كل الوجوه إلى مأكلة لطائفة مختارة لها أن تجني خير الأمصار(٤).

لم يرضى المصريون بولاية ابن عمر عثمان عبدالله بن سعيد بن أبي السرح، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد طرده وأباح دمه فثار فاتح مصر عمرو بن العاص وهو الرجل الداهية الخطر، وثار عليه محمد بن أبي حذيفة وكان من أقارب

---

(١) الفرق الإسلامية من خلال الكشف والبيان – الفلهاني – ص ٢٢٧.

(٢) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي، ص١١٨.

(٣) الطبري ٨٥٨/١، حياة أبو ذر الغفاري، أو ج٥، طبعة دار المعارف.

(٤) تاريخ الدولة العربية، ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريده، ----.

عثمان لشيء في نفسه، وثار عليه محمد بن أبي بكر بسبب انشقاقه في معركة الصواري.

يتضح من ذلك إن الفتنة بدأت بعد تقلد بني أمية لأمور الحكم وغيروا من التاريخ الإسلامي، من اختيار الخلفاء عن طريق الشورى.

معركة صفين:

هناك عند صفين على حدود الفرات التقى جيش الإمام علي مع جيش معاوية ووقعت بينهما معركة حامية الوطيس حتى إذا رأى آل الشام أنهم على وشك الهزيمة ومال النصر إلى جانب الإمام رفعوا المصاحف على أسنة الرماح وفيهم قوم من العراقيين من جند الإمام علي إنهم يطلبون الحق تحت راية كلام الله الذين ساروا باسمه على عثمان.

كانت لمعركة صفين نتائج غيرت وجه التاريخ الإسلامي والفرق والسياسي الذي جرى عليه الخلفاء الراشدون فحين بدأ خطر الهزيمة في جيش معاوية وبشائر النصر للإمام علي رفع آل الشام المصاحف على أسنة الرماح عملاً بمشورة عمرو بن العاص فأحدثوا في آل العراق الأثر المطلوب فاستوا في يد الإمام علي ولم يترك له فرصة الخيار.

ولما عاد أهل العراق أدراجهم عم السخط بينهم على نتيجة هذه المعركة ... وانفصل عن علي اثنا عشر ألفا رجل أبوا العودة معه إلى الكوفة وساروا إلى قرية حروراء تحت لواء التحكيم وشعارهم لا حكم إلا لله ومن هذا سموا باسم الحكمة ولكن يطلق عليهم عادة اسم الحرورية، أو بلفظ أعم الخوارج(١).

وهكذا كان الخوارج قد ظهروا بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه، وهو بداية الفتنة في الدولة الإسلامية.

---

(١) تاريخ الدولة العربية، ص٨١، الخوارج والمرجئة، الفيومي، ص٨١..

معركة النهروان:

رجع آل العراق إلى أنفسهم وهم في طريق العودة من أقرب طريق على الشاطئ الأيمن من الفرات ولام بعضهم بعضاً ولاموا علياً أيضاً وأن كان لم يوقف المعركة إلا مضطراً ولما دخلوا الكوفة إثنا عشر ألفا رجل وعسكروا في حروراء فسموا بالخوارج أو الحرورية، وكان شعارهم عبارة احتجاج على التحكيم وقالوا: لا حكم إلا الله، وكان رؤساهم شبث بن ربعي، وعبدالله بن الكواء اليشكري، ويزيد بن قيس الأرحبي اجتمعوا احتجاجاً وإنكاراً لهذه البدعة المضلة والأحكام الجائرة وهيم أكبر رجال قبائل تميم وبكر وهمدان الكبيرة في الكوفة،وقد نجح علي في أن يعيد هؤلاء الرؤساء إلى جانبه وقد وعدهم بولاية أصفهان والسري وأعطاه إياها ثم عاد الحروية إلى الكوفة وانضموا إليه لكنهم انتظروا وزعموا أنه وعدهم أن يقودهم دون أبعاد إلى محاربة الشام فلما لم يفعل ذلك وبعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة في دومة الجندل في رمضان عام ٣٧هـ.

ثم خرجوا من الكوفة وحداناً مستخفين واجتمعوا في النهروان على الجانب الآخر من دجلة وهناك عرضوا على خوارج في البصرة وكانوا خمسمائة رجل –أن ينضموا إليهم تحت قيادة سعد بن فدك التميمي[١] وقعة صفين– نصير بن مزاحم[٢][٣].

بعد أن انتهى التحكيم كما تنتهي المهزلة شعر علي أن له الحق في أن يستأنف القتال مع آل الشام فجمع جيشه في معسكر النخيلة ودعا الخوارج أيضاً للانضمام إليه لكنهم لم يستجيبوا لدعوته وطالبوه بأن يشهد على نفسه بالكفر لقبوله التحكيم ويستقبل التوبة، فأراد علي أن يدعهم ويمضي إلى قتال آل الشام ولكن جيشه أحل عليه أن يقاتل الخوارج لأن خوارج البصرة في طريقهم إلى النهروان قتلوا عبدالله بن خباب بن الأرت ابن أحد السابقين في الإسلام بقروا بطن أم ولده عما في بطنها

---

(١) تاريخ الدولة العربية، ص٨١، الخوارج والمرجئة، للفيومي، ص٨١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، ص٨٦.

وقتلوا آخرين واعترضوا الناس فاضطر الإمام علي أن يستجيب لإلحاحهم وحاول علي أن يقنع الخوارج بأن يدفعوا إليه القتلة(١).

ساء موقف علي بعد صفين سوءاً شديداً، فكان الخوارج في العراق يحاربونه حربا شديدة، وكان أهل البصرة متكاسلين متثاقلين عن نصرته ولم يكن آل الكوفة بأهوائهم معه بكل قواهم وكان بعضهم بعض المحايدين وهم الذين يسمون بالمرجئة أي الذين كانوا يميلون إلى عثمان(٢).

وقتلت الخوارج يومئذ فلم يفلت منهم غير تسعة أنفس وصار منهم رجلان إلى سجستان ومن أتباعهما خوارج سجستان ورجلان إلى اليمن ومن أتباعهما أباضية اليمن ورجلان إلى عمان ومن أتباعهما أباضية عمان ورجلان صارا إلى ناحية الجزيرة ومن أتباعهما كان خورج الجزيرة ورجل منهم إلى تل فورن(٣).

وهكذا كانت نشأت الخوارج، وهي بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه، وظهرت باقي الفرق من بعد ذلك.

ألقاب الخوارج:

ضمن ألقابهم: الوصف بأنهم "خوارج"، و"الحرورية"، و"الشراة"، و"المارقة"، و"المحكمة".

السبب الذي سموا به "خوارج" خروجهم على علي بن أبي طالب.

والذي سموا به "حرورية": نزولهم بحروراء أول أمرهم.

والذي سموا به "شراة": قولهم تشرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنة.

وسموا بـ "المحكمة": إنكارهم الحكمين وقولهم لا حكم إلا لله(٤).

---

(١) الطبري ٣٣٨٨٣/١، تاريخ الدولة العربية، ص٨٧.

(٢) تاريخ الدولة العربية، ص٨٨.

(٣) نفس السابق، ص٩٢.

(٤) مقالات الإسلاميين والأشعري، تحقيق محمد محي الدين، الملل والنحل، للشهرستاني، البلاد التي انتشروا فيها: الكور التيغلب عليها الخارجية، الجزيرة، الموصل، عمان، حضرموت، ونواح من نواحي المغرب، ونواحي من نواحي خراسان وقد كان لرجل من --- سلطن في موضوع يقال له سلمحاية على طريق عمان، تاريخ الدولة العربية، ص٩٦.

كذلك وطئ الخوارج أقدامهم في اليمامة واليمن وخصوصاً بني قوم متحضرين لا بدو، ففي البصرة كانت الأغلبية من بني تميم كان مسعر بن فدكي وحرقوص بن زهير، وفي الكوفة شبث بن ربعي وهلال بن علقمة وكانوا كثيرون من قبائل أخرى[1].

ومن البلاد التي انتشرت فيها الخوارج الكور التي غلب عليها الخارجية، الجزيرة والموصل، وعمان، وحضر موت، ونواحي المغرب، ونواحي خراسان، وقد كان لرجل من الصفرية سلطان في موضع يقال له سلجماسة على طريق غانا[2].

آراء حول أصل نشأة الخوارج:

١/ الخلاف في التحكيم: كان بدء الخلاف في الإسلام الثورة على عثمان من أجل الحق والعدل ضد فساد الحكم وظلمه ولا شك في أنها كلمات تستعمل تبريراً ضد كل حاكم يضل سواء السبيل بالحق والباطل فاستخدمها الخوارج ضد علي نفسه، فانفصلوا بهذا عن شيعته وصاروا خوارج.

٢/ عرب البادية: يذهب بعض المستشرقين إلى أن الخوارج جماعة من عرب البادية الخلص، ويرى برنوف أنهم كانوا على العموم أتقياء عاكفين على دراسة القرآن.

٣/ الخوارج والسبئية: يرى بعض كتاب الفرق أن السبئية تكاد تنهض بالدور الرئيسي في تشعب الفرق الإسلامية والأحزاب الدينية والسياسية فهي التي أثارت الثورة ضد عثمان وهي وراء اشتراكية أبي ذر الغفاري ومبادئ الشيعة والخوارج إلى أن حصروها وراء غلاة الشيعة، والخوارج أنفسهم كانوا ينعتون خصومهم الشيعة في الكوفة بنعت السيئة تحقيراً وذماً لهم[3].

٤/ الخوارج والقراء: قال عبدالرحمن بن أبي ليلى: يا معشر القراء أن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه كلام[4].

---

(١) نفس السابق، ص٩٧.

(٢) تاريخ الدولة العربية، مرجع سابق، ص٩٦؟

(٣) الطبري ١٣٦/٢، ٢٩/٣، الخوارج والمرجئة، للفيومي، ص٩٨-١٠٠.

(٤) الخوارج والمرجئة، ص١٠١.

٥/ الخوارج لعنة الرسول: يرى بعض مؤرخي القرف أن البحث في هذا الحديث أرهص بظهور الخوارج ويجعلون من ذي الخويصرة أصل بذرتها الفاسدة ولكننا نرى أن هذا تأويل يخرج عن حد الاعتدال وتعسف فيه عسر[1].

٦/ أطلق المالطي الشراة وهو لقب يطلق على الخوارج لقباً خاصاً على الفرقة العاشرة من الخوارج[2].

هذه كلها ألقاب الخوارج، وإن اختلفت في أسمائها وهي تعني هذه الفرقة شكلاً ومضموناً في الاعتقادات.

خلاصة مذهب الخوارج:

١/ إن الإمامة قد تكون في قريش ويجب أن لا ينظر في اختيار الإمام إلا لتوافر الكفاية والعدل واجتناب الجور فكل من آنس فيه المسلمون هذه الخلال فيجب أن يولوه الإمامة ومن خرج عليه وجب اعتباره عاصياً ووجب قتاله وإن غير الإمام السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله.

٢/ قد خطأ الخوارج علياً في التحكيم كما رأينا وقالوا: (لا حكم إلا لله) وقالها بن ملجم الذي غدر به (الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك).

٣/ لعنوا علياً لأنه ترك حكم الله وحكم الرجال، ولأنه قاتل الناكثين والفاسقين المارقين، ما اغتنم أموالهم ولا سبئ ذراريهم ونسائهم.

٤/ لعنوا عثمان للأحداث التي أخذوها عليه وأشدها أنه أتلف نسخ القرآن المختلفة.

وهناك قضايا أخرى ظهرت مع انقسامهم فعل البلادة في سائر المسلمين وتكفر من يرتكب الكبيرة وتخليده في النار[3].

تعريف المرجئة :

قضايا المرجئة: اختلافهم في الإيمان:

اختلفت المرجئة في الإيمان:

---

(١) نفس السابق، ص١٠٣.

(٢) نفس السابق، ص١٠٤.

(٣) نفس السابق، ص١٠٦.

يزعمون أن الإيمان بالله هو المعرفة بالله وبرسله وبجمع ما جاء من عندالله فقط إن ما سوى المعرفة من الإقرار باللسان والخضوع بالقلب والمحبة لله ولرسوله والتعظيم لهما والخوف منهما والعمل بالجوارح فليس بإيمان.

إن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل به فقط، فلا إيمان بالله إلا المعرفة به ولا كفر بالله إلا الجهل به فقط، وإن قول القائل: (إن الله ثالث ثلاثة) ليس بكفر ولكنه لا يظهر إلا من كافر، وزعموا أن معرفة الله هي المحبة له وهي الخضوع لله وزعموا أن الصلاة ليست لعبادة الله وأنه لا عبادة إلا الإيمان به وهو معرفته.

إن الإيمان هوا لمعرفة بالله والخضوع له وهو ترك الاستكبار عليه والمحبة له فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن وزعموا أن إبليس كان عارفاً بالله غير أنه كفر باستكباره على الله.

هم أصحاب أبي شمر ويونس ويزعمون أن الإيمام المعرفة بالله والخضوع له والمحبة له بالقلب والإقرار به أنه واحد ليس كمثله شيء ما لم تقم عليه حجة الأنبياء.

الثوبانية أصحاب أبي ثوبان يزعمون أن الإيمان هو الإقرار بالله ورسله وما كان لا يجوز في العقل إلا أن يفعله وما كان جائزاً في العقل إلا بفعله فليس ذلك في الإيمان.

من المرجئة المتحاربة يزعمون أن الإيمان هو المعرفة بالله ورسله وفرائضه المجتمع عليها والخضوع له بجميع ذلك الإقرار باللسان فمن جعل شيئاً من ذلك فقامت به عليه حجم أو عرفه ولم يقر به كفر.

من المرجئة الغيلانية أصحاب غيلان يزعمون أن الإيمان المعرفة بالله الثانية والمحبة والخضوع والإقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وبما جاء من عند الله سبحانه وتعالى.

أصحاب محمد بن شبيب يزعمون أن الإيمان الإقرار بالله والمعرفة بأنه واحد ليس كمثله شيء والإقرار والمعرفة بأنبياء الله ورسله ويجمع ما جاز به من عند الله.

التومنية (المعاذية) أصحاب أبي معاذ التومني يزعمون أن الإيمان ما عصم من الكفر وهو اسم لخصال إذا تركها التارك أو ترك فضله منها كان كافر.

المريسية أصحاب بشر المرسي يقولون: أن الإيمان هو التصديق لأن الإيمان في اللغة هو لا تصديق، ما ليس بتصديق فليس بإيمان، ويزعم أن التصديق يكون بالقلب واللسان جميعاً.

الكرامية أصحاب محمد بن كرام يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والصديق باللسان دون القلب وأنكروا أن تكون معرفة القلب أو شي غير التصديق باللسان إيماناً وزعموا أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين على الحقيقة[1].

الخوارج الثانية (خوارج الخوارج والخروج على دار الإسلام)
ظهور وتصدي أهل السنة لهم:

نشأت حركة الخوارج الثانية عن الخوارج الأولى وامتداد عن الحرب التي دارت بين علي ومعاوية وتولد عن حركة الخوارج الأولى ٦٥هـ-٦٨٤م الأزارقة – الصفرية – النجدات، وكانوا في أصل خروجهم يرغبون بعجرفة عربية في تطبيق حقيقي للمثل الإسلامية من أخوة ومساواة في الحقوق والواجبات على جميع المسلمين[2].

---

(١) الخوارج والمرجئة، الفيومي، ص١٥٢.

(٢) نفس السابق، ص١٦١.

أوطانهم:

انتشرت الفرقة الخارجية المضادة لفرقة الأزارقة من البصرة إلى سائر مواطن الخوارج في دار الإسلام وكانت هناك فرقة من الخوارج غير هذه كلها لا تذكر كثيراً نظراً لقصر عمرها ونعني بها فرقة النجدات التي كانت تقيم في اليمامة من أرض البصرة يسموا بذلك نسبة إلى نجدة بن عامر الحنفي الخارجي لا أحد غيره(١).

كان يعيش في دار بني نصيبين وماردين رجل ناسك مخبت مصفر الوجه صاحب عبادة اسمه صالح بن مسرح، وكان زعيماً للخوارج في تلك النواحي (دار وأرض الموصل والجزيرة) وهؤلاء كانوا على اتصال بالكوفة ومن هنا انتشروا(٢).

---

(١) الطبري ٢/٤٠١-٤٢٥.

(٢) الطبري ٢/٨٨١، ص٧٧.

المطلب الثاني

الإباضية

تعريفهم:

هم أصحاب بن أباض[1] الذي خرج في أيام مروان[2] بن محمد ، وقالوا أن في مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا مسعكر السلطان فإنه دار بغي وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم وقالوا في مرتكبين الكبائر أنهم موحدون وأفعال العباد مخلوقة لله تعالى أحداثاً وإبداعاً مكتسبة للعبد حقيقية وأن مرتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر نعمة [3].

الإباضية من فرق الخوارج . قال ابن حزم: إن فرقة من الإباضية رئيسهم رجل يدعى زيد بن أبي أنيسة وهو غير المحدث المشهور كان يقول: إن في هذه الأمة شاهدين عليها وهو أحداهما والآخر يردي من هو.

وقال شاهدنا: الإباضية عندنا بالأندلس يحرمون طعام أهل الكتاب وأكل قضيب التيس، والثور، والكبش ويوجبون القضاء على من نام نهاراً في رمضان فاحتلم ويتيممون وهم على الآبار التي يشربون منها إلا قليلاً منهم.

وقال أبو إسماعيل البطيحي وأصحابه وهم من الخوارج أن لا صلاة واجبة إلا ركعة واحدة، بالغداة وركعة أخرى بالعشي فقط، ويرون الحج في جميع شهور السنة ويحرمون أكل السمك حتى يذبح ولا يرون أخذ الجزية من المجوس، ويكفرون من خطب في الفطر والأضحى[4].

---

(١) ابن أباض : هو عبدالله بن أباض المقاعسي المري التميمي من بني مرة بن عبيد بن مقاعس رأس الأباضية وإليه نسبتهم اضطراب المؤرخون في سيرته وتاريخ وفاته وكان معاصراً لمعاوية وعاش في آخر أيام عبدالله بن مروان انظر : (الملل والنحل للشهرتاني ص ٣١) .

(٢) مروان : بن محمد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أبو عبدالملك الخليفة الأموي يعرفونه بمروان الحمار وبمروان الجعدي ولد بالجزيرة سنة ٧٢هـ ، عاش ٦٢ سنة انظر : (سير أعلام النبلاء للذهبي ج٦/٧٤) مرجع سابق) .

(٣) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم ١٢٤/٣.

عبدالله بن يحيى والأباضية:

وبذر أباضية البصرة بذورهم في جنوب الجزيرة العربية وكان عبدالله بن يحيى في حضرموت على صلة وثيقة بهم وهو كندي من بني شيطان أراد أن ينتفض على جور الحكام وشجعه المقيمون بالبصرة على الخروج وأقبل إليه من هناك أعضاء بارزون في حزب الأباضية(١).

بدع الأزارقة الثمانية:

١/ كفر ابن الأزرق علياً رضي الله عنه وقال: إن الله أنزل في شأنه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ...﴾(٢)، وصوب عبدالرحمن بن ملجم -لعنه الله- وقال: إن الله أنزل في شأنه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ...﴾(٣)، وزادوا عليه تكفير طلحة، وعثمان، والزبير، وعائشة وابن عباس.

٢/ إنه كفر القعدة وهو أول من أظهر البراءة من القعدة عن القتال وأن كان موافقاً له على دينه وكفر من لم يهاجر إليه.

٣/ إباحة قتل أطفال المخالفين والنسوان منهم.

٤/ إسقاط الرجم عن الزاني، وليس في القرآن ذكره وإسقاطه حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال مع وجوب الحد على قاذفي المحصنات من النساء.

٥/ حكمه بأن أطفال المشركين في النار مع آبائهم.

٦/ إن التقية غير جائزة في قول ولا عمل.

٧/ تجويزه أن يبعث الله نبياً يعلم أنه يكفر بعد نبوته أو كان كافراً وقبل البعثة والكبائر والصغائر كانت بمثابة واحدة عنده وهي كفر.

٨/ اجتمعت الأزارقة على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كُفر ملة، وخرج به عن الإسلام جملة(٤).

---

(١) الخوارج والمرجئة، الفيومي، ص١٧٢.

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٠٣).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٠٧).

(٤) الخوارج والمرجئة، الفيومي، ص١٨٢.

ويتضح من هذه الاعتقادات إنه خالفوا تعاليم السنة النبوية.

النجدات:

أتباع نجدة بن عامر الحنفي وكان السبب في رياسته وزعامته أن نافع ابن الأزرق لما أظهر البراءة من القعدة بعد أن كانوا على رأيه وسماهم مشركين واستحل قتل مخالفيه ونسائهم[1].

من بدعه:

تولى أصحاب الحدود من موافقيه وقال: لعل الله يعذبكم بذنوبهم في غير نار جهنم ثم يدخلهم الجنة وزعم أن النار يدخلها من خالفه في دينه -إسقاط حد الخمر- من نظر نظرة صغيرة أو كذب كذبة صغيرة وأصر عليها فهو مشرك[2].

---

(١) نفس السابق، ص١٨٠.

(٢) نفس السابق، ص١٨٢.

المطلب الثالث

الصفرية

تعريفهم:

يقول الإمام الرازي[١] هم أتباع زياد بن الأصفر وقيل سموا صفرية لصفرة وجوههم وقيل لخلوهم من العربية ومعقتدهم النقية جائزة في القول دون العمل وعدم تكفير القعدة عن اتصال إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد [٢].

الصفرية من فرق الخوارج ، قال الإمام الرازي: هم أتباع زياد بن الأصفر. وقيل: سموا صفرية لصفرة وجوههم. وقيل: لخلوهم من الدين.

معتقدهم: التقية جائزة في القول دون العمل، وعدم تكفير القعدة عن القتال إذ كانوا موافقين في الدين والاعتقاد[٣].

وخلاصة القول أن الإباضية والصفرية من جملة الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه فالإيمان عندهم قول وعمل.

ووجدت منهم مخالفة لأهل السنة مثل معتقد أبو إسماعيل البطيحي.

الصّفرية:

أتباع زياد بن الأصفر وقولهم في الجملة كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم والأزارقة يرون غير ذلك، وقد زعمت فرقة من الصفرية إن ما كان من الأعمال عليه حد واقع لا يسمى صاحبه إلا باسم الموضوع له كزان، وسارق، وقاذف.

---

(١) الرازي هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام العلامة سلطان المتكلمين في زمانه فخر الدين أبوعبدالله القرشي البكري التيمي من ذرية أبي بكر الصديق الطبرستاني الأصل ثم الرازي ابن خطيبها المفسر المتكلم ولد ٥٤٤هـ وتوفي ٦٠٦هـ من تصانيفه مفاتيح الغيب انظر (طبقات المفسرين أحمد محمد علي شاكر الداودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة ، ط ١، ١٩٧٢م، ج ٢/ ٢١٥-٢١٦).

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ومعه كتاب المرشد الأمين في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، تأليف طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص ٦٥.

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي، القاهرة ١٩٧٨م، ص٩٥.

وفرقة ثالثة من الصفرية قالت بقول من قال من البيهسية أن صاحب الذنب لا يحكم عليه بالكفر حتى رفع إلى الوالي فيحده فصارت الصفرية على هذا التقدير ثلاث فرق:

١/ تزعم أن صاحب كل ذنب مشرك كما قالت الأزارقة.

٢/ إن اسم الكفر واقع على صاحب ذنب ليس فيه حد والمحدود في ذنبه خارج عن الإيمان وغير داخل في الكفر.

٣/ تزعم أن اسم الكفر يقع على صاحب الذنب.

وهذه الفرق الثلاثة من الصفرية يخالفون الأزارقه في الأطفال والنساء(١).

الوعيد:

فقول المعتزلة فيه والخوارج واحد، وأما السيف فإن الخوارج جميعاً تقول به إلا أن الأباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف لكنهم يرون إزالة أئمة الجور بغير السيف، والخوارج بأسرها يثبتون إمام أبي بكر وعمر وينكرون إمامة عثمان(٢).

---

(١) الخوارج والمرجئة، الفيومي، ص١٨٣.

(٢) نفس السابق، ص٢٠٢.

المبحث الثاني
الشيعة الإمامية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإثنا عشرية.

المطلب الثاني الزيدية

المطلب الأول

الإثنا عشرية

تعريف التشيع ونشأته والآراء حوله :

رأي يجعل ظهور التشيع يوم الثقيفة ويستند أصحاب هذا الرأي إلى تصريح جماعة من الصحابة يوم السقيفة بوجوب تقديم علي ﷺ وروى الطبري أن الزبير اخترط سيفه وقال : لا أغمده حتى يبايع علي[١].

ورأي آخر يجعل ظهور الشيعة يوم الجمل ، وقال ابن النديم : إن علياً قصد طلحة والزبير ليقاتلهم حتى يفيا إلى أمر الله وتسمى من اتبعه في ذلك بالشيعة فكانوا يقول شيعتي وسماهم الأصفياء وشرطة الخميس[٢].

ورأي آخر يجعل ظهور الشيعة بعد رجوع علي من صفين ومن أشهر القائلين بالرأي المذكور الأستاذ فؤاد مونتجري يقول : إن بداية حركة الشيعة هو أحد أيام سنة ٣٧هـ حين قال جماعة من أتباع علي توالي من والاه ونعادي من عاداه[٣].

أما الشيعة أسلاف الإمامية فإنهم انتهو إلى القول بإمامة علي بن الحسين وعلى هذا هو الوحيد الأحق في نظر الشيخ المفيد الإمامي الذي ساغ الأئمة على بطلان أئمة الشيعة الآخرين المعاصرين وأما الشيعة العلوية فإنهم ثبتوا على إمامتهم ثم إمامة الحسن من بعدهم ثم إمامة الحسين بعد الحسن ثم افترقوا على إمامتهم حتى توفي بالمدينة في أول سنة ٩٤هـ[٤].

الإثنا عشرية هم الشيعة الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، أما جلياً وأما خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو تقية من غيره، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية

---

(١) تاريخ الرسل والملوك الطبري ، القاهرة ١٩٣٨م ، ج ٢/ ٤٤٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي ، النجف ١٣٥٨هـ ، ج ٢/ ١٠٣.

(٣) الفهرست ، ابن النديم ، القاهرة لات ، ص ٢٦٣.

(٤) فرق الشيعة للنوبختي ، ص ٤٧.

وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.

يجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت لمصلحة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً، إلا في حال التقية، وهم خمس فرق: كيسانية –زيدية– إمامية – غلاة – إسماعيلية ويميل بعضهم في الأصول إلى الاعتزال وبعضهم إلى السنة وبعضهم إلى التشبي"(1).

عقائدهم:

وقعت الإمامية في كبار الصحابة طعناً وتكفيراً وأقله: ظلماً وعدواناً وقد شهدت نصوص القرآن على عدالتهم والرضى عن جملتهم قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾(2)(3)، إنه صلى الله عليه وسلم نص على علي وذريته وعينهم وأنهم معصومون من الصغائر والكبائر ومن قولهم أن علياً أول الناس إسلاماً وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر إليه أشياء من أمر الدين والوحي دون الناس(4).

وخلاصة القول في ذلك أن هذه أشياء مفتراة لا أساس لها من الصحة فالنبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ من ربه كل ما أوحي الله ويكتم شيئاً ولم يخص أحداً دون أحد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾(5).

---

(1) الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق محمد عبدالقادر القاضي، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 2001م، 117/1.

(2) سورة الفتح، الآية (18).

(3) الملل والنحل، الشهرستاني، 132/1.

(4) الفرق الإسلامية من خلال الكشف والبيان، القلهاني، ص252.

(5) سورة المائدة، الآية (67).

ولا يجوز الطعن في صحابة النبي صلى الله عليه وسلم بحال من الأحوال وقد وردت كثير من الأحاديث في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لوا أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)[1].

أما قولهم الإمامة ركن من أركان الدين لو كان كذلك لبينه النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث وقد ذكرت أركان الإيمان في حديث جبريل عليه السلام ولم تذكر فيه الإمامة.

أهم فرق الشيعة:

أهم هذه الفرق فرقة الأمامية ويسمونه أيضاً الاثنتا عشرية لأن آخر أئمتهم المهدي وهو الثاني عشر في سلسلة الأئمة وابن الحادي عشر فيهم وخليفته هو محمد أبو القاسم الذي ولد في بغداد (٨٧٢هـ) وقد تغيب عن الأرض في سن الثامنة لا يزال يعيش منذ ذلك الحين مستوراً عن الناس في مكان خفي إلى أن يظهر في نهاية الزمان هذا الإمام الثاني عشر يختم سلسلة الأئمة.

الإمامة في عرف الشيعة استمرار للنبوة والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء وهو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسل[2].

الأصول العقائدية للشيعة الاثني عشرية:-

عقيدة الشيعة في الإمامة يقوم علي مسلك تأويلي والقول بنظرية الصلاح والأصلح. وهذا المسلك علي خلاف ظواهر الشرع وهذا لديهم مقبول فهم لا يقولون بالظاهر وإنما يذهبون إلي القول بالتأويل ولهم مناهج في تأويل القرآن ويذهبون مذهب المعتزلة في نظرية الصلاح والأصلح والقول على الله بالوجوب.

---

(١) سنن أبي داود، للحافظ أبي داود، ١٠، و١٠ باب النهي عن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٥/٥، حديث رقم ٤٦٥٨.

(٢) نفس السابقة، ص ٣٢١.

وفرق الشيعة أوغلت في التأويل الرمزي للقرآن إيغالاً شديداً والشيعة ترى أن باب الاجتهاد في الفقه مفتوح باستمرار في كل زمان ومكان مما يجعل منهم عقائدهم أكثر مرونة وحيوية (١).

أ/ العصمة: يعتقد الشيعة الإمامية بعصمة الأئمة من الخطأ والخطيئة والنسيان ويرون أن الإمام بمثابة النبي معصوم من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمداً أو سهواً(٢).

ب/ الإمامة: يقول الشيخ رضا المظفر: نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين مهما عظموا وكبروا بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة(٣).

ج/ عقيدتنا في صفات الإمام وعلمه: نعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال من شجاعة وكرم وعفة وصدق وعدل ومن تدبير وعقل وحكمة وخلق والدليل في النبي هو نفسه دليل في الإمام(٤).

عقيدتنا في حب أهل البيت: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(٥)، نعتقد أنه زيادة على وجوب التمسك بآل البيت يجب علي كل مسلم أن يدين بحبهم ومودتهم لأنه تعالي في هذه الآية المذكور حصدا المسئولية علي الناس في المودة في القربى. وقد تواتر عن النبي ﷺ أن حبهم علامة الإيمان وأن بغضهم علامة النفاق وأن من أحبهم أحب الله ورسوله ومن أبغضهم أبغض الله ورسوله(٦).

---

(١) نفس السابقة، ص ٤٠٠.

(٢) نفس السابقة، ص ٤٠٢-٤٠٣.

(٣) نفس السابقة، ص٤٠٥ .

(٤) نفس السابقة، ص ٤٠٦.

(٥) سورة الشوري الآية (٢٣).

(٦) الفيومي، ص ٤٠٧.

عقيدة الرجعة: يري الإمامية أن الرجوع بعد الموت بعد ظهور المهدي علي السلام ضرورة من ضروريات مذهبهم وأستند الإمامية بقولهم في الرجعة علي الكتاب والسنة ففي القرآن وردت الآية (قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ)[1].

الشيعة الإمامية من أولاد فاطمة:-

أما الشيعة أسلاف الأمامية فأنهم انتهوا إلى القول بإمامة عليّ بن الحسين وعلى هذا هو الوحيد الأحق في نظر الشيخ المفيد الإمامي الذي ساق الأدلة علي بطلان أئمة الشيعة الآخرين المعاصرين لذلك الإمام وقال النوبختي[2]: (وأما الشيعة العلوية الذين قالوا بفرض الأمامية لعليّ بن أبي طالب من الله ومن رسول الله ﷺ فإنهم ثبتوا على إمامته ثم إمامة الحسن من بعده ثم إمامة الحسين بعد الحسن ثم افترقوا بعد قتل الحسين فرقاً فنزلت فرقة إلى القول بإمامة علي بن الحسين فلم تزل مقيمة علي إمامته حتى توفي بالمدينة في أول سنة(٩٤)[3].

أدلة الشيعة علي أن الخلافة تكون بالنص لا بالانتخاب منها:-

أولاً: أن الخليفة يحكم باسم الله لا باسم الشعب فيجب والحال كذلك أن يُختار من الله بسبب نبيه ﷺ لا من الشعب بطريق الانتخاب منها قوله تعالى: (وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ)[4].

ثانياً: إن الله سبحانه وتعالي حصر الاختيار به ونفاه عن جميع الناس[5].

---

(١) سورة غافر الآية (١١).

(٢) النوبختي : هو الحسن بن موسى النوبختي الشيعي المتكلم أبومحمد ، فيسلوف ، كان يجتمع إليه جماعة من النقلة توفي بعد ٣٠٠هـ . (أنظر: معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ج ١/٥٩٥)

(٣) فرق الشيعة، للنوبختي ص ٤٧.

(٤) سورة القصص، الآية (٦٨).

(٥) دلائل الصدق، ج٣، ص٢١، الطبعة ١٩٥٣.

ثالثاً: إن الأكثرية غير معصومة من الخطأ فمن الجائز أن تختار رجلاً لا تتوفر فيه صفات الإمام من العلم والخلق فتعم الفوضى والفساد وقد نص القرآن علي سقوط رأي الأكثرية (وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ)(١)(٢).

تأثير حادثة كربلاء في تكتل الشيعة:

كان فاجعة كربلاء التي قتل فيها الحسين وأصحابه سنة(٦١هـ) أثر عميق في تطور التشيع ونماؤه بعامة في تكتل الشيعة بخاصة التي قال الطبري: (لما قتل الحسين بن علي ورجع بن زياد من معسكره بالنخيلة ودخل الكوفة وتلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم ورأت إنها قد أخطأت خطأً كبيراً بدعائهم الحسين إلي النصرة وتركهم إجابته ومقتله إلي جانبهم ولم ينصروه)(٣).

ويقول الطبري في حوادث سنة (٦٥هـ) (وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة وتواعدوا علي الاجتماع بالنخيلة للمسير إلي أهل الشام للطلب بدم الحسين بن علي وتكاتبوا في ذلك)(٤).

إن بذور الفرق الشيعية أخذت تنمو بإطراد بعد مقتل الحسين وإمعان الأمويين والزبيريين في التنكر للشيعة وفشل الأمويين في كسب الفقهاء والقراء إلي جانبهم وإجحافهم بحقوق قطاعات كبيرة من سكان الإمبراطورية الإسلامية بعامة والموالي بخاصة فظهرت الكيسانية التي ساقت الإمامة إلى محمد بن الحنفية وهو أبن لعلي من غير فاطمة ثم تفرقت الكيسانية إلي جماعات ساقت إحداها الإمامة من بعد محمد إلى أبنه هاشم(٥). سليمان بن صرد (واضع الميثاق الحركة الشيعية والمعتزلة هو سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون بن عنقذ بن ربيعة بن اصرم بن

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١١٦).
(٢) الشيعة الذيدية، للفيومي، ص١٣٩.
(٣) تاريخ الطبري، ج٤/٤٢٦.
(٤) نفس السابق، ج٤/٤٢٧.
(٥) نفس السابق، ج٤/٤٢٧.

حبيش بن حرام بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة وهو لُحي الخزاعي. وكان اسمه في الجاهلية سارا فسماه الرسول ﷺ سليمان يكني أبي المطرف)[1].

ويتضح أن هذه الحادثة قد أبرزت دور الشيعة كحركة دينية منظمة، مدافعة لأهل البيت النبوي، ومطالبة بحقوقهم، فهي من أشد الحوادث على تكوين الشيعة.

---

(١) الشيعة والزيدية، للفيومي، ص٢١٣.

المطلب الثاني

الزيدية

الزيدية إحدى فرق الشيعة ، وينسبون إلى الإمام زيد و هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولد بالمدينة سنة (٨٠هـ -٦٩٩م) وقتل سنة (١٢٢هـ) وكان يكني أبي الحسين وهو ينسب من قبل أبيه إلى علي بن أبي طالب ابن عم الرسول (ص) وإلي فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهو بهذا صاحب نسب رفيع لا يدانيه نسب وهو من رجال الطبقة الثالثة من رجال الطبقة الثالثة من أهل المدينة من التابعين[١]. ثم أخذ علوم الدين عن أبيه ثم أخيه محمد الباقر ثم سافر إلي البصرة حيث التقي بواصل بن عطاء وأخذ عنه أصول الدين وعلم الكلام فكان لقاء مؤسسي الفرقتين مظهراً لالتقاء الزيدية بالمعتزلة منذ البدء[٢].

الزيدية فرقة إسلامية ظهرت ظهوراً واضحاً في بداية القرن الثاني الهجري وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن طالب رضي الله عنهم وهي أهم فرق الشيعة. إذ تضم الشيعة فرقتين رئيسيتين هما: الأمامية والزيدية وتدعي الأمامية بالرافضة[٣].

ويقول ابن تيمية: (ومن زمن خروج زيد بن علي افترقت الشيعة إلي رافضة وزيدية)[٤]. ويضيف المقدسي (أن الشيعة يجمعهم كلهم الزيدية والأمامية ولقبهم المذموم الرافضة)[٥]. وقد تبرأ زيد بن عليّ من هؤلاء الرافضة[٦]. وسواء أطلق عليهم هذا اللقب زيد بن علي أو المغيرة بن سعيد فإنه يشير إلى أتباع جعفر الصادق وهم الشيعة الأمامية[٧].

---

(١) الطبقات الكبري لابن سعد ج٥ ص٢١١ ثم تاريخ دمشق لابن عساكر ج٦ ص٢٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١ ص٣١٥ ثم الكامل لابن الأثير ج٢ ص٩٠.

(٣) البدء والتاريخ للمقدسي ج٥/١٢٤ ط١٨٩٩ مطبعة المثني بغداد.

(٤) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ج١ص٨.

(٥) البدء والتاريخ ج٥ ص١٢٤.

(٦) رسائل العدل والتوحيد ليحي بن الحسين ج٢ ص١٨١.

(٧) الشيعة الذيدية للفيومي ص٢٨٠.

وكانت الأمامية والزيدية في بدء أمرهما حزباً واحداً ثم اختلفا والسبب في اختلافهما لم يكن أصلاً من أصول الدين وإن كان حول الإمامة .

صفات الإمام زيد:

لقد كان محباً للمعروف صبوراً والصبر يتضمن تحمل الشدائد ويقتضي ضبط النفس وعدم الاندفاع وكانت هذه الخصال من أخص ما يتحلي به زيد فهو يضبط نفسه عندما يسمع كلام السفهاء فلا يجادلهم(١).ولقد دفعته شجاعته الأدبية لرفض مبدأ التقية الذي أشتهر أهل البيت بالأخذ به(٢).

شيوخه:

تلقى العلم عن عروة بن الزبير بن العوام ومن شيوخه أيضاً عبد الله بن أبي رافع مولي رسول الله(ص) وروي عن أبيه وأم سلمه وعن علي بن أبي طالب (٣).

نهاية زيد واستشهاده:-

استطاع زيد بن علي مقاومة جند الشام رغم عدد قلة جنده حتى جاءت نجدة من الشام مكونة من القيفانية والنجارية فأوقعت بجنده خسائر فادحة ولما كان الليل انسحب إلي الكوفة وتفرقوا فثبت زيد بن علي ومن معه وقد رمي بسهم أصاب جبهته اليسري فرجع معه أصحابه فدخلوا به الكوفة ثم نزعوا منه السهم ففارق الحياة(٤).

وكانت نهايته على اتصف به من أحسن الصفات، فقد كان عالماً وشجاعاً مقداماً، يسعى لنشر مذهبه، والرجوع بالناس للعهد الأول.

---

(١) تاريخ الطبري ج٧ ص١٦٣-١٦٤.

(٢) منهاج السنة لابن تيمية ج٣ ص٢٥٩ ثم شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج١ ص١٥٨ ثم الوافي بالوفيات ج١٥ ص٣٤.

(٣) العسقلاني ج٧ ص١٠ ثم اعلام النبلاء للذهبي ج٥ ص١١٠.

(٤) مروج الذهب للمسعودي ج٣ ص٢١٩ ثم فضائل الطالبين ص١٤١.

الدولة الزيدية:-

كان الحسن بن زيد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن علي بن طالب مع يحي بن عمر حين خرج في أيام المتوكل والمستعين ولما قتل يحي بن عمر فر الحسن بن زيد مع أصحابه إلي طبرستان ومنها إلي الري وكان ملقب بالداعي الكبير [1].

استطاع الحسن بن زيد إقامة دولة للزيدية في طبرستان استمرت نحو قرن من الزمان[2].

وأرسل محمد بن عبد الله بن طاهر رجلاً نصرانياً يدعي جابر بن هارون لحيازة ما أعطاه الخليفة من أرض وكان في تلك الناحية رجلان معروفان رجلان معروفان بألباس والشجاعة هما محمد وجعفر أبناء رستم، فاستنهضا الناس لمنع جابر من حيازة الأرض.

وقد أرسل أبناء رستم إلي رجل من الطالبين المقيمين بطبرستان يقال له محمد بن إبراهيم يدعونه إلي البيعة فأبي وامتنع عليهم وقال لهم لكني أدلكم علي رجل منا أقوم بما دعوتموه إليه حتى قالوا من هو؟ فأخبرهم أنه الحسن بن زيد ودلهم علي منزله بالري فأرسلوا إليه فلما وافاهم بايع له أبناء رستم وجماعة من أهل الثغور ورؤساء الديلم فركب فيهم ودخل آمل وأخذها قهراً وجبي خراجها واستفحل أمره[3].

وحدث صدام بين الحسن بن زيد والدولة الصفارية في هذه البلاد فدخل يعقوب بن الليث طبرستان واستولي علي سارية ثم تقدم إلي آمل وجبي من أهلها خراج سنة ثم اتجه إلي الشرذ في طلب الحسن[4].

فرق الزيدية:

أما الرازي فيذكر الزيدية ثلاثة فرق:

---

(١) تاريخ الطبري ج٩ ص٢٦٦-٢٧١.

(٢) مقالات الإسلاميين للاشعري ج١ ص١٦٠-١٦١ ثم البدء والتاريخ للمقدسي ج٦ ص٢٣.

(٣) تاريخ الطبري ج٩ ص٢٧٣-٢٧٤.

(٤) تاريخ الطبري ج٩ ص٥٠٩-٥١٠.

الجارودية والسليمانية والصالحية: بينما يعد الأشعري لهم ست فرق هي الجارودية، والبترية، والعقبية، والنعيمية، ولا يذكر اسم الفرقة الخامسة والفرقة الخامسة من الزيدية يتبرءون من أبي بكر وعمر ولا ينكرون رجعة الأموات يوم القيامة(١).

١/ **الجارودية:** أصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد زعموا أن النبي صلة نص على علي بالوصف دون التسمية وهو الإمام بعده والناس قصروا حيث لم يعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف وإنهم نصبوا أبو بكر باختيارهم فكفروا بذلك فساق بعضهم الإمامة من علي إلي الحسن ثم إلي الحسين ثم علي بن الحسين زين العابدين ثم إلي ابنه زيد بن علي ثم منه إلي الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقالوا بإمامته(٢).

٢/ **السليمانية والرافضة:** أصحاب سليمان بن جرير وكان يقول إن الإمامة شوري فيما بين الخلق ويصح أن تنعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين وأنها تصح في المفضول مع وجود الأفضل وأثبت إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حقاً باختيار الأمة حقاً اجتهادياً. كان يقول إن الأمة أخطأت في البيعة لهما مع وجود علي خطأ لا يبلغ درجة الفسق غير أنه طعن في عثمان بالأحداث التي أحدثها وأكفره بذلك وأكفر عائشة والزبير وطلحه بإقدامهم علي قتال علي ثم أنه طعن في الرافضة.

ثانياً: التقية فكلما أرادوه تكلموا به فإذا قيل لهم في ذلك أنه ليس بحق وأظهر لهم البطلان قالوا إنما قلناه تقية وفعلناه تقية(٣).

٣/ رجال الزيدية:أبو الجارود زياد بن المنذر العبدي، لعنه جعفر بن محمد الصادق والحسن بن صالح بن حيٍّ ومقاتل بن سليمان والداعي ناصر الحق الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن الحسين بن علي والداعي الآخر صاحب

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري ج١ ص١٤٠-١٤٥.

(٢) الشيعة الذيدية للفيومي ص٣١١.

(٣) نفس السابق ص٣١٣.

طبرستان الحسن بن زيد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي ومحمد بن نصر .

يذكر الشهرستاني: إنه لم ينتظم أمر الزيدية حتى ظهر ناصر الأطروش فطلب مكانه ليقتل فاختفي وأعتزل إلي بلاد الديلم والجبل لم ينتحلوا بدين الإسلام قدما الناس إلي الإسلام بمذهب زيد بن علي فدانوا بذلك ونشئوا عليه وبقيت الذيدية في تلك البلاد ظاهرة وكان يخرج واحد بعد واحد[١].

اليمن تحتضن الذيدية:-

إن معظم القبائل العربية التي سكنت الكوفة أيام الفتوحات كانت من اليمن ومن الجدير بالذكر أن معظم القبائل السليمانية وبخاصة همدان مالت إلي التشيع لآل علي يقول ماسنيون إن همدان القبيلة العظيمة الخطيرة ذات الشوكة كانت شديدة التشيع[٢].

أصل الإمامة عند الذيدية:

١/ إمامة المفضول مع وجود الأفضل، يوضح لنا الجاحظ مقياس الأفضل عند الذيدية بقوله: (أما مقياس الفضل عندهم هو العقل دون غيره والفضل عندهم أربعة أوجه:-

أ/القدم في الإسلام حيث لا رغبة ولا رهبة إلا من الله وإليه.

ب/ الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

ج/ الفقه الذي به يعرف الناس مصالح دنياهم.

د/ المشي بالسيف. فمن وجدت فيه هذه الصفات وجب تقديمه وتفضيله[٣].

٢/ أن يكون ولد الإمام من فاطمة: يري زيد بن علي حصر الإمامة في أولاد فاطمة ولا تجوز إمامة غيرهم[٤].

---

(١) الملل و النحل للشهرستاني ج١/١٦٢

(٢) خطط الكوفة ترجمة تقي الدين المصعبي صيدا ١٢٩٣٩

(٣) رسائل الجاحظ ج٤/ (٢٠٧-٢١٢). الأشعري مقالات ج٢/١٥١

(٤) يحي ابن الحسين رسائل العدل والتوحيدج٢/ ٧٦ ثم الفهرست لابن النديم ثم ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ج٩/٨٧.

وجوزوا أن يكون كل فاطمي عدلاً زاهداً شجاعاً سخياً خرج بالإمامة أن يكون إماماً واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو الحسين . وسار أكثر علماء الحديث والفقهاء علي هذا المذهب منهم سفيان والثوري(١).

٣/ القول بعدم عصمة الأئمة: أدي عدم فرض الإمام زيد للخلافة بالوراثة وبالإيصاء من النبي ﷺ إلى القول بعدم عصمة الأئمة(٢). وخالف بذلك قول الإمامية بصحة الأئمة الذين يسمونهم الأوصياء(٣).

ولم ينادي الأئمة أبداً بعصمتهم ولكن أتباعهم في المدينة والكوفة فعلوا ذلك رغم استنكار الأئمة لهم وقد كان علي بن الحسين والد الإمام زيد يقول: يا أيها الناس أحبونا حب الإسلام فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً وحتى بغضمونا إلي الناس(٤).

الغرض الأول من الإشارة إلي هذه الفرق أن نبين خطأ الذين نسبوا إلي الغلو وغيرهم كالزيدية إلي الشيعة هناك شروط:-

أ/ الإمام من آل البيت: أولها عند السنة أن يكون من بيوت قريش حديث (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان) إن النبي ﷺ قال: (إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنتا عشر خليفة كلهم من قريش)(٥).

ب/ جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، كان علي أفضل الصحابة إلا أن الخلافة أفضت إلي أبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها في تسكين الفتنة وتطيب قلوب العامة.

ج/ جواز خروج إمامين من قطرين متباعدين يستجمعان شروط الإمامة.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١/١٦٠ثم الزيدية للفيومي ص ٣٥٩.

(٢) الصاحب بن عباد –الزيدية –(١٩٥-١٨٥) نصرة المذاهب الزيدية ١٢٩

(٣) الأشعري مقالات ج٢/١٢١

(٤) الشيعة الزيدية للفيومي ص(٣٥٩).

(٥) البخاري ج٩ كتاب الأحكام.

أجاز زيد خروج إمامين يتعذر وصول دعوة الإمام الأول إلي القطر الثاني علي أن يستجمع كل منهما شروط الإمامة حتى انتصرت هذه الدعوة واتسعت الرقعة[1].

آراء متعارضة مع الإمامية:ـ

١/ إنكار القول بالبداء : يقصد بالبلاء الظهور بعد الخفاء وهو عند الشيعة الأثني عشرية منزلة في التكوين كمنزلة الشيخ في التشريع. وقد نسب الشيعة الإثني عشرية معرفة الغيب إلي أئمتهم وكذلك الكيسانية قبلهم.

٢/إنكار التقية: كذلك قالت الإمامية بالتقية إذ بايع علي زين العابدين الخليفة يزيد تقيةً وخطورة التقية أن لا يعرف للإمام رأي.

٣/ إنكار العصمة والعلم اللدني: خلع الشيعة الأمامية علي أئمتهم العصمة الصغائر فضلاً عن الكبائر منذ ولادتهم بموجب نور إلهي يسري من الأصلاب إلي الأصلاب ومن الآباء إلي الأبناء بحفظهم عن ارتكاب المعاصي .

٤/ إنكار المهدية والرجعة: كل فاطمي عدل عالم سخي شجاع خرج داعياً إلي نفسه فهو إمام مهدي ومن ثم لا تقتصر المهدية علي شخص معين كما هو الحال[2].

وهذه آراء متعارضة مع الإمامية، إلا إنها أكثر اعتدالاً من باقي الشيعة.

آراؤه الكلامية:ـ

١/ المنزلة بين المنزلتين فاعل الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر يسمي مؤمناً لان المؤمن قد وصف في كتاب الله تعالي بأنه ولي الله ولا يمكن أن يكون مرتكب الكبيرة ولياً لله ولا يسمي كافراً لان الكافرون هم المشركون ولما كان فاعل

---

(١) الشيعة الزيدية، الفيومي٣٧٣.

(٢) إلي الإثنا عشرية الشيعة الذيدية، الفيومي ص ٣٧٤-٣٧٥، د.علي سامي النشار نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج١٥٦/٢.

الكبيرة يدفن في مقابر المسلمين ويصلي عليه ويرث قرابته المسلمون ذلك غير جائز بالنسبة للكافرين فلا يسمي كافراً وأجمعت الأمة علي تسميته فاسقاً(١).

٢/ حرية إرادة الإنسان: يذكر أحمد بن يحي بن المرتضي أن مذهب الجبر قد حدث في دولة معاوية وملوك بني مروان وابن عباس قد كتب إلي المجبرة من قراء الشام بمظاهرتهم العاصين ولكونهم أعوان الظالمين الذين يحملون إجرامهم علي الله وينسبون شر فعالهم إليه(٢).

الأصول العقدية عند الزيدية:-

١/ الوحي: أما كان كيف كان يتلقي الرسول ﷺ الوحي بالقرآن فقد بينه الله تعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ)(٣). ويدخل في الوحي الرؤيا الصادقة وهي أول ما بدأ به الوحي والنفث في الروع أي النفث وهو أشبه ما يسمي بالإلهام غير أن صاحب النفث في الروع يتعين أن مصدره من عند الله وليس كذلك الملهم.

٢/ كتاب الله: هذا هو الكتاب المنزل على رسول الله ﷺ المعروف المشهور في العالم وهو أصل الأدلة السمعية ومرجعها في نظر الزيدية لحديث العرض وهو قوله ﷺ (سيكذب علي من بعدي كما كذب علي الأنبياء من قبلي فما آتاكم مني فاعرضوه علي كتاب الله فإن وافق كتاب الله فهو مني وأنا قلته وإن خالف كتاب الله فليس مني ولا قلته(٤).

---

(١) المرجع السابق، ص٣٧٦.

(٢) ابن مرتضي، المنية والأمل ص٨.

(٣) الشورى الآية ٥١

(٤)الشيعة الذيدية الفيومي ص/٣٩٣

المبحث الثالث

القدرية

وفيه مطالبان:

المطلب الأول: المعتزلة

المطلب الثاني: المرجئة

المطلب الأول

المعتزلة

أصل نشأة الاعتزال:

يحكي المؤرخون سبب ظهور المعتزلة أن أحدهم دخل على الحسن البصري وهو يدرس في مسجد البصرة فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به من الملة وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تعتد مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان ولا يعقد مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة كيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟ فتفكر الحسن وقبل أن يجيب واصل(١). أن لا أقول صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلق بل في منزلة بين المنزلتين(٢).

أسمائهم:

١/ خاصمنا واصلاً برأيه في الكبيرة وقوله المنزلة بين المنزلتين.

٢/ آل العدل والتوحيد: روى المقبلي أن المعتزلة كانوا يطلقون على أنفسهم اسم آل العدل والتوحيد(٣). وذكر الإمام ابن المرتضى أنهم يسمون أنفسهم العدلية والموحدة(٤).

وجاء في صبح الأعشى أن المعتزلة يسمون أنفسهم آل العدل والتوحيد ويعنون بالعدل نفي القدر والقول بأن الإنسان هو موجد أفعاله تنزيهاً لله تعالى أن يضاف إليه اشر ويعنون بالتوحيد نفي الصفات القديمة والدفاع عن وحدانية الله عز وجل(٥).

---

(١) هو أبوحذيفة واصل بن عطاء الغزالي ويقال أبوالجعد كان مولى صفية ويقال مولى بني مخزوم ويقال مولى بني هاشم وكان يجلس في شرف الغزالين عند صديقاً له انظر (لسان الميزان – ابن حجر ٢١٤/٦ مرجع سابق) .

(٢) نفس السابق، ص ١٢١.

(٣) العلم الشامخ، ص ٣٠٠، ٤١٥، ٤١٦.

(٤) المنية والأمل، ابن المرتضى، ص ٢.

(٥) صبح الأعشى، القلقشندي، ٢٥١/١٣.

٣/ أهل الحق: يعتبرون أنفسهم آل الحق والفرقة الناجية ويدعون خصومهم بأسماء مختلفة كالمجبرة، والقدرية، والمجوزة، والمشبهة، والحشونة، العلم الشامخ...الخ.

٤/ القدرية: فعند ابن قتيبة هم الذين أضافوا القدرة إلى أنفسهم على معنى أنهم أصحاب الاختيار وهم الذين يخالفون الجبرية تأويل مختلف الحديث(١).

٥/ الثنوية والمجوسية: يقول المقريزي: إن المعتزلة يدعون الثنوية لقولهم: الخير من الله والشر من العبد. وكان المعتزلة الأقدمون يقولون: أن الله تعالى يخلق الخير وأن الشيطان يخلق الشر(٢).

٦/ الجهمية: كان يلقب المعتزلة بالجهمية، والجهمية فرقة ظهرت قبل المعتزلة وقالت: بالجبر وخلق القرآن ونفت الصفات وأنكرت الرؤية(٣).

٧/ الخوارج: ينسب بعضهم المقوله إلى الخوارج ويدعونهم مخانيث الخوارج بأن المعتزلة ولاسيما شيخاهم الأولان واصل وعروه كانوا يوافقون الخوارج في تخليد مرتكب الكبيرة في النار مع قولهم أنه ليس بكافر.

٨/ المعطلة: كان آل السنة يطلقون على الجهمية الأولى نفاة الصفات اسم المعطلة لتعطيلها الله تعالى عن صفاته(٤).

٩/ شيعة المعتزلة: الفرقة الرابعة من الزيدية: هم معتزلة بغداد يقولون: يقول الجعفرين جعفر بن مبشر الثقفي، وجعفر بن حرب الهمداني وهؤلاء أئمة معتزلة بغداد، وهم زيدية يقولون: ما حاجة المفضول على الفاضل(٥).

واصل بن عطاء:

نشأته: هو واصل بن عطاء، أما عن لقبه فقد لقب واصل بالغزال ولقد كشف لنا المبرد عن السبب في تلقيبه بالغزال فذكر أنه لم يكن غزالاً ولكنه كان لقب بذلك

---

(١) المقدمة، الفيومي، ص ١٣٠.

(٢) الخطط ١٦٩/٤.

(٣) المعتزلة، الفيومي، ص١٣٣.

(٤) الصواعق المرسلة ١٩٢/١.

(٥) نفس المرجع السابق، ١٣٥.

لأنه كان يكثر الجلوس في الغزالين ليعرف المتعففات من النساء، فيجعل صدقته لهن[1].

مذهب واصل الكلامي:

١/ القول بنفي صفات الباري تعالى الزائدة على الذات من العلم والقدرة الإرادة والحياة.

٢/ القول بالقدرة الإنسانية إلى الاقتداء الإنسان إنما سلك في ذلك مسلك معبد الجهني وغيلان الدمشقي.

٣/ القول بالمنزلة بين المنزلتين.

٤/ قوله في أصحاب الجمل وأصحاب صفين أن أحدهما مخطئ ولا يعنيه كذلك قوله في عثمان وقاتليه وخاذليه أحد الفريقين فاسق[2].

هي صفات عامة المعتزلة، أو السواد الأعظم منهم.

أبوهذيل العلاف:

هو أبو الهذيل بن الهذيل العبدي، نسبه إلى عبدالقيس وقد كان مولاهم وقد جرى على منهاج أبناء السبايا لظهور أكثر البدع منهم[3].

مذهبه:

١/ الباري عالم يعلم وعلمه ذاته قادر بقدره وقدرته ذاته حي بحياة وحياته ذاته إنما اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة الذين اعتقدوا أنه ذاته واحدة.

٢/ أثبت إرادات لا محل لها يكون الباري تعالى مريداً بها.

٣/ قال في كلام الباري: أن بعضه لا في محل وهو قوله كن.

٤/ إن حركات آل الخلدين تنقطع، وأنهم يصيرون إلى سكون دائم خلود.

---

(١) الاعتزال، عبدالجبار، ص ٢٣٩، تحقيق فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر ١٩٧٤م.

(٢) المعتزلة، الفيومي، ص ١٦١، ١٦٤.

(٣) الفرق بين الفرق، ص ١٣٤.

٥/ قوله في الاستطاعة: أنها عرض حي الإعرا غير السلامة والصيحة، وفرق بين أفعال القلوب وأفعال الجوارح وحتى لا يصبح وجود أفعال القلوب منه مع عدم القدرة والاستطاعة معها في حال الفعل.

٦/ قوله في الفكر قبل ورود السمع: أنه يجب عليه أن يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر وأن تصير في المعرفة استحق العقوبة أبداً.

٧/ حكى الكعبي عنه: أنه قال: إرادة الله غير المراد فإرادته لما خلق هي خلقه للشيء.

٨/ حكى عنه جماعة: أنه قال: الحجة لا تقوم فيما غاب، إلا بخبر عشرين بينهم واحد من أهل الجنة أو أكثر.

٩/ قوله في الآجال والأرزاق: أن الرجل إن لم يقتل مات، في ذلك الوقف[١].

يرى أن ذات الله واحدة لا كثرة فيها بأي وجه من الوجوه ولهذا لم يجعل صفات الله قائمة بذاتها بل قال: (أنها هي ذات الله فعلمه هو ذاته وقدرته هي ذاته، أنه تعالى عالم يعلم هو هو)، ويحاول القاضي عبدالجبار أن يفهم من عبارة أبي الهذيل الأخيرة أن يقصد أن الله عالم لذاته قادر لذاته إلا أنه لم تتخلص له العبارة[٢].

إبراهيم النظام:

هو إسحاق بن إبراهيم بن سيار النظام، يقول عنه المرتضى في أماليه: (وقيل: أنه مولى الزيادتين من ولو العبيد)[٣].

رأيه في إعجاز القرآن:

فيما يروي عبدالقاهر البغدادي: (أن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليست بمعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ولا دلالة على صدقه ما فيه من الأخبار لمن الغيوب فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فإن العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف)[٤].

---

(١) المعتزلة، الفيومي، ص ١٩١-١٩٣.

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار، ص ١٨٣.

(٣) أمالي المرتضى ٢/١٨٧.

(٤) الفرق بين الفرق، ص ٨٧، القاهرة ١٩٤٨م.

القاضي عبدالجبار:

أفعال العباد:

إبطال نظرية الكسب:

لكن القاضي لم ينسب الكسب إلى الأشعري بل إلى ضرار بن عمرو فهو أول قائل بالكسب، وضرار بن عمرو عاش في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري، وكان المجلس له بالبصرة قبل أبي الهذيل، ويقول عبدالقاهر البغدادي في الفرق بين الفرق: أنه قال بالكسب. وإذن يعترف الأشعارة أنفسهم بأن أول من قال به قبل شيخهم أبي الحسن الأشعري. فيقول: والمجرة ينسبون أفعال العباد إلى الله ومنهم جهم بن صفوان الذي يقول: أنها لا تتعلق بنا وإنما نحن كالظروف لها فإن خلقت فينا كانت وإن لم يخلقها لم تكن.

ثم يأخذ في الرد على فكرة الكسب فيقول: إن الكسب هو كل فعل يستجلب به نفع أو يستدفع به ضرر وضرار لا يقصد هذا بل يتكلم على الكسب الاصطلاحي فيرد القاضي قائلاً: (الاصطلاح على ما لا يعقل غير ممكن لأن الشيء يعقل معناه أولاً، ثم إن لم يوجد له اسم في اللغة يصطلح عليه)[1].

بعض المدن التي انتشر فيها الاعتزال:

قال المالطي: أعلم أن المعتزلة يسوي من ذكرناهم جماعة كثيرة قد وضعوا من الكتب ما لا يحصى ولا يبلغ جمعه وهي في كل بلد وقرية لا تخلو منهم الأرض فأما البلدان التي غلب عليها الاعتزال حتى لا يظهر فيها غير الاعتزال معسكر مكرم من أرض الأهواز والصيمرة ومدينة بأرض فارس يقال: لها جهرم وهراء واصطخر من أرض كرمان نصفهم خوارج ونصفهم معتزلة إلا أن الاعتزال غلب عليهم[2].

صفات الله تعالى:

قال القاضي عبدالجبار: ما يستحقه من الصفات هي الصفة التي بها يخالف مخالفة ويوافق موافقة لو كان له موافق تعالى الله عن ذلك وكونه قادراً عالماً حياً سميعاً بصيراً مدركاً للمدركات موجوداً مريداً كارهاً، هذا عند أبي هاشم.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٩١.

(٢) المعتزلة، الفيومي، ص ٣٣٨.

أما كيفية استحقاقه لهذه الصفات أعلم أن تلك الصفة التي يقع بها الخلاف والوفاق يستحقها لذاته وهي الصفات الأربع التي هي كونه قادراً عالماً حياً موجوداً لما هو عليه في ذاته وكونه مدركاً لكونه حياً يشترط وجود المدرك وكونه مريداً وكارهاً بالإرادة المحدثتين المجودتين لا في محل(١).

يتضح أن القاضي عبدالجبار أطلق على الله تعالى قادراً عالماً حياً موجوداً بما هو عليه في ذاته، والصفة ليست شيء غير الذات وإلا تعدد القدماء في نظرهم وبينوا أن القرآن مخلوق لنفي صفة الكلام عن الله تعالى.

أول ما يعرف استدلالاً من صفات القديم إنما كونه قادراً وما عداه من الصفات تترتب عليه لأن الدلالة دلت أن الله تعالى هو المحدث للعالم دلت على هذه الصفة التي هي كونه تعالى قادراً من غير واسطة وتحرير الدلالة أن الله تعالى قد صح منه الفعل وصحة الفعل تدل على كونه قادراً(٢).

وخلاصة القول في ذلك أن المعتزلة يثبتون الصفات ولا يثبتون إلا قليل من هذه الصفات مثل كونه عالماً قادراً حياً موجوداً، والصفة عندهم ليست شيئاً غير الذات وإلا تعدد القدماء.

التأويل:

قال تعالى: (**ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ**)(٣).

يقول القاضي عبدالجبار: الاستواء أنما هو القيام والانتصاب، وهي من صفات الأجسام فيجب أن يكون الله تعالى جسماً، والاستدلال بالسمع على هذه الآية ممكن، لأن صحة السمع موقوفة عليها لأن ما لم نعلم القديم تعالى عدلاً حكماً لا نعلم هو السمع، وما لا نعلم أنه غني لا نعلمه عدل ثم يقال: الاستواء ها هنا بمعنى الاستيلاء والغلبة وذلك مشهور في اللغة.

قال الله تعالى: (**وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ**)(١).

---

(١) شرح الخمسة، للقاضي عبدالجبار، ص١٢٩.

(٢) نفس السابق، ص١٥١.

(٣) سورة طه، الآية ٥.

قالوا: أثبت لنفسه العين وذو العين لا يكون إلا جسماً والأصل في الجواب عن ذلك أن المراد لتقع الصفة على علمه والعين قد تورد بمعنى العلم[٢].

قال تعالى: (قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ)[٣].

قالوا: أثبت لنفسه اليدين وهذا يدل على كونه جسماً واليدين بمعنى القدرة وهذا ظاهر في اللغة.

وخلاصة القول أن فرقة المعتزلة قد اتبعت طريقة التأويل على أوسع نطاق وفتحت باب التأويل على مصراعيه لكل من يريد أن يؤول والتأويل هنا هو النفي لهذه الصفات بحجة نفي التعدد والتجسيم وهذا اعتماد على العقل وصفات الله تعالى فوق طاقة العقل البشري.

القضاء والقدر:

قال القاضي عبدالجبار: إن القضاء قد يذكر ويراد به الفراغ عن الشئ وإتمامه قال تعالى: (فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ)[٤].

وقد يذكر ويراد به الإيجاب قال تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ)[٥].

وقد يذكر ويراد به الإعلام والإخبار: (وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا)[٦].

أما القدر فقد يذكر ويراد به البيان قال تعالى: (إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ)[١]. وسأل سائل على أفعال العباد أهي بقضاء الله وقدره أم لا؟

---

(١) سورة طه الآية ٣٩.

(٢) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار، ص٢٢٦-٢٢٨.

(٣) سورة ص الآية ٧٥.

(٤) سورة فصلت، الآية ١٢.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٢٣.

(٦) سورة الإسراء، الآية ٤.

كان الواجب في الجواب عنه أن تقول: إن أردت بالقضاء والقدر الخلق معاذ الله من ذلك فكيف تكون أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وهي موقوفة على قصورهم ودواعيهم[٢].

وخلاصة القول أن المعتزلة قد فسروا القضاء والقدر من جانب اللغة، وقد تطرقوا لمسألة أفعال العباد وأثبتوا أن العباد خالقون لأفعالهم بأنفسهم وإرادتهم وهذا قول مردود على أصحابه.

فهم ينكرون الإيمان بالقدر والقضاء جملة وتفصيلاً وهو ركن من أركان الإسلام.

الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى:

يقول القاضي عبدالجبار: إنه تعالى لا يجوز أن يختار القبيح يقتضي أن سائر ما خلقه يجب كونه حسناً وألا فسد ذلك الدليل، وانتقض والواجب في الأدلة أن تقع صحيحة فلا يجوز فيها الانتقاض والفساد.

لهذه الجملة قلنا أنه يلزم المكلف أن يعلم أنه تعالى لا يفعل القبيح فمتى علم ذلك لزم عنده أن يعتقد في سائر ما خلقه أنه ليس بقبيح وأنه حسن لا يلزمه معرفة وجه الحكمة في كل فعل من أفعاله إنما يجب النظر في ذلك إلى محل الشبه[٣].

وبعد فإن العالم بما يفعله حتى لم يفعل الفعل بغرض يقتضي حسنه فيجب كونه لما يشأ والعبث قبيح كما أن الظلم قبيح ود دللنا على أنه تعالى لا يفعل القبيح فبين خروج أفعاله من كونها عبثاً[٤].

وخلاصة القول أن الله تعالى لا يفعل القبيح فكل ما خلقه يجب أن يكون حسناً والأفعال القبيحة تقتضي الذم وهي على الله محال.

ذهبت المعتزلة على أن الباري لا يخلو فعله عن غرض وصلاح الخلق.

---

(١) سورة النمل، الآية ٥٧.

(٢) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار، ص٧٧٠-٧٧١.

(٣) نفس المرجع السابق ١١/٥٨-٥٩.

(٤) نفس المراجع السابق ١١/٦٤.

الله تعالى مستغني عن العباد والعباد فقراء إليه وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

المطلب الثاني

المرجئة

المرجئة طائفة من القدرية يقولون: الإيمان قول بلا عمل وذكر فيهم أبو حاتم في الرتبة حديثاً مرفوعاً (المرجئة يهدد هذه الأمة)[١].

يقول الزمخشري في شرح الفصيح: المرجئة قوم مذهبهم الإرجاء وهم يقولون في أصحاب الكبائر: يرجئون عملهم إلى الله ولا يحكم أنهم من أصحاب النار وهذا الذي جعله إرجاء هو مذهب آل السنة.

وقال ابن بري في حواشيه: هم صنف يقولون: الإيمان قول بلا عمل كأنهم أرجأوا العمل أي أخروه لأنهم يرون أنه لو لم يصلوا ويصوموا لنجاهم إيمانهم[٢].

أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة لأنهم كانوا يؤخرون العمل على النية والعقد أما بالمعنى الثاني فظاهر فإنهم كانوا يقولون لا يضر مع الإيلام معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وقيل: الإرجاء تأخير حكم العاص الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضي عليه بحكم ما في الدين من كونه من آل الجنة أو من أهل النار فعلى هذا المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان وجعل الأرجاء تأخير (علي) رضي الله عنه عن الدرجة الأولى إلى الرابعة فعلى هذا المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان[٣].

قال ابن قدامة[٤]: هم الذين يقولون بإرجاء العمل على الإيمان أي تأخيره عنه فليس العمل عندهم من الإيمان، والإيمان مجرد الإقرار بالقلب فالناس عندهم مؤمن كامل الإيمان وإن فعل ما فعل من المعاصي أو ترك ما ترك من الطاعات، وإذا

---

(١) المفيد في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر، لبدرالدين الزركشي، ص٣٠٠-٣٠١.

(٢) الخوارج والمرجئة، الفيومي، ص١٣٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٣٨.

(٤) عبدالله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن قدامة، ابن مقدام بن نصر المقدسي، ثم الدمشقي الصالحي، موفق الدين أبومحمد الفقيه الحنبلي، ولد سنة ٥٤١هـ، وتوفي سنة ٦٢٠هـ، من تصانيفه: "الاستبصار في نسب الأنصار"، و"ذم التأويل" وغيرها. انظر هدية العارفين"، البغدادي ١/٤٥٩.

حكمنا بكفر من ترك بعض شرائع الدين فعند ذلك لعدم الإقرار بقلبه لا لترك هذا العمل وهذا مذهب الجهمية[1].

وخلاصة القول عندهم الإيمان بالقلب فقط فالفاسق عندهم مؤمن مهما ارتكب المعاصي فهم يوافقون الجهمية في كثير من معتقدهم.

الموقف السياسي للمرجئة:

أما أهل الشام فيرون أن الخلافة في قريش ليدخل معاوية بينها ورأى العراقيون رأيين منهم الخوارج أن الخلافة عامة لكل المسلمين أما الشيعة فقد حصروها في بيت علي من نسل فاطمة الزهراء.

وقد كانت موافقة علي على التحكيم الباعث الأول لظهور الفرق الدينية في الإسلام فقد كان في معسكر الخليفة بعض المسلمين المتعصبين للذين رأوا أن الفصل في موضوع خلافة النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح أن يوكل إلى بشر بل ينبغي الاحتكام فيه إلى الحرب والكفاح وسفك الدماء.

وقد تشمل تشددهم أيضاً عام المسلمين فأقروا حكماً هو أقسى مما ذهب إليه إلى السنة وهم في هذه المسألة على طرفي نقيض مع المرجئة إذ جعلوا الأعمال جزءاً مكملاً للإيمان إلى أن حد أن مرتكب الكبيرة لم يقولوا بعصيانه فحسب بل عدوه كافراً، ووقف حكمهم على مرتكب الكبيرة ثاروا على الأمر الواقع، أما المرجئة فقد قبلوا الواقع وهيئوا أنفسهم للتعامل مع الحكم الأموي.

من هنا مال المرجئة إزاء موقف الخوارج المتصف الظالم ويسد باب الرحمة على العباد بقولهم صاحب الكبيرة كافر ومخلد في النار إلى القول المقابل للخوارج بأن الإيمان نطق بالشهادتين فقط دون العمل وأن صاحب الكبيرة مؤمن غير كافر، فالمرجئة استسلموا للأمر الواقع وقبلوا الحكم الأموي وهيئوا الجو الفكري لقبول الحكم وإشاعة الاستقرار[2].

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، ابن قدامة، تأليف العثيمين، تحقيق أشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، مكتبة طبرية، الرياض، ط١، ١٩٩٢م، ص١٦٢.

(٢) نفس السابق، ص١٣٣.

المبحث الرابع
الصفاتية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الجهمية

المطلب الثاني: الأشعرية

المطلب الثالث: الماتريدية

المطلب الرابع: السلفيون

المطلب الخامس: الصوفية

المطلب الأول
الجهمية

التعريف بهم:

أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ، وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية.

معتقداتهم:

وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء منها: لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة موصوف بها خلقه، لأن ذلك يقتضي تشبهاً فنفي كونه حياً عالماً، وأثبت كونه قادراً فاعلاً خالقاً، لأنه لا يوصف بشيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق.

منها أن الإنسان مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار.

منها من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده، لأن العلم والمعرفة لا يزولان بالجد، فهو مؤمن، والإيمان لا يتبعض، أي لا ينقسم إلى عقد وقول وعمل وهو موافق للمعتزلة في نفي الرؤية(١).

وخلاصة القول أن الله تعالى قد وصف بأوصاف وص بها خلقه وصف بأنه رحيم، ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالرحمة قال تعالى: (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم)(٢).

الجهمية وتراث السريان:

الفكر المسيحي والقول بخلق القرآن: وجد المسلمون في البلاد التي فتحت لهم أقواماً يدينون بديانات شتى ففي سورية ومصر، عمت المسيحية واليهودية، وفي العراق وفارس غلبت المجوسية بفرقها المتعددة والصابئة والسمنية فكان لزاماً على

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني ١/١٨-١٩.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

المسلمين أن يعيشون بين أرباب تلك الأديان، وكان لا مندوحة لهم من الاتصال المستمر بهم فتأثروا بآرائهم وأفكارهم وتسربت إلى الإسلام من عقائدهم نتيجة لذلك الاحتكاك والتأثر المتواصلين ما كان أئمة السلف لا يقرونه ولا يرضون به.

فالسوريون والمصريون كانوا تابعين للدولة البيزنطية إحدى دولتين كبيرتين كانت تحكمان العالم قبل الإسلام لها حضارة مزيج من مدنيتين الرومان واليونان لذلك فإنهم تأثروا بتلك الحضارة واقتبسوا عنها كثير من عناصرها وأسسوا المدارس الراقية يتلقون فيها الفلسفة والعلم ويدققون في المسائل اللاهوتية(١).

أما الدولة الفارسية فقد قامت فيها مدرستان: الأولى مدرسة نصيبين الثانية التي أعاد النساطرة فتحها، بعد أن أغلقت الحكومة البيزنطية مدرستهم في الرها فرحب الفرس بها وسمحوا لعلمائها أن يواصلوا أبحاثهم وأن يشتغلوا بلاهوت والفلسفة.

لذلك استطاع أولئك القوم أن يرتبوا عقائدهم الدينية على أصول فلسفية وأن يوجدوا لأنفسهم كلاماً فلسفياً مدققاً وأن يتقنوا المجادلة (المناظرة) فلما شمر المعتزلة عن سواعدهم لمناهضتهم وجدوا أنهم لم يتمكنوا من مجاراتهم التي تهيأت لهم الغلبة عليهم، ما لم يعمدوا مثلهم إلى درس الفلسفة ويستعينوا بها في دعم حججهم وتقوية أقوالهم فالأدلة النقلية غير كافية لإفحام الغير.

ولعل هذه الحاجة الماسة إلى الفلسفة هي التي دفعت المنصور إلى تشجيع الترجمة فقد كان صديقاً لعمرو بن عبيد رئيس المعتزلة في وقته عظيم الاحترام له، ولعلها أيضاً التي حملت المأمون على الاهتمام بنقل الكتب اليونانية إلى العربية، فإن المقريزي يقول: إنه ترجم بأمر المأمون في بضعة أعوام من حكمه عدداً من الكتب متلقاها المعتزلة وأقبلوا على تصفحها والنظر فيها فاشتد ساعدهم بها وأول معتزلي استفاد من الكتب فائدة ملموسة هو النظام الذي طالع كما يرى الشهرستاني كثيراً في كتب الفلسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة ثم اقتدى به غيره فكان المعتزلة أقدم المتكلمين في الإسلام وهذه هي شهرتهم الأولى في التاريخ(٢).

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد، تاريخ الجهمية ---، نشر المجلد السادس عشر من جملة المنار، ص٢٥٣.

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة، ص٢٥٤-٢٥٥.

وذكر المقريزي: أول من تكلم بالقدر في الإسلام هو معبد الجهني (٨٠هـ-٦٩٩م) أخذ ذلك عن نصراني من الأساورة يقال له أبو يونس سنسويه ويعرف بالأسواري[١].

أما إن نباتة فقد أتى برواية أخرى وهي أول من تكلم بالقدر في الإسلام رجل من آل العراق كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر وعنه أخذ معبد الجهني[٢].

وروى ابن قتيبة أن غيلان الدمشقي أكبر داعية إلى القدر بعد الجهني كان قبطياً فهو يدعى (غيلان القبطي)[٣].

وذكر الخطيب البغدادي: أن بشر المريسي ٢١٨هـن المرجئ المعتزلي أحد كبار الدعاة إلى خلق القرآن، كان أبوه يهودياً صياغاً بالكوفة[٤].

ويتضح من ذلك أن الجهمية تأثروا بديانات قديمة، كانوا قد عايشوها قبل الإسلام، وظلت هذه الأفكار في دواخلهم، وبرزت بعد اتساع الدولة الإسلامية، فنفوا الصفات.

شيوخه:

ثم نشأت مسألة كان على الظروف بعد ذلك أن تزيدها خطراً وهي مسألة القرآن غير المخلوق التي تعود بأصلها في ما يبدو وكما أثبته (بكر) إلى مسألة الكلمة.

نحن نعلم أن القرآن يقول في عيسى إنه (كلمة الله) أو روحه وما كان ليشق على مسيحي تأويل هذه التسميات ومن هنا نشأ الاعتراض الذي جمعه آل الجدل من المسيحيين إلى المسلمين. من هو المسيح؟ إنه كلمة الله فهل هذه الكلمة مخلوقة أم غير مخلوقة؟ إن كانت غير مخلوقة كان المسيح هو لله وإن كانت غير مخلوقة لم يكن الله قبل تولدها ذا حكمة وروح.

بيان بن سمعان التميمي، أصله من سواد الكوفة فهو مولى الأصرع وكان تباناً يتبن التبن بالكوفة ولا تعرف سنة ولادته ولا نشأته الأولى، قاتل مع المغيرة بن سعيد

---

(١) الخطط للمقريزي ١٨١/٤.

(٢) شرح العيون شرح رسالة ابن زيدون، ص١٥٧.

(٣) المعارف، ص١٦٦-٢٠٧.

(٤) تاريخ بغداد ٦١/٧.

في يوم واحد مع ١٥ رجلاً من أصحابه سنة ١١٩هـ، أمر من خالد القسيري أيضاً[١].

آراؤه:

يعد النوبختي والتستري بياناً وفرقته من الغلاة إذ لعنه محمد بن الحسن فقال: لعن الله بيان التبان وإن بيانا لعنه الله كان يكذب على أبي أشهد أن علي بن الحسين كان عبداً صالحاً[٢].

وقال بيان: هل في علي جزء إلهي اتحد بجسده فيه، كان يعلم الغيب إذا خبر عن الملاحم وصح الخبر وبه كان يحارب الكفار وله النصرة وبه قلع باب خيبر[٣].

وعن هذا قال: والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ولكن قلعته بقوة رحمانية ملكوتية بنور ربها مضيئة فالقوة الملكوتية في نفسه كالمصباح في المشكاة والنور الإلهي كالنور في المصباح. قال: وربما يظهر علي في بعض الأزمان، قال في تفسير قوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ...)[٤]، ظُلَلٍ...)[٤]، أراد به علياً فهو الذي يأتي في الظلل[٥].

وأضاف أصحاب بيان لعلي صفات أخرى هي أن علياً يعلم الغيب ويعلم ما في الغد وما تشتمل عليه الأرحام من الأولاد وما يغيب الناس فتجيه[٦].

الجعد بن درهم:

اختلف الرواة في نسب الجعد بن درهم فيذكر الثعالبي أنه مولى بني مروان ويذكر ابن نباته المصري أنه مولى الحكم، أما السمعاني فيذكر أنه مولى سويد بن غفلة[١].

---

(١) لسان الميزان، ابن حجر ٧٥/٦، التبصير في الدين، ص١٩-٣٥، الفصل ١٨٥/٢.

(٢) قاموس الرجال ٢٤٤/٢، فرق الشيعة، النوبتجي، ص٥٥.

(٣) تاريخ الطبري ١٥٨/١.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢١٠.

(٥) الملل والنحل ١٣٦/١.

(٦) مقالات الإسلاميين ١٦٠/١.

أما أصله فيذكر ابن كثير أنه خراسان دون أن يشير إلى اسم المدينة التي ينسب إليها(٢).

ويذكر ابن نباته أن أخت الجعد بن درهم كانت أم مروان بن محمد(٣).

وخلال وجود الجعد في الجزيرة مع مروان أخذ ينشر آراءه في نفي الصفات وبعد أن عظم أمر الجعد نفاه إلى البصرة كما يذكر أبو محمد(٤).

في عيد الأضحى سنة ١٢٠هـ، جلب خالد القسري الجعد معه إلى مسجد واسط وخطب خطبة العيد وخطب في خطبته: الحمدلله الذي اتخذ إبراهيم خليلاً وكلم موسى تكليماً، وقال الجعد وهو بجانب المنبر: لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولا موسى كليماً(٥).

أهم آرائه هي نفي الصفات، ويعد عبدالقادر البغدادي الجعد من القدرية(٦).

إذ غالى في قدرة الإنسان حتى قال: إن الخمر ليس من فعل الله ولكنه من فعل الخمّار(٧).

فهذا هو الجعد بن درهم وآرائه المخالفة للإسلام.

مقاتل بن سلمان:

ابن بشر مولى الأزد من خراسان ويكنى أبا الحسن البلخي لأن أصله من بلخ ولكنه انتقل إلى مرو فنسب إليها كذلك(٨).

التقى مقاتل في بلخ بجهم بن صفوان وناقشه في الصفات قبل أن يلتحق هذا بالحارث بن سريج وكان جهم يذهب إلى نفي الصفات عن الله تعالى، أما مقاتل فيثبت الصفات(١).

---

(١) أنساب، السمعاني، ص١٣١، التاريخ، اليغوي ٢٤٠/٢.

(٢) البداية، ابن كثير ٢٥٠/٩، تاريخ الإسلام، الذهبي ٢٣٩/٤.

(٣) الخوارج والمرجئة، الفيومي، ص٢٦١.

(٤) الفرق والتواريخ، ص١١٨.

(٥) الحموية، ابن تيمية، ص١٥، مجموع الرسائل ٩٢/١.

(٦) الفرق بين الفرق، ص١٧.

(٧) البداية، ابن كثير ٣٥٠/٩.

(٨) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ١٦٨/١٣.

كان مقاتل يذهب إلى إثبات الصفات، وقد غالى في ذلك غلواً شديداً، فكان يقول: إن الله جسم، وأن له جمة، وأنه على صورة إنسان لحم ودم وشعر وعظم له جوارح وأعضاء(٢).

يتضح أن مقاتلاً قد غالا في إثبات الصفات لله تعالى، حتى شبهه، أي جعله جسماً.

جهم بن صفوان وفلسفته:

قال ابن عساكر في تاريخه: أقام الجعد بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن أمام هشام بن عبدالملك فطلبه بنو أمية فهرب وسكن الكوفة فلقيه بها الجهم ابن صفوان فتقلد عنه هذا القول.

مرجع فلسفته وخلاصة مذهبه:

هو تأويل آيات الصفات كلها والجنوح إلى التنزيه البحث وبه نفى أن يكون لله تعالى صفات غير ذاته وأن يكون مرئياً في الآخرة وإنه يتكلم حقيقة وأثبت أن القرآن مخلوق؛ هذه أشهر مسائل جهم التي يقال لها مقالة الجهمية، وله من الآراء سوى ذلك كالقول بنفي جهة العلو والقول بالقرب الذاتي(٣).

قوله في الإمامة:

يقول: أن الإمامة يستحقها كل من قام بها إذا كان عالماً بالكتاب والسنة وأنه لا تثبت الإمامة إلا بإجماع الأمة كلها، وهذا الرأي مشابه لرأي الخوارج(٤).

ويظهر أن فكرة نفي الصفات عن الله تعالى كانت واضحة عند جهم فيما لم تكن عند واصل بن عطاء الذي عاصره، فعندما سألت السمنية جهم في ترمذ عن وجود الله تعالى، أثبت جهم وجوده كالروح التي لا يمكن الحس بها أو حسبها ولا يمكن رؤيتها أو سمعها أو شمها فكذلك الله ليس كمثله شيء فجهم اتصل بالسمنية

---

(١) البداية، ابن كثير ٣٥٠/٩، تاريخ الإسلام ٥٦/٥.

(٢) تاريخ الجهمية والمعتزلة، القاسمي ١٦/٧.

(٣) الخوارج والمرجئة، الفيومي، ص٢٦٦.

(٤) فرق الشيعة، ص٣٤، ص٢٧١.

وهي فرقة بوذية في ترمذ، حيث كانت البوذية هي السائدة فيها أبان الفتح الإسلامي ،وجاءت السمنية الذين يعتقدون بقدم العالم وأنه لا وجود إلا ما وقعت عليه الحواس فجادلهم جملة لكي يثبت وجوده تعالى وينفي في الوقت نفسه عن تعالى الصفات[١].

الجبر:

قد بدأ المسلمون يبحثون في القدر ويتساءلون كيف يقدر الله تعالى الشر على الإنسان ثم يحاسبه عليه؟ ويظهر أن بداية الشك في عهد الخلافة الراشدة أو يروي أن رجلاً من الخوارج جاء إلى علي بن أبي طالب فقال: أرأيت من سلك سبيل الهدى وسلك بي سبيل الردى؟ أأحسن إلي أم أساء؟ قال له علي: إن كنت استوجبت عليه حقاً فقد أساء وإن كنت لم تستوجب عليه شيئاً فهو يفعل ما يشاء[٢].

في هذا الصراع الفكري الذي انتاب المسلمين قالت المعتزلة بالقدر وقال جهم بالجبر[٣].

الإيمان:

قال جهم: إن الإيمان هو المعرفة بالله ورسله ويجمع ما جاء من عنده الله فقط[٤].

ونسب ابن حزم والذهبي إلى جهم: (إن الإيمان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الإسلام، ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل من آل الجنة)[٥].

ويلاحظ أن ابن حزم نسب قول جهم في الإيمان أيضاً للأشعري، ولمحمد ابن كرام السجستاني[٦].

---

(١) نفس السابق، ص٢٧٢.

(٢) سراج الملوك، الطرطوشي، ص٣٤٦.

(٣) الخوارج والمرجئة، الفيومي، ص٢٧٤.

(٤) الفرق بين الفرق، ص١٢٨، مقالات الإسلاميين ٣١٢/١.

(٥) الفصل ١١١/١-١١٢.

(٦) طبقات الشافعية، السبكي ٤٢/١.

المطلب الثاني

الأشعرية

الأشعرية تنسب إلى علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري الذي ولد بالبصرة سنة (٢٦٠هـ) وفي هذه السنة التي مات فيها الكندي فيلسوف العرب وينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ وأحد الحكمين عن علي كرم الله وجهه فيما يعرف بمهزلة التحكيم المعروفة بين علي ومعاوية.

التحق الأشعري بعد نشأته بالمعتزلة مبكراً، ودرس مذهب الاعتزال على الجبائي رئيس معتزلة البصرة في ذلك الوقت وأستمر في الدراسة حتى بلغ في الاعتزال مبلغاً خطيراً كان له أكبر الأثر في تقدير أساتذة له وإنابته عنه في كثير من المجالات والمناظرات التي كان يدعي إليها وقد ألف الأشعري في هذه الفترة من حياته كتباً كثيرة في نصرة المذهب والدعاية له وظل كذلك حتى بلغ الأربعين من عمره ثم أعتزل الناس وغاب في بيته ١٥ يوم خرج بعدها إلي المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة ثم نادي في الناس قائلاً أنه قد ترك مذهب الاعتزال وتاب مما كان عليه، وأنه معتزم إظهار معايب المعتزلة وفضائحهم وأن يخلع من عقائده السابقة كما ينخلع من ثوبه[١].

يقول الشهرستاني[٢]: هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل[٣] الأشعري رضي الله عنهما وسمعت من أعاجيب الاتفاقات أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه كان يقرر ما يقرر الأشعري أبو الحسن في مذهبه[٤].

---

(١) الفهرست، ابن النديم ص(١٨١) تاريخ بغداد، الخطيب ٣٤٦/١١. شذرات الذهب، ابن العماد ٣٠٣/٢ طبقات الشافعية، السبكي ٤/٢. ثم انظر الفرق بين الفرق ، البغدادي

(٢) أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني ، صنف كتب كثيرة منها: "نهاية الإقدام في علم الكلام"، "الملل والنحل"، ولد بشهرستان ٤٦٩هـ، وتوفي بها أيضاً سنة ٥٤٨هـ، انظر : طبقات الشافعية، عبدالرحيم الأسنوي (جمال الدين)، كمال يوسف الحوت، مركز الخدمات والإيمان الثقافية، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٧هـ، ٢٢/٤.

(٣) علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبي بردة الأشعري البصري المتكلم، أبو الحسن، صاحب التصانيف في الكلام والأصول الملل والنحل، مولده سنة ٢٦٠هـ، توفي سنة ٣٣٤هـ، انظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، -ابن تغريردي، دار الكتب المصرية، ط ١٩٣٢م، ٢٥٩/٣.

(٤) الملل والنحل، الشهرستان، تحقيق محمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م، ٧٤/١-٧٥.

ونرى أنها فرقة كلامية من الفرق الإسلامية المعلومة، لها منهج في مسائل العقيدة خاص بها، وهي من الفرق التي تبنت منهج علم الكلام وقد كانت من الفرق التي نازعت المعتزلة في كثير من المسائل كما سنرى.

الصفات:

الصفة هي الشيء الذي يوجد بالموصوف أو يكون له ويكسبه الوصف الذي هو النعت الذي يصدر عن الصفة، وإن كانت مما يوجد تارة ويعدم أخرى غيرت حكم الموصوف وصيرته عند وجودها على حكم لم يكن عليه عند عدمها كالسواد والبياض، والإرادة والكراهة، والعلم والجهل، وما جرى مجرى ذلك مما يتغير به الموصوف إذا وجد به ويكسبه حكماً لم يكن عليه(١).

قال الإمام الرازي: قال الأصحاب: صفات الله على ثلاثة أقسام:

ذاتية: المراد منها الألقاب الدالة على الذات كالوجود والشيء والقديم وربما جعلوا الألفاظ الدالة على السكون من هذا الباب كقولنا: واحد بمعنى.

معنوية: المراد بها الألفاظ الدالة على معاني قائمة بذات الله تعالى كقولنا: عالم، حي، قادر.

فعلية: المراد بها الألفاظ الدالة على صدور أثر من الآثار عن قدرة الله تعالى وهذا حاصل ما قالوه(٢).

إن كل معقول يشير العقل الله فذلك المشار إليه أما ذات الشيء أو جزء داخل في ماهية الذات أو آخر خارج عن ماهية الذات، والخارج عن الذات إما أن يكون صفة حقيقية أو أضافية أو سلبيه أو ما تركب في هذه الأمور فمراد المتكلمين من الصفة الذاتية لا بد أن يكون أحد هذه الأقسام لا جائز أن يكون مرادهم نفس الذات.

أما الفعلية ليست عبارة عن حالة ثابتة لذات الله تعالى لا معنى قائم بذات الله تعالى بل هو عبارة عن مجرد صدور الآثار عنه ولا معنى للخالق إلا أنه وجد المخلوق بقدرته(١).

---

(١) التمهيد، الباقلاني ١٥/٣.

(٢) أسماء الله الحسنة، الرازي، ص٤٣.

قد وضح الرازي مراد المتكلمين من الصفات الذاتية والمعنوية والأفعال وهو نموذج تفصيلي واضح بين مذهب الأشاعرة.

التأويل:

يقول الإمام البيهقي[٢]: إن الوجه واليدين والعين صفة صفات طريق إثباتها السمع، فنبينها لورود خبر الصادق بها ولا نكيفها، قال الله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٣].

أضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلى الوجه لو كان ذكر الوجه صلة ولم يكن للذات صفة تعالى ذي الجلال والإكرام فيما قال علمنا أنه نعت للوجه وهو صفة للذات وقال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٤].

بتشديد الياء من الإضافة ذلك تحقيق في التثنية في ذلك منع حملهما على النعمة والقدرة، لأنه ليس تشخيص التثنية في نِعم الله ولا في قدرته معنى يصح، لأن نعم الله أكثر من أن تحصى، لأنه خرج مخرج التشخيص وتفضيل آدم على إبليس وحملهما على النعمة أو القدرة يزيل معنى التفضيل لاشتراكهما فيها ولا يجوز محلها على الماء أو الطين[٥].

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[٦]. ثم المذهب الصحيح في جميع ذلك الافتقار على ما ورد به التوفيق دون التكييف وإلى هذا ذهب المتقدمون من أصحابنا ومن تبعهم من المتأخرين وقالوا: الاستواء على العرش قد نطق به

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة الرحمن، الآية (٢٧).

(٤) سورة ص، الآية (٧٥).

(٥) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، البيهقي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ص ٦٩.

(٦) سورة طه، الآية (٥).

الكتاب، في غير آية ووردت به الأخبار الصحيحة وقبوله من جهة التوفيق واجب، والبحث عنه وطلب الكيفية له غير جائز [١].

وقال الإمام الجويني[٢]: ذهب بعض أئمتنا على أن اليدين والعينين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى، الدليل على إثباتها السمع دون قضية العقل والذي يصبح عندنا حمل اليدين على اليدين على القدرة وحمل العينين على البصر وحمل الوجه على الوجود، ومن أثبت هذه الصفات السمعية وقال: إنها زائدة على ما دلت عليه دلالات العقول استدل بقول تعالى في توبيخ إبليس حين امتنع عن السجود: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٣]، قالوا: لا وجه بحمل الوجه على القدرة، وجملة المبتدعات مخترعة بالقدرة، ففي الحمل إبطال فائدة التخصيص وهذا غير سديد[٤].

قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[٥]. لا يلتبس معنى هذه الآية إلا على غبي إذ لا يتجه في انتظام الكلام حمل الجنب على تقدير الجارحة مع ذكر التفريط فلا وجه إلا حمل الجنب على جهات أمر الله تعالى ومأخذها قد يراد بالجنب الجناب[٦].

وخلاصة القول أن الجويني قد أخذ طريقة التأويل فأول اليدين بالقدرة، والنعمة والوجه بالوجود وهكذا باقي الأشاعرة على نفس المنهج مثل الإمام الرازي[٧]، فهو يؤول صفة القرب قال: المراد قرب رحمته ودنوها من العبد[٨].

---

(١) الاعتقاد، البيهقي، ص٩١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة ص، الآية (٧٥).

(٤) الإرشاد، الجويني، ص٥٥.

(٥) سورة الزمر، الآية (٥٦).

(٦) الإرشاد، الجويني تحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبدالمنعم ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط ١٩٥٠م، ص ١٥٩.

(٧) سبق تخريجه.

(٨) أساس التقديس في علم الكلام، الرازي، مطبعة مصطفى الحلبي، ص١٠٠.

الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى:

قال الأشعري: أجمعوا على أنه ليس لأحد من الخلق الاعتراض على الله تعالى في شيء من تدبيره ولا إنكار شيء من فعله، إذ كان مالك لما يشاء منها غير مملوك، وأنه تعالى حكيم قبل أني يفعل سائر الأفعال وأن جميع ما يفعله لا يخرجه عن الحكمة وأن من يعترض عليه في أفعال متبعاً لرأي الشيطان في ذلك حين امتنع عن السجود لآدم عليه السلام، وزعم أن ذلك فسادا في التدبير وخروج عن الحكمة قال تعالى على لسان إبليس: (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)(1)(2).

أثبت الأشعري أن الله تعالى متفرداً بتدبيره ويتصف بالحكمة في أفعاله قبل أن يفعل سائر الأفعال وجميع ذلك لا يخرجه عن الحكمة، ومن يعترض عن أفعاله تعالى ضال متبع رأي الشيطان.

دفاعه عن علم الكلام:

تعتبر المعتزلة هي المؤسسة الأولى لعلم الكلام، وقد نظمته وصنعته، وصاغت مناهجه، وأصوله الكلامية، وهذا العلم قد أثار عليه خصوم جام غضبهم، فإن ثاروا على الاعتزال ثاروا عليه، وإن ثاروا على علم الكلام ثاروا على المعتزلة، حتى جاء أبو الحسن الأشعري، وكان قد شبَّ على علم الكلام في بيت إمام معتزلي، هو أبو علي الجبائي، وكان ذا نزعة نقدية، ظهرت بوادرها على منهج أبي الحسن الكلامي، وكان أبرز تأثيره بالمعتزلة رسالته في استحسان الخوض في علم الكلام، ففي ظروف سيادة الجدل الكلامي تغدو مسألة العلاقة بين العقل والنقل، إحدى النقاط المحورية في الصراعات الفكرية(3).

---

(1) سورة ص، الآية (76).

(2) رسالة إلى أهل الثغر باب الأبواب، أبي الحسن الأشعري، تحقيق عبدالله شاكر محمد الجنيدي 1413هـ، ص154.

(3) المصدر السابق، ص 473.

ينوه الأشعري بعدد من الوقائع الدالة على أن الصحابة والتابعين وكبار رجال الدين بعدهم قد اشتغلوا بمسائل دينية فقيهة، لم تكن معروفة في أيام النبي ﷺ وناظروا فيها وجادلوا، وحادوا وحاجوا، وليست هذه المسائل بأقل بدعة من التي ينظر فيها المتكلمون، ومنها مسائل العول والجدات من مسائل الفرائض، وغير ذلك من الأحكام، وكالحرام البائن، والبتة، وكالمسائل في الحدود والطلاق، مما يكثر ذكرها، مما قد حدث في أيامهم ولم يجيء في كل واحد نص عن النبي ﷺ، لأنه لو نص على جميع ذلك ما اختلفوا فيه، وما بقي الخلاف إلى الآن[1].

يتضح أن الإمام الأشعري قد شجع البحث في علم الكلام، استدلاً بمسائل في عهد الخلفاء الراشدين لم تكن معروفة في زمن النبس صلى الله عليه وسلم.

علاقة أبي الحسن الأشعري بشيخه الجبائي من خلال كتاب مقالات الإسلاميين:

القول في المكان:

اختلفت المعتزلة في ذلك فقال قائلون الباري في كل مكان بمعني أنه مدبر لكل مكان والقائلون بهذا القول جمهور المعتزلة مثل أبو الهزيل العلاف، والجعفران والاسكافي، محمد بن عبد الوهاب الجبائي.

علم الله:

قال الجبائي ما علم الله سبحانه أنه لا يكون وأخبر انه لا يكون فلا يجوز أن عند من صدق بأخبار الله تعالى وما علم أنه لا يكون ولم يخبر بأنه لا يكون فجاز عندنا أن يكون [2].

الجو الفكري الذي عاش فيه الأشعري

لقد عاش بين عامي (٢٦٠-٣٢٤هـ) أي في الشطر الأخير من القرن الثالث الهجري والربع الأول من القرن الرابع.

---

(١) السابق، ص ٤٧٦.

(٢) الأشعري والفيومي ص٨٢-٨٣.

وهذه فترة تقع في أواخر أيام الدولة العباسية حيث كثر توالي الخلفاء لعدم استتباب أمور الحكم لهم، وظهرت دويلات صغيرة كالدولة السامانية سنة (٢٦١هـ)، والدولة البويهية أو دولة بني بويه سنة (٣١٠هـ)، ودولة الحمدانيين، سنة (٣١٧هـ) وغير هذه وتلك من الدول التي ظهرت بمصر وغيرها[١].

قد بقيت هذه الدول رغم استقلالها علي إظهار ولائها للخليفة العباسي السني تثبيتاً لاتجاهها السني من جهة، ومن جهة أخرى خشية أن يسيطر عليها الخليفة الفاطمي ويتولي الخلافة على المسلمين وقد كانت الدولة الفاطمية حينئذ في عنفوانها وكان اتجاهها شيعياً[٢].

إذ قد أهتم أبوجعفر المنصور تـ (١٥٨هـ) بالاعتزال لما كان لبينه وبين عمرو بين عبيد المعتزلي من صلات صداقة ثم كان المهدي من بعده (١٥٨-١٦٩هـ) حتى إذا جاء عصر المأمون (١٩٨-٢١٨هـ) زاد ظهورهم إذ كان عصر قوة وازدهار حضارة بسط فيها المعتزلة سلطانهم وأحدثوا محنة القول بخلق القرآن، وهي مسائل تمس العقائد وكان محنة للفقهاء وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل ت(٢٤١هـ)، واستمر موقفهم هذا في عصر كل من المعتصم ت(٢٢٧هـ) والواثق، ت(٢٣٢هـ) حتى جاء المتوكل ت (٢٤٧هـ) فرفع المحنة عن الأئمة، ورد لآل السنة اعتبارهم فقلت سيطرة الاعتزال وإن بقي رجاله يواصلون مواقفهم الموغلة في الجدل العقلي المفصل الصادر عن وقفه بعدت بهم عن التأول السليم للعقائد وبدأ نجم المعتزلة في الأفول وزاد ثبات قدم أهل السنة، ولكن زاد أيضاً ظهور الفرق المختلفة.

ويقول المقريزي: (واشتهرت مذاهب هذه الفرق: من القدرية والجهمية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية حتى ملأت الأرض)[٣].

فالفترة التي عاش فيها أبو الحسن الأشعري تمثل نتاج معترك قديم بين فرق زلت قدمها بالنسبة لكيفية تناولها للعقائد إما لتأثرها ببعض آراء دخيلة من تراث شرقي وعربي قديم أو الرغبة في إخضاع كل ما ورد في الشريعة للعقل البشري، وقد

---

(١) الكامل لابن الأثير،٢/ البداية والنهاية ٢١٢/١١.

(٢) الأشعري والفيومي ص١١٤.

(٣)الخطط، للمقريزي، ٣٠٧/٣.

تصدت لهم جماعة الأصوليين والفقهاء الذين أرادوا مقابلة هذا الانحراف بالثبات على موقف السلف الصالح، وهم الذين لم يتكلموا في المشاكل التي طرحها المبتدعة وحذروا من الخوض فيها ولقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم)[1].

مما هو جدير بالذكر أيضاً في مجال العقائد أن ظهر أيام الاعتزال ما كان علي موقف أهل السنة من العقائد، ولكن لم يمتنع عن تقديم أدلة وبراهين عقلية تشبيها بصفة لاحقة على النصوص المنزلة، ومن هؤلاء ابن كلاب، ت (٢٥٠هـ)، والمحاسبي ت (٢٤٣هـ)، والقلانسي (٣٠٨هـ)، كما ظهر من بعدهم الماتريدي ت (٣٣٣هـ)، وهو معاصر للأشعري.

ثم إلى جانب هذا التطاحن في مجال العقائد كانت الحياة الثقافية تنطلق من البحث العقلي، بسبب اهتمام الخلفاء بترجمة العلوم الزائفة في البلدان المجاورة وخاصة العلوم الحكمية، واشتهر من استقل بعلوم الأوائل محمد بن زكريا الرازي ت (٣١١هـ) الذي حقق في العلوم العلمية علي اختلافها خاصة الطبي منها وكذلك أبو النصر الفارابي ت(٣٣٩) الذي ساهم في بيان علوم الحكمة الإسلامية من بعد الكندي فيلسوف العرب الأول، ثم أخوان الصفا وخلان الوفاء، وهم أصحاب رسائل –موضوعات تعد دليلاً علي ما وصل إليه كاتبوها من معارف موضوعية لها ثقلها وقدرها، في المجال العقلي ثم هناك علوم الصوفية التي زاد ذيوعها وظهر فيها كثير من كبار رجال التصوف مثل أبي القاسم الجنيد ت(٢٩٧هـ)، وعلي بن الموفق سنة (٢٦٥هـ) وأبي صالح حمدون القصار النيسابوري ت (٢٧١هـ)، كما نجد أصحاب السر السقطي وتلاميذه ثم الأنصاري سنة(٣٢٠هـ) ثم الحسين بن منصور الحلاج ت (٣٠١)، الذي اتصل ببعض الصوفية بالبصرة ثم دخل بغداد سنة (٢٦٤هـ) حيث تتلمذ على الجنيد وغيره[2] من ساروا بالتصوف والزهد والتقشف إلى نظام الطوائف والفرق، حتى صار التصوف يتميز في هذه بخصائص نفيسة وأخلاقية وميتافيزيقية

---

(١) رواه أبو داؤد ١٦:١٧ –ابن حنبل ١:٤ ص٢٣، ثم الأشعري والفيومي ص١١٧.

(٢) الكواكب الدرية، للمناوي، ٢/٦٨-٧٦

ظهرت في أقوال بعض مشايخه ولقد كان لذيوع التصوف أثره في أبي الحسن الأشعري وفيمن كان يخدمه وهو بندار بن الحسين، غير أنه كانت للأشعري حياة روحية خاصة متأثراً بالأجواء العامة للبيئة إلا أنه تكتم هذه الحياة عن الناس ولم يجهر بها تأسياً بالسلف الصالح.

هذه هي بيئته في نواحيها السياسية والدينية والثقافية وهي تحمل في طياتها ما يمكن أن يؤدي إلي تقدير ما كان عليه الحال من خطورة بالنسبة للعقائد وما كان يجب أن يتخذه رجال الكلام من أمثال الأشعري ومعاصره الماتريدي، من موقف تجاه طغيان العقليات من أجل توضيح الأسلوب الصحيح في تناول العقائد وهو أسلوب السلف[1].

يتضح من ذلك الجو الذي عاش فيه الأشعري بين المعتزلة وأهل السنة فهو يتوسط بين المذهبين.

حيرة الدارسين في تفسير أسباب خروجه من الاعتزال

حديث البصرة عن الإمام الأشعري:-

وفي نهاية القرن الثالث الهجري وبالتحديد سنة (٣٠٠هـ) تقريباً حدث كان له أكبر الخطر في علم الكلام في كل من مذهبي السنة والمعتزلة إذ غاب الأشعري في بيته ١٥ يوماً فبعد ذلك خرج إلي الجامع فقصد المنبر وقال: (معاشر الناس إني تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتاكفأت ولم يترجح عندي حق علي باطل ولا باطل على حق، واستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلي ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت عن كل ما كنت اعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا وانخلع من ثوبه كان عليه ورمى بها ودفع الكتب إلى الناس[2].

هذا هو الحدث الذي هزَّ البصرة وهزَّ معها مجالس المتكلمين، وزعزع أركان الاعتزال، فما كان الأشعري بالرجل العادي في هذا المجال، وما كان من اليسير أن تمر المسألة عادية دون أن يلتفت لها الناس، فقد رأينا مكانة الشيخ وعرفنا كيف أحله

---

(١) الفيومي، ص ١٢٠-١٢١.

(٢) الفهرست لابن النديم / ٣٩.

الجبائي محل التلميذ المفضل بل يوشك أن يكون خليفته المرتقب ولهذا فان الصدمة التي أحدثها أبوالحسن بإعلانه الخروج علي رفاق الأمس كانت عنيفة لا ريب لأبي علي وأصحابه وكان الصدع الذي أوجبه كبيراً يعز علي الرأب. الرتق يصعب علي الرقع فقد كان الأشعري بالنسبة للمعتزلة حسب تعبير ابن عساكر(١).

مسائل الخلاف بين الأشعري والمعتزلة:-

١/ **مسألة الصفات:** يذهب الأشاعرة أن مسالة الذات الإلهية قديمة أبدية بسيطة غير مشابهة للحوادث وهو رأي يتوسط بين المعتزلة الذين قالوا تنزيهاً صفاته عين ذاته، وأثبتوا صفات معنوية لله وبنى الحشوية والمجسمة القائلين بالتشبيه والتجسيم، والأشاعرة قالوا إن صفات الذات قديمة وهي سبعة: القدرة، والعلم، والحياة، والإرادة، والسمع، والبصر ، والكلام. والمشتق منها قديم أيضاً كالقادر ، والسميع، والبصير .

أما صفات الأفعال: كالخالق، والرازق، والمعز ، والمذل، وهي حادثة فصفات الذات قديمة وصفات الأفعال حادثة.

٢/ **مسالة الكلام:** الكلام من صفات الله والقرآن صورته ودار جدل كثير حولها .

٣/ التشبيه والتجسيم: رتب المعتزلة على تنزيهه تعالى بعدم رؤية الله الآخرة لما يلزم الرؤية من مكان وجهة، وقصد ومحدودية. أما الاشاعرة فقالوا بالرؤية ليس كرؤيتنا.

٤/ **الصلاح والأصلح:** أقام المعتزلة دليل الوجوب علي الله أن يفعل الأصلح بناء على مبدأهم القائل بالتحسين والتقبيح العقليين، فقالوا بالحرية.

٥/ **التحسين والتقبيح:** اختلافهم مع الاشاعرة في عدة مسائل فكل ما هو واجب في عدة مسائل، وكل ما هو واجب بالشرع عند الأشاعرة واجب بالعقل عند المعتزلة.

---

(١) نفس السابق والصفحة.

٦/ **الخلافـة والإمامـة:** لا توجب كفراً لـدي الأشـاعرة مـن المتنـازعين للمعتزلة، توجب تكفير أحد الفريقين[١].

المنحنى لبيان ظهور فكرة خلق القرآن:

الدولة الأموية: الجعد بن درهم:

في بداية القرن الثاني للهجرة أخذ الجعد بن درهم مؤدب الخليفة الأموي مروان الثاني بالمبدأ القائل بأن القرآن مخلوق وفي هذا الوقت جمح الخيال بخصوم هذه الفكرة فأبدوا مقدرتهم في استخراج الروايات والأحاديث التي تعينهم علي إرجاع هذه الفكرة وتتبعها بالعودة بها، من عهد الجعد بن درهم إلى عهد لبيد اليهودي الذي قيل سحر النبي ﷺ وأمرضه [٢].

ومع أن الفكرة قد آلت إلي الجهد فقد قتل من أجلها قبله خالد بن عبد الله القسري حاكم العراق وذلك بأمر الخليفة هشام بن عبد الملك ولا نسمع بعد مقتل الجعد بشيء من مذهب خلق القرآن حتى عهد الخليفة العباس هارون الرشيد[٣].

---

(١) ١٨٣-١٨٤ ----------

(٢) محمد بالألمانية بقلم فيل weil ص٩٤ هامش رقم ١٢١

(٣) هوتسليم في كتابه المنازعات الاعتقادية، ص١٠ وبعده ٢٠٦.

التطور التاريخي:

أما قصة التطور التاريخي لمذهب حلف القرآن الذي أدي إلى أن يمتحن الناس به في عهد المأمون وخلفائه. فقد بينه أبو الفرج بن الجوزي المتوفى (٥٩٧هـ) فيما يلي لم يزل الناس علي قانون السلف وقولهم أن القرآن كلام الله غير مخلوق حين نبغت المعتزلة[١].

فقالوا بخلق القرآن، وكانوا يتسترون بذلك، إلى زمن الرشيد حتى أن الرشيد قال يوماً: بلغني أن بشر المريسي يقول: (القرآن مخلوق والله على أن أظفرني الله به لاقتلنه قتلة ما قتلها أحد، ولما علم بشر بذلك ظل متوارياً أيام الرشيد فهو من نحو من عشرين سنة، فلما وُلّي المأمون خالطه قوم من المعتزلة فحسنوا له القول بخلق القرآن[٢] .

قاضي المحنة:

شغل أحمد بن أبي داؤد منصباً من المناصب الواسعة النفوذ في عهود ثلاثة من الخلفاء المأمون، والمعتصم، الواثق وكان أقوى منافح عن المحنة إبان خلافتهم ويصوره مؤلفو تراجم أحمد بن حنبل من آل السنة تصويراً قائماً غير أنه كان عالماً متكلماً أخذ الكلام عن هباج بن العلاء السلمي، الذي كان من أصحاب واصل بن عطاء وهو أول من افتتح الكلام مع الخلفاء [٣].

ويتضح من ذلك إن الإمام أبو الحسن الشعري كان قد تربى وتشرب بتعاليم المعتزلة، وأخذ الكثير منهم قبل أن ينخلع من ثوب الإعتزال، وصار من بعد ذلك يرد عليهم بالكتاب والسنة على طريقته.

---

(١) أصل تسمية المعتزلة وبيان فرقهم كتاب المعتزلة (المفكرون الأحرار في الإسلام بالألمانية، نشر في ليتبرج ١٨٦٥هـ، بقلم شتيز، ص ٢٥ وما بعدها.

(٢) ص(٣٠٧) ------

(٣) الإسلام----دوزي ص (١٣٣) وما بعدها ------

المطلب الثالث

السلفيون

السلفيون هم الفرقة المحقة التي هي على الكتاب والسنة ، فقد اتفق جمهور من أهل السنة على أصول من أركان الدين كل ركن منها يجب على كل عاقل بالغ معرفته حقيقة وأول الأركان إثبات الحقائق والعلوم والعلم بحدوث العالم ومعرفة الصفات الأزلية ومعرفة أنبيائه ورسله ومعجزاتهم وكرامات الأولياء [1].

إثبات وجود الله تعالى.

يقول ابن تيمية: الدليل على وجود الله: العقل، والحس، والشرع والفطرة.

العقل: قيل لأعرابي: بم عرفت الله؟ قال: الأثر يدل على المسير والبعرة تدل على البعير فسماء ذات الأبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألا تدل على السميع البصير؟ لهذا قال الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[2].

فحينئذ تكون دلالة العقل دلالة قطعية على وجود الله تعالى.

الحس: أما دلالة الحس على وجود الله تعالى فإن الإنسان يدعو الله عزَّ وجل: يقول: يا رب ويدعو بالشيء ثم يستجاب له فيه وهذه دلالة حسية.

الفطرة: أما دلالة الفطرة فإن كثير منا لناس لم تنحرف فطرهم يؤمنون بوجود الله حتى البهائم العجم تؤمن بوجود الله وقصة النملة التي رويت عن سليمان عليه السلام، فالفطرة مجبولة على معرفة ربه وتوحيده، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ...أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[3].

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق – البغدادي ص ٢٦١ مرجع سابق .

(٢) سورة الطور، الآية (٣٥).

(٣) سورة الأعراف، الآيات ١٧٢-١٧٣.

الشرع: فلأن ما جاءت به الرسل من شرائع الله تعالى المتضمنه لجميع ما يصلح الخلق يدل على أن الذي أرسل بها رب رحيم حكيم لا سيما هذا القرآن الذي أعجز البشر والجن أن يأتوا بمثله(١).

وخلاصة القول في ذلك أن الأدلة على وجود الله تعالى عند السلف العقل والحس والشرع والفطرة وهي طريقة القرآن في إثبات وجوده تعالى وإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومعجزاتهم ، وخلق السموات والأرض بما فيها اختلاف وأوضح دليل على وجود الله تعالى والله تعالى قد خاطب العقول وأثرى النصوص بياناً وبرهاناً على وجوده والإيمان به.

وبعد ذلك لا ينكر وجود الخالق إلا من طمست بصيرته وأضله الشيطان الرجيم، ونسأل الله تعالى حسن العاقبة.

صفات الله تعالى:

يقول ابن تيمية: إن صفات الله عزَّ وجل من الأمور الغيبية والواجب على الإنسان في الأمور الغيبية أن يؤمن بها على ما جاءت دون أن يرجع أي شيء سوى النصوص قال الإمام أحمد رحمه الله: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث).

إذا وصفت الله بصفة لم يصف بها نفسه فقد قلت على الله ما لا تعلم وهذا محرم من القرآن يقول الحق تبارك وتعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا)(٢).

---

(١) شرح العقيدة الواسطية، ابن تيمية، ترجمة سماحة الشيخ محمد الصالح العثيمين، خرج أحاديثه سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط٥، ١٤١٩هـ، المملكة العربية السعودية، ١/٥٥-٥٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية (٣٦).

ولما وصف الله نفسه أن له عين هل تقولون المراد به بالعين هي الرؤية؟ لو قلنا ذلك ما وصفنا الله، بما وصف به نفسه ولما وصف أن له يدان: (بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ)[١].

لو قلنا أن الله تعالى ليس له يد حقيقية بل المراد باليد ما يسبقه من النعم على عباده فهل وصفنا الله كما وصف به نفسه[٢].

عموم كلام المؤلف يشمل كل ما وصف الله به نفسه من الصفات الذاتية والمعنوية والخبرية والفعلية والصفات الذاتية هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها وهي نوعان:

معنوية: مثل الحياة والعلم والقدرة والحكمة وما إلى ذلك.

خبرية: مثل اليدين والوجه والعينين وما إلى ذلك.

صفات فعلية: هي الأفعال المتعلقة لمشيئته نوعان:

صفات ليس لها سلب معلوم مثل النزول إلى السماء الدنيا.

هي صفات ليس لها سلوب معلوم مثل الرضى خلقه تعالى إذا وجد سبب الرضا رضى تعالى: (إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ)[٣][٤].

وخلاصة القول في ذلك أن عموم كلام ابن تيمية في الصفات قد رجع للكتاب والسنة وقسم الصفات إلى ذاتية وفعلية فد أثبت الصفات الزائدة القائمة بذات الله تعالى، كما أثبت الصفات الخبرية مثل الوجه، واليد، والصورة وغيرها من الصفات عن طريق النصوص بعيداً عن العقل وهي من الأمور الغيبية التي تفوق منتهى العقول.

---

(١) سورة المائدة، الآية (٦٤).

(٢) العقيدة الواسطية، ابن تيمية، شرح العثيمين، الدمام، ط٢، ١٤١٥هـ، ١/٧٤-٧٥.

(٣) سورة الزمر، الآية (٧).

(٤) شرح الواسطية، ابن تيمية، ص٨٠.

التأويل:

قال القاضي أبي بكر الأشبيلي[1]: إن لهذا اللفظ في عرف السلف معنيين:

الأول: تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أم خالفه فيكون التأويل للتفسير بهذا المعنى متقاربين أو مترادفين وهذا الذي عناه الطبري في تفسيره.

الثاني: التأويل بمعنى الحقيقة الخارجية والأثر الواقعي المحسوس لمدلول الكلمة وهو الذي تحدث به القرآن في كثير من الآيات، من المعلوم أن الكلام ينقسم لنوعين خبر وإنشاء: فالتأويل استعمل في الإنشاء ثم الاختبار في تنفيذ الأوامر والنواهي.

وفي هذا قال السلف: أن السنة هي تأويل الأمر والنهي وقد استعمل التأويل في الخبر وهو نفس الحقيقة المخبر عنها هذا يشمل إخبار الله تعالى على أمور الغيب كالقيامة والبعث[2].

ويقول ابن تيمية: التأويل ليس كله مذموماً لأن له عدة معان متعددة منها: التفسير كقول كثير من المفسرين عندما يفسرون الآية يقولون: تأويل قوله تعالى كذا ثم يذكرون المعنى سمى التفسير تأويلاً لأننا أولنا الكلام أي جعلناه يؤول إلى معناه المراد.

ومن ثم صرف اللفظ عن ظاهره وهذا النوع محمود ومذموم إن دل عليه الدليل فهو محمود، وإن لم يدل عليه الدليل فهو مذموم[3].

قال تعالى: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)[4]. يعني يوم القيامة بعد أن تدك الأرض وتسوى يحشر الناس يأتي الله للقضاء بين عباده. وأهل السنة والجماعة

---

(١) هو القاضي أبوبكر محمد بن عبدالله بن محمد، المعروف بابن العربي الأشبيلي، الإمام الحافظ المتبحر، خاتمة علماء الأندلس، ولد في ثمان وستون وأربعمائة، هجرية، وتوفي سنة ثلاث وأربعون وخمسمائة هجرية، من تصانيفه: "قانون التأويل وغيره"، انظر شجرة النور الذكية، محمد بن مخلوف، بيروت، ص١٣٦.

(٢) قانون التأويل، ابن بكر الأشبيلي، دراسة محمد السليماني، جدة، ط١، ١٩٨٦م، ص٢٤١-٢٤٢.

(٣) شرح الواسطية، ابن تيمية ١/٨٨-٨٩.

(٤) سورة الفجر، الآية (٢٢).

يثبتون أن الله تعالى يأتي بنفسه هو لأن الله تعالى ذكر ذلك عن نفسه وهو سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً من غيره وأحسن حديثاً فكلامه مشتمل على أكمل العلم والصدق والبيان والإرادة فله عزَّ وجل ليريد أن يبين لنا الحق[١].

قال تعالى: (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)[٢]. من عقيدتنا أننا نثبت أن لله تعالى وجهاً حقيقياً ونافذة من قوله تعالى: (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ...)، ونقول بأن هذا الوجه لا يماثل أوجه المخلوقين[٣].

وخلاصة القول أن في عهد الصحابة والتابعين لم يكن يوجد تأويل لنصوص القرآن أي غير محمود كما بين ابن تيمية لأنهم كانوا قريبي عهد بالبنوة والرسالة فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المبين أي الموضح لهم.

الحكمة والتعليل في أفعال تعالى:

قال ابن تيمية: قال الجمهور من أهل السنة وغيرهم: بل هو حكيم في خلقه وأمره والحكمة ليست مطل المشيئة إذ لو كان كذلك لكان كل مريد حكيماً، ومعلوم إن الإرادة تنقسم لمحمودة ومذمومة بل الحكمة تتضمن لما في خلقه وأمره من العواب المحمودة والغايات المحبوبة للقول بإثبات هذه الحكمة ليست هو قول المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة فقط بل هو قول جماهير طوائف الاسم من أهل التفسير، واللغة، والحديث والكلام[٤].

أوضح ابن تيمية تفرق الفرق في عدالة الله وحكمته وأخيراً قول جمهور أهل السنة أنه حكيم في خلقه وأمره والحكمة ليست مطلق المشيئة وبين القول بإثبات صفة الحكمة قول جماهير الإسلام.

منهج الإمام أحمد في الرد على الجهمية والزنادقة:

والجهمية من الفرق التي ظهرت مبكراً في العصر الأول الإسلامي ففتحت باب النظر في التأويلات والطريق إلى المجادلات والمناظرات وتأويل آيات الصفات،

---

(١) شرح الواسطية، ابن تيمية ٢٧٩/١.

(٢) سورة الرحمن، الآية (٢٧).

(٣) شرح الواسطية، ابن تيمية ٢٨٤/١.

(٤) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية ١٤١/١.

وصف أبوضبيعة جهماً بقوله: (أفرط جهم في نفس التشبيه حتى قال: إنه تعالى ليس بشيء وأفرط مقاتل في معنى الإثبات حتى جعله مثل خلقه، أخذ عليه الإمام أحمد القول بالتأويل أي تأويل القرآن لخدمة آرائه والقول بنفي الصفات وعدم الرؤية[١].

من أهم القضايا التي أثارت اهتمام الإمام أحمد وأمثاله من السلف الصالح قضية متشابهة القرآن و(بيان ما فصل الله بين قوله وخلقه) وبيان أن القرآن ليس بمخلوق وبيان ما يحدث به الجهمية من أن يكون الله كلم موسى وبيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش وبيان ما تأولت الجهمية من قول الله تعالى: (**هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ**...)[٢][٣].

ثم بين أن القرآن ليس بشيء لقوله تعالى: (**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ**...)[٤]، فالشيء ليس هو قوله إنما الشيء الذي كان يقوله.

ثم بيان ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله كلم موسى فقد استهله أيضاً بالنصوص المنزلة مثل قوله تعالى: (...**يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ**...)[٥]، وقوله تعالى: (**إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ**)[٦]، وغير هذه وتلك من آي الذكر الحكيم لإثبات أن الله تعالى تكلم كيف شاء من غير أن يقول بجوف ولا فم[٧].

القرآن:

(١) الفيومي، ص٢٣٨.

(٢) سورة الحديد، الآية (٣).

(٣) نفس السابق، ص٢٣٨-٢٣٩.

(٤) سورة النحل، الآية (٤٠).

(٥) سورة طه، الآيات (١١-١٢).

(٦) سورة طه، الآية (١٤).

(٧) الرد على الزنادقة والجهمية، لابن حنبل، ص ٨٧-٩٢، (عقائد السلطان) عقيدة الإمام أحمد.

يذهب أحمد في القرآن مذهب آل السنة والمذاهب الأربعة وغيرهم من السلف على أن القرآن غير مخلوق وبأنه كلام الله قائم بصفة أزلية في الذات الإلهية ومعبراً عن علمه في عالم الوجود وليس كلاماً واقعاً وهذا يؤدي بنا إلى إثبات أزلية كلام الله(١).

ومن ثم فإنا نعتقد أن آل السنة في عصر الإمام أحمد ذهبوا في عقيدتهم القرآن إلى بداية مذاهب.. القرآن الظاهر المنزل من القرآن السماوي – كلام الله– فكلام الله تعالى أزلي غير مخلوق وهو وحده متصلة بنزاهة معصومة والقرآن من حيث علاقة البشرية في الحياة الدنيا يجب أن ينظر ليه كبيان عن كلام الله الواحد الذي يتألف منه وحي الديانة الكاملة(٢).

إذن فمسألة خلق القرآن في حقيقتها مسألة سياسية(٣).

مذهب الإمام أحمد في الإيمان:

لقد أوضح محمد بن أسلم صديق أحمد بن حنبل مذهبه في الإيمان ويبدو أن هذا مما كان يقول به أحمد بن حنبل أيضاً. وهو أن الإيمان في القلب يشهد به اللسان وتعمل به الجوارح ويؤيد رأيه هذا قوله أن البلاء والمحنة يزيدان في الإيمان فقد روى عنه أنه قال: (وكنت في السجن وكل ذلك عندي في إيماني)(٤).

أهل السنة وأصحاب الحديث:

وقال آل السنة وأصحاب الحديث ليس بجسم ولا يشبه الأشياء وأنه على العرش كما قال عز وجل: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ)(٥)، ولا تقدم بين يدي الله في القول بل تقول: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ)(٦)(٧).

اختلافهم في العين، الوجه، اليد على أربع مقالات:

---

(١) الأشعري، الفيومي، ص٢٤٤.

(٢) نفس السابق، ص٢٤٥.

(٣) القضايا الكبرى في الإسلام، ص٢٣٢.

(٤) المقفى، للمقريزي، ورقة ١٢.

(٥) سورة طه، الآية (٥).

(٦) سورة طه، الآية (٥).

(٧) الأشعري، الفيومي، ص ٢٧٠.

١- قالت المجسمة: له يدان ورجلان، وجه، وعينان وجنب يذهبون إلى الجوارح والاعتقاد.

٢- قال أصحاب الحديث: لسنا نقول في ذلك إلا ما قاله الله عز وجل أو جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول وجه بلا كيف ويدان عينان بلا كيف.

٣- وقال عبدالله بن كلاب: أطلق اليد والعين والوجه خبراً لأن الله أطلق ذلك ولا أطلق غيره فأقول هي صفات الله عز وجل كما قال العلم والقدرة والحياة أنها صفات لكن ما معنى أن يكون الله وجهاً فقط.

٤- وقالت المعتزلة: بإنكار ذلك غلا الوجه وتأولت اليد بمعنى النعمة وقوله: (**تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا**...)[١]، أي بعلمنا والجنب بمعنى الأمر (**أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ**...)[٢]. أي في أمر الله، وقالوا: نفس الباري هي هو[٣].

وإن هذه الصفات تمر كما جاءت بلا تأويل، أو تشبيه، أو تمثيل، أو تعطيل وهذا الذي عليه أهل الحق.

---

(١) سورة القمر، الآية (١٤).

(٢) سورة الزمر، الآية (٥٦).

(٣) الأشعري، الفيومي، ص٢٧١.

المطلب الرابع

الصوفية

يقول ابن تيمية: ما يلزم مذهب الصوفية في الفناء: أما في حق العبد فيلزمهم أن تستوي عنده جميع الحوادث وهذا محال قطعاً وقد تمر عليهم أحوال يفنون فيها عن أكثر الأشياء، أما الفناء عن جميعها فممتع فإنه لا بد أن يفرق كل حي بين ما يؤلمه وما يلذه فيفرق بين الخبز والتراب، والماء والشراب، فهؤلاء عزلوا الفعل الشرعي الأيماني الرحماني الذي فرق الله به بين أوليائه وأعدائه وظنوا أنهم مع الجمع القدري وعلى هذا فإن تسوية العبد بين جميع الحوادث فممتنع لذاته بل لا بد للعبد من أن يفرق، فإن لم يفرق بالفرق الشرعي فيفرق بين محبوب العبد ومكروهه.. وألا فرق الفرق الطبعي بهواه وشيطانه.. ومن هنا وقع منهج خلق كثير في المعاصي وآخرون في الفسوق، وآخرون في الكفر حتى جوزوا عبادة الأصنام(١).

وحدة الوجود: ثم كثير منهم من ينتقل إلى وحدة الوجود وهم الذين خالفوا الجنيد(٢) وأئمة الدين في التوحيد فلم يفرقوا بين القديم والمحدث وهؤلاء صرحوا بعبادة كل موجود وهو قول أهل وحدة الوجود كابن عربي المالكي(٣)، وابن سبعين(٤)، والتلمساني(٥)، وابن الفارض(٦) وأمثالهم(٧).

---

(١) شذرات البلاتين –من كلمات سلفنا الصالحين– لابن تيمية، دار العلم، بيروت، حقوق في الطبع محفوظة لدار العلم للطباعة والنشر والتوزيع لصاحبها أكرم أحمد الطباع، الرسالة التدمرية، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٢) الجنيد هو أبوالقاسم محمد بن الخزاز ، متصوف من الكبار ، ولد بنهوند سنة ٩٠٩م . انظر (معجم الفلاسفة جورج طرابيسي ، ص ١٦٢) .

(٣) أبوبكر محمد بن علي محي الدين الملقب بالشيخ الأكبر ، وكان متصوفاً عربي، ولد في ١٧ رمضان ٥٦٠هـ، في مرسية في أسبانيا، وتوفي ٦٣٨هـ، في دمشق، أصله من قبيلة طي العربية، كان يقول بوحدة الوجود، له كتاب الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، انظر معجم الفلاسفة، إعداد جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، ط٣، ص٢٥.

(٤) محمد بن عبدالحق بن سبعين، الملقب بالإشبيلي، ولد في مرسية في أسبانيا، سنة ٦١٤هـ، ومات في مكة منتحراً بقطع شريان يده، في ٢ شوال ٦٦٩هـ، عن رغبة منه في الاتحاد بالله كما قيل، وكان آخر فلاسفة الأندلس، له مدرسية شخصية اشراقية، عرفت بمدرسة السبعيين، نفس السابق، ص٢٥.

(٥) سبق تعريفه.

(٦) شرف الدين أبو القاسم عمر بن علي بن مرشد، الحموي الأصل المصري، قال في العبر هو حجة آل الموحدة، سلك طريق الصوفية، فترصد وتجرد وتوفي عن ٥٦ سنة، وتوفي سنة ٦٣٢هـ، انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، ود. مصطفى عبدالقادر عطا. شذرات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م، ٢٥٦/٥.

(٧) نفس السابق، ص٢٨٧.

الحكمة في الأفعال: يقولون أن الرب يجوز أن يفعل كل ما يقدر عليه ويمكن فعله من غير مراعاة حكمه ولا رحمة ولا عدل، ويقولون: أن مشيئة الله هي محبته ولذا نجد من اتبعهم غير معظم للأمر والنهي، والوعد والوعيد بل هو منحل عن الأمر الشرعي كله أو عن بعضه[1].

دعواهم أن الله يعطي الكفرة والفجرة كرامات، وآخرون من عوام هؤلاء يجوزون أن يكرم الله بكرامات أكابر الأولياء من يكون فاجراً بل كافراً، ويقولون هذه موهبة وعطية يعطيها الله من يشاء، ما هي متعلقة بصلاة ولا بصيام، ويظنون أن ذلك من كرامات الأولياء، وتكون كراماتهم من الأحوال الشيطانية التي يكون مثلها للسحرة والكهان قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾[2][3].

ولي الصوفية له صفات الرب سبحانه: ثم أنهم جوزوا الكرامات لكل من زعم الصلاح ولم يقيدوا الصلاح بالعلم الصحيح والأيمان الصادق والتقوى بل جعلوا علامة الصلاح هذه الخوارق وجوزوا الخوارق مطلقاً وحكوا في ذلك مكاشفات وقالوا: أقوالاً منكرة، وقال بعضهم: إن الولي يعطى قول كن. وقال بعضهم: لا يمتنع على الولي فعل ممكن كما لا يمتنع على الله تعالى فعل محال وهذا ما قاله ابن عربي والذين اتبعوه.

---

(١) نفس السابق، ص٢٨٧.

(٢) سورة البقرة، الآيات (١٠١-١٠٢).

(٣) شذرات البلاتين، ابن تيمية، ص٢٨٩.

وقال ابن عربي: إن الولي لا يعزب عن قدرتها شيء من الممكنات والذي لا يعزب عن قدرته شيء من الممكنات هو الله وحده[1].

وخلاصة القول فيما سبق أن الصوفية قد جوزا كثير من الممنوعات الشرعية وخالفوا كثيراً من أهل السنة في قولهم بوحدة الوجود الذي قال بها عدد من الصوفية وعطلوا الحكمة في أفعال الله تعالى وجوزوا الكرامات للفجّار والفسّاق وحتى الكفرة باعتبارها هبة وعطية من الله تعالى، ورفعوا أولياؤهم إلى مرتبة الألوهية وإحاطتهم علماً بكل شيء.

وقال تعالى في شأن نوح عليه السلام: (قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ...)[2].

وأفضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم قيل له في شأن عمه أبي طالب: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ...)[3].

---

(١) شذرات البلاثين، ابن تيمية، ص٢٩٢.

(٢) سورة هود، الآية (٤٦).

(٣) سورة التوبة، الآية (١١٣).

الفصل الثاني

الفرق في المغرب والأندلس

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الفرق في المغرب.

المبحث الثاني: الفرق في الأندلس.

المبحث الأول
الفرق في المغرب

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الشيعة.

المطلب الثاني: الخوارج.

المطلب الأول
الشيعة

كان فيمن جاء نحو الغرب إدريس بن عبدالله بن الحسن المثنى أخو محمد بن عبدالله الذي بايعه المنصور ثم نكس بيعته فأتى إدريس مصر وهي تحتد حوزة العباسيين فاستخفى في مكان أتاه بعض الشيعة سراً وفهم صاحب البربر فحمله إلى المغرب في أيام الرشيد فتلقاه الشيعة عناك وبايعوه فأنشأ دولة في مراكش عرفت بالدولة الإدريسية من سنة مائة واثنين وسبعين إلى سنة ثلثمائة وخمسة وسبعين على أن هؤلاء لم يسموا أنفسهم خلفاء(١).

ويقول المقريزي(٢): فلما كانت سنة خمس عشرة وثلثمائة سير المهدي ابنه أبا القاسم من مصر إلى المغرب في جيش كبير بسبب خارجي خرج عليه وقتل خلقاً، فوصل إلى ما وراء تاهرت، فلما عاد من سفرته هذه خط برمحه في الأرض صفة وسماها المهدية(٣).

يقول المقدسي: الفاطمية: من أفكارهم الحيعلة في الأذان وجعل أول الشهر يوماً يرى فيه الهلال وجعل صلاة الكسوف خمس ركعات وسجدتين في كل ركعة هذه صفة مذاهب الشيعة، ويوافقون المعتزلة في أكثر الأصول وسموا باطنية لأنهم يصرفون ظاهر القرآن إلى بواطن وتفاسير غريبة ومعان دقيقة وهذه الأصول مذاهب الإدريسية وغلبتهم في بكورة السوس الأقصى وهي قريبة من مذهب القرامطة(٤).

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، تحقيق د. حسن مدني، دار الهلال ١٩٥٨م، ٤/٢٣٠.

(٢) أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد بن إبراهيم تقي الدين المقريزي ثم المصري الفقيه المؤرخ الشافعي، ولد سنة ٧٦٩هـ، وتوفى سنة ٨٤٥هـ، من مصنفاته: "اتعاظ الحنفاء بأخبار الفاطين الخلفاء"، و"إزالة التعب والعناء في مفرق الحال في الغناء"، انظر هدية العارفين، البغدادي ١/١٢٧.

(٣) اتعاظ الحنفاء بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٨م، ص١٠٤-١٠٥.

(٤) أحسن التقاسيم، للمقدسي، ص٢٣٧-٢٣٨.

يقول أبي عبيد البكري: فهم بنو لماس كلهم روافض، يعرفون بالبجليين نزل بين ظهرانيهم رجل بجلي من أهل نفطة قبل دخول أبي عبيد الله الشيعي إفريقية يقال له محمد بن ورسند، فدعاهم إلى سب الصحابة رضوان الله عليهم وأحل لهم المحرمات وزعم أن الربا بيع من البيوع وزاد في الأذان بعد أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمداً خير البشر ثم بعد حي على الفلاح حي على خير العمل آل محمد خير البرية(١).

أثر ذلك على المجتمع المغربي:

بعد فتح المغرب قد انتقلت جماعات الشيعة يدعون للمذهب الشيعي بين قبائل البربر ودخلتهم الدعوة الفاطمية إلى أن تكونت دولة الأدارسة الشيعة في المغرب ذات الأصول المعتزلية، وقد تبنت كثير من آراء الشيعة مثل سب الصحابة وإنكارهم الحيعلة في الأذان وزيادتهم في الأذان بألفاظ كثيرة وسموا باطنية لصرفهم ظواهر القرآن إلى بواطنه وتكوين مدينة المهدية.

وخلاصة القول في ذلك أنه آخر هذا الفكر على كثير من شعوب هذه المنطقة فكانت بداية لنشأة هذا الفكر في المغرب وتطوره ودخول هذه التعاليم على كثير من سكانه مما أضعف الروح الإسلامية آنذاك والتخلي عن كثير من السنن.

---

(١) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، القسم الأول الطبعة الرابعة، ص٤٢٨-٤٢٩.

المطلب الثاني

الخوارج في المغرب

كان للخوارج في صدر الإسلام التقدم والكثرة كانوا شعوباً كثيرة متفرقين، وكانت مواطنهم خصوصاً بين المصامدة في تامستا وريف البحر المحيط من سلا وأزمور.

كان كبيرهم الأول في المائة الثانية من الهجرة طريق أبو صالح كان من قواد ميسرة الخفير طريف المغرئ القائم بدعوى الصفرية، ويقال أنه تنبأ وشرع لهم الشرائع ثم هلك وولي مكانه ابنه صالح وكان من أهل العلم والخير منهم، ثم انسلخ من آيات الله دعوى النبوة وشرع لهم الديانة، أدعى أنه أنزل عليه قرآناً، كان يتلو عليهم سور منه[1].

وكان ذلك سنة خمس وعشرين ومائة من الهجرة[2].

غمارة:

كانوا غارقين في الجهالة والبعد عن الشرائع بالبداوة والانتباذ عن مواطن الخير وتنبأ منهم مجكسا حاميم بن من الله بن جرير، تنبأ سنة ٣١٣هـ، اجتمع عليه كثير من الناس وأقروا بنبوته، وشرع لهم الشرائع والديانات والعبادات والأحكام ووضع لهم قرآنا كان يتلوه عليهم بلسانهم[3].

فذهب الأباضية في المغرب قد تكون نهائياً في أوائل القرن السادس الهجري – الأثر ذلك عل المجتمع الغربي.

ثارت برغواطة وادعت النبوة من قائدها وتأثرت آراء الأباضية وهي آراء الخوارج فد ظهرت هذه الأفكار بين قبائل البربر وامتد أثرها إلى المغرب فقامت حروبات كثيرة لردهم والاستقامة على دين الإسلام مما جعل المنطقة تذوب في

---

(١) الاستقصاء، الناصري، ص١٥.

(٢) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ص٤٤٦-٤٤٧.

(٣) التراث اليوناني والحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين، ترجمه عن الألمانية الإيطالية عبدالرحمن بدوي، ط٣، دار النهضة العربية ١٩٦٥م، ص٢١٠.

حروبات مذهبية مع آراء الأباضية ومدعي النبوة مما جعلها مهيأة لثورة إسلامية كبرى تعيد لهم بسيرة الجهاد الأولى.

وقبائل هوارة ومكناسه هم على رأي الخوارج والأباضية من هذا الجيل قام أبوزيد مخلد بن كيداد الزناتي على أبي القاسم بن عبيدالله[1].

وثار ميسرة المغري بطنجة على عمرو بن عبدالله فقتله وبايع العبد الأعلى من جريج الأفريقي، رومي الأصل، كان مقدم الصفرية من الخوارج من انتحال مذهبهم مقام بأمره مدة، وبايع ميسرة لنفسه للخلافة داعياً إلى نحلته الخارجية على مذهب الصفرية[2].

وخلاصة القول كما قال عياض: فقد كانت المالكية بالمغرب والأندلس السد المانع ضد النحل والزيغ مع الاعتزال والخوارج والباطنية والظاهرية والموحدين[3].

---

(١) المسالك والمالكن البكري، ص١٥٤.

(٢) تاريخ إسبانيا الإسلامية، ابن الخطيب، ص٢٢١.

(٣) ترتيب المدارك، عياض، ص٢٦.

المبحث الثاني

الفرق في الأندلس

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: السلفيون.

المطلب الثاني: الشيعة.

المطلب الثالث: المعتزلة.

المطلب الرابع: الخوارج.

المطلب الخامس: الأشعرية.

المطلب السادس: الفلسفة.

المطلب السابع: الصوفية.

المطلب الأول

السلفيون

كان مذهب مالك في عقيدته هو مذهب علماء المدينة وجماعة آل السنة والحديث، وهو (الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عندالله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئاً)(١).

قال صاحب النبوغ المغربي: وعلى كل حال فإن مذهب مالك لم يتوطد أمره في هذا العصر كمذهب فقهي فقط ولكن كعقيدة أيضاً فإن التلازم بين طريقته في الفقه والاعتقاد هي إتباع السنة ونبذ الرأي والتأويل مما لا يخفى(٢).

مع الإيمان بمتشابه القرآن والسنة في الصفات لا يتعرضون لمتشابههما بتأويل مع التنزيه عن الظاهر ونبذ من أراد الفرق الضالة من المتكلمين كالجهمية والقدرية وغيرها، والوقوف عندما وقف عليه أهل السنة والجماعة إلا لضرورة(٣).

وكان مالك رحمه الله يقول: (الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل إلى بلدنا يكرهونه وينهون عنه نحو الكلام في رأي جهم والقدر كل ما أشبه ذلك ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل أما الكلام في دين الله عزَّ وجل فالسكوت أحب إلي لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا ما تحته عمل)(٤).

قال ابن عبدالبر(٥): في توضيح كلام مالك: (والذي قاله مالك رحمه الله عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديماً وحديثاً من أهل الحديث والفتوى وإنما خالف في ذلك أهل البدع المعتزلة وسائر الفرق، أما الجماعة فعلى وما قال مالك رحمه الله إلا أن

---

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، ص٢٩٠.

(٢) النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبدالله كنون، ط٢، دار الثقافة ٤٨/٦،

(٣) الاستقصاء، للناصري، ج١/١٤٠.

(٤) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبدالبر ١١٦/٢.

(٥) الحافظ جمال الدين أبوعمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري الأديب، الفقيه، المالكي، الشهير بابن عبدالبر القرطبي، ولد سنة ٣٦٨هـ، وتوفي سنة ٤٦٣هـ من تصانيفه "الاستذكار"، وغيرها، انظر هدية العارفين، البغدادي ٥٥٠/٢.

يضطر أحد إلى الكلام فلا يسعه السكوت إذ يرد الباطل وصرف صاحبه عن مذهبه أو خشي الضلال عامة أو نحو هذا)[1].

وفي ذلك قوله: الإيمان قول وعمل وقوله القرآن كلام الله، وكان يقول من قال: القرآن مخلوق يوجع ضرباً ويحبس حتى يتوب[2].

وقوله: ما أبين هذه الآية على آل القدر وأشدها عليهم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[3].

وقال القاضي عياض: كانت المالكية بالمغرب والأندلس السد المانع ضد أهل النحل والزيغ مع الاعتزال، والخوارج، والباطنية، والظاهرية والموحدين ففي المشرق لم يكن نصيبها من الكفاح أقل[4].

قال ابن القطان[5]: أمر علي بن يوسف بإجماع قاضي قرطبة ابن حمدين وفقهائها على حرق كتاب الإحياء، فأحرق عل الباب الغربي من رحبة المسجد بجلوده بعد إشباعه زيتاً بمحضر جماعة من أعيان الناس[6].

كان المغرب يسير على وفق العقيدة السلفية وظل أهل هذه البلاد على هذه العقيدة حتى ظهر المهدي بن تومرت صاحب الدعوة الموحدية إذ كانت دعوة توحيدية محض فقد تحدى علماء المرابطين ورماهم بالشرك والتجسيم لأنهم يتمسكون

---

(١) جامع بيان العلم، ابن عبدالبر ١١٦/٢.

(٢) الانتقاء، لابن قتيبة الدينوري ، ص٣٥ مرجع سابق .

(٣) سورة السجدة، الآية (١٣).

(٤) ترتيب المدارك، القاضي عياض ٢٦/١.

(٥) ابن القطان: علي بن محمد بن عبدالملك الحافظ الحبر أبو الحسن الكناني القاسي المغربي المالكي، له مصنفات كثيرة، مات سنة ٦٢٧هـ، انظر معجم المطبوعات العربية، والمعرفة، يوسف إلياس سركيس، مطبعة سركيس، القاهرة، ١٩٢٨م، ص٢١٥.

(٦) البيان المغرب، ابن عذارى ٦٠/٤.

بظاهر الآيات المتشابهات وظل يقاومهم حتى سقطت الدولة المرابطية وقامت الدولة الموحدية تحمل مذهباً كلامياً جديداً[1].

الأثر الذي تركته صفة الفرقة:

وخلاصة القول في ذلك يعد جمع هذه الأقوال أن المغرب والأندلس كانت على العقيدة السلفية قد جعل هذا الأثر في إتباعهم مذهب الإمام مالك رحمه الله في نفي التأويل وإثبات وجود الله بطريقة القرآن والاهتمام بالسنة والأحاديث الثابتة مما جعلت الأندلس دولة قوية بعد أن فتحها المجاهدين المسلمين فقد كانت على الجادة مما مهد بقيام دولة المرابطين التي تبعت العقيدة السلفية منهجاً وعدم الاهتمام بأفكار الصوفية بعد حرقهم لكتب الإمام الغزالي رحمه الله أن دل إنما يدل على التمسك الشديد بمنهج السلف رحمهم الله.

(١) تاريخ الإسلام السياسي الديني، حسن إبراهيم، ٤٤١/٤.

المطلب الثاني

الشيعة

ذلك أن الأمير عبدالرحمن الأوسط كسر حاجز الانعزال الذي كان آباؤه قد ضربوه على أنفسهم نحو العراق(١)، لقد كان هذا الانفتاح أيضاً فرصة لدخول تيارات فكرية جديدة حملت معها آراء بعض الفرق الإسلامية(٢).

بل ربما أن الاتجاه الكلامي الذي تمثل في المذهب الشيعي والنزعة الاعتزالية(٣).

كما أنه من المرجح أيضاً أن يكون لمبادئ الاعتزال وخاصة مبدأ حرية الإرادة الإنسانية أثر في بث روح التذمر الأندلسي.

يقول ابن خلدون: كانت الأدارسة لما أجلاهم الحاكم المستنصر عن العدوة إلى الشرق، ومحا أثرهم من سائر المغرب واستقامت غماره على طاعة المروانيين وأذعنوا الجند الأندلسيين رجع الحسن بن كنون لطلب أمرهم، فهلك على يد المنصور بن أبي عامر فانقرض أمرهم وافترق الأدارسة في القبائل وانتشروا في الأرض ولاذوا بالاختفاء إلى أن خلعوا إشارة ذلك النسب(٤).

الأثر الذي تركته:

وخلاصة القول في ذلك أن الشيعة بدأت بالمغرب وانتلقت لا شك للأندلس خاصة بعد عهد الانفتاح أي العهد الأموي بعد دخول عدد كبير من رجال هذه الفرق الكلامية الأندلس لبث أفكارهم في هذه الأرض التي فتحت وتوحدت بدماء الشهداء وتوجد صلة قوية بين الشيعة والمعتزلة في كثير من الأراء الكلامية.

فقامت كما سبق أن أشرنا دولة الأدارسة في المغرب وصارت تدعو لآراء الشيعة وتمد أيديها لدخول الأندلس إلى أن بادت هذه الدولة وانقضى أمرها ورحلت للمشرق(٥).

---

(١) تاريخ المغرب والأندلس، عبادي، ص١٣٩.

(٢) Montgomery Watt. Op, Cit 57.

(٣) الاتجاهات الفكرية في الأندلس، ألو زاد، ص١٥٣.

(٤) نفس السابق، ص١٦٧، (الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، تأليف محمد بن إبراهيم بن عبدالجليل، ط١، الرياض ١٤١٦هـ، ص٩٧-٩٨، لم أجد كتاب الاتجاهات الفكرية فنقلته منه للعلم والفائدة.

(٥) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ج القسم الأول، ص٤٥٥.

المطلب الثالث

المعتزلة

قال ابن حزم: وعرّف بعضهم الاعتزال وكان أوائل القائلين به أحمد بن موسى بن أجدير صاحب السكة الذي كان يقول أن الله عاقل[1].

كما كان منذر بن سعيد[2] يتهم بالميل إلى هذا المذهب وكان حكم ابنه رأس المعتزلة بالأندلس وكبيرهم وأستاذهم ومتكلمهم وناسكهم[3].

وقال ابن الفرضي[4]: وقد واجه فقهاء الأندلس هذا المذهب باستنكار شديد ولما مات خليل بن عبدالله بن كليب وكان مشهوراً بالقدر لا يستتر به أتى مروان ابن أبي عيسى وجماعة من الفقهاء وأخرجوا كتبه وأحرقت بالنار إلا ما كان فيها من كتب المسائل[5].

الأثر الذي تركته:

وخلاصة القول في ذلك أن في الأندلس زعماء من زعماء المعتزلة وبثوا كثيراً من آرائهم على أن هذا المذهب قد واجهه الفقهاء بعنف شديد واستنكار وأحرقت كتب هذا المذهب، لأنها من كتب علم الكلام والموازنات العقلية الذي لا يرتضيه عامة الناس في الأندلس لإتباعهم العقيدة السلفية التي ما لبثت ثابتة إلى يوم القيامة.

هذه النزعة الاعتزالية لم تزد الناس في الأندلس إلا تمسكاً بعقيدتهم وجعلتهم يعرفون آراء المعتزلة بعد أن كانوا لا يعلمون عنها شيئاً ونبذها جملة وتفصيلاً.

لهم دعاة بلغوا الصين وخلفها، وبلغوا المغرب الأقصى، وهم أهل الجدل والمناظرة، يثيرون المسائل ويبرهنون عليها، ويحركون العقول للبحث والتفكير[6].

---

(١) الفصل، ابن حزم ٣٠٢/٤.

(٢) أبو الحكم الأندلسي، قاضي الجماعة بقرطبة، ينسب إلى قبيلة يقال لها كزنه، كان فقيهاً محققاً، توفي سنة ٣٥٥هـ، انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٧٣/١٦.

(٣) طرق الجماعة، ابن حرام، ص٤٥.

(٤) الإمام الحافظ البارع الفقيه أبو الوليد بن محمد بن يوسف بن نصر القرطبي ابن الفرضي، مصنف تاريخ الأندلسيين قتل رحمه الله سنة ٤٠٣هـ، انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٧٧/١٧.

(٥) تاريخ ابن الفرضي، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م، ١٣٩/١.

(٦) ضحى الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٠، ص٩١.

المطلب الرابع

الخوارج

يقول الشيخ أبي العباس الدرجيني[1]: أنكروا إمامة عبدالوهاب فسموا النكار ولما أدخلوا بذلك شغباً في الإسلام سموا الشغبية ثم ألحدوا في أسماء الله تعالى فسموا الملحدة وسموا النكات لنكثهم البيعة بغير حدث[2].

قال أبي عبيد البكري: قبائل هوارة ومكناسة هم على رأي الخوارج والأباضية ومن هذا الجيل قام أبويزيد مخلد بن كيراد الزناتي على أبي القاسم بن عبيدالله[3].

يقول الشماخي[4]: ويظهر أن سلمة بن سعد استطاع أن يجذب العديد من الاتباع لمذهبه الأباضي وخاصة بين القبائل البربرية، وقد ساعده على النجاح المستوى الفكري الذي تمتع به عموم الدعاة الأباضية من جملة العلم في هذه الحقبة إضافة إلى الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية السيئة التي كان يعيشها المغرب، وكان متفانياً في سبيل نشر مذهبه وكان يقول: (وددت أن يظهر هذا الأمر يعني مذهب الأباضية بالمغرب يوماً واحداً من غدوة إلى ليل فما أبالي ضربة عنقي)[5].

الأثر الذي تركته:

وخلاصة القول في ذلك أن الخوارج والأباضية بوجه خاص تمكنوا في شمال أفريقية ودخلوا المغرب واستمالوا قبائل البربر في الشمال الإفريقي ودحروا التوجه الشيعي في تلك البلاد.

---

(١) أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي الدرجيني، أبو العباس، مؤرخ مغربي، من مؤلفاته: "طبقات المشايخ"، و"كتاب الجواهر المنتقاة"، توفي سنة ٦٢٦هـ، انظر معجم المؤلفين، كحالة، ١/١٤٠.

(٢) طبقات المشائخ بالمغرب، الشيخ أبي العباس الدرجيني، تحقيق وطبع إبراهيم كلاي ١٩٧٤م، ١/٤٧-٥١.

(٣) المسالك والممالك –المغرب في ذكر بلاد أفريقيا، أب عبيدالبكري، مكتبة المثنى، بغداد، ص١٥٤.

(٤) أحمد بن سعيد بن عيسى الواحد الشماخي في عالم من الأباضية، توفي بقرية من واحة افرن، له كتاب السير، توفي سنة ٩٢٨هـ، انظر معجم المؤلفين ١/١٤٥.

(٥) السير، الشماخي، الجائر، قسطيلية، ط مجرية، عامر بن علي، ص٩٨.

وأنشأوا دولتهم في الجزائر وتسمى الدولة الرستمية ولهم أفكار في إمامة كل من يقودهم ومما لا شك فيه ان أثره قد امتد للأندلس كما قال ابن حزم: (وشاهدت الأباضية عندنا بالأندلس يحرمون طعام آل الكتاب ويحرمون أكل قضيب التيس، والثور، والكبش ويوجبون القضاء على من نام في نهار رمضان--- ويتيممون وهم على الآبار التي يشربون منها إلا قليلاً ---(1).

وقال أبو إسماعيل البطيحي(2): وأصحابه وهم من الخوارج إن لا صلاة واجبة إلا ركعة واحدة بالغداة، وركعة أخرى بالعشي فقط ويرون الحج في جميع شهور السنة، ويحرمون أكل السمك حتى يذبح ولا يرون أخذ الجزية من المجوس، ويكفرون من خطب في الفطر والأضحى(3).

وخلاصة القول قد أسسوا دولة الرستمية سنة مائة وإحدى وستين في الجزائر وتأسست على المذهب الأباضي.

---

(1) الفصل في الأهواء والنحل، لابن حزم، ج3/124.

(2) الفصل، ابن حزم 3/124.

(3) لم أجد له ترقيم،

المطلب الخامس
الأشعرية

قال ابن عذارى[١]: كذلك منهم من اتبع المذهب الأشعري ومن زعماء هذا المذهب أبو الوليد الباجي[٢] الذي ناظر ابن حزم.

قال ابن ماكولا[٣] في حقه: إنه فقيه متكلم أديب شاعر سمع بالعراق ودرس الكلام وصنف إلى أن مات وكان جليلاً رفيع القدر[٤].

ونقل بعضهم أن أبا الوليد لما ورد إلى الأندلس وجد بها ابن حزم الظاهري ولم يكن في الأندلس من يشتغل بعلمه فقصرت السنة فقهائها عن مجادلته واتبعه جماعة على رأية ... ولما وصل أبا الوليد تكلم في ذلك فرحل إليه وناظره وأبطل كلامه[٥].

يقول المقري: قال القاضي عياض: ولما قدم الأندلس وجد لكلام ابن حزم طلاوة إلا أنه كان خارجاً عن المذهب ولم يكن بالأندلس من يشتغل بعلمه فقصرت السنة الفقهاء عن مجادلته وكلامه، واتبعه على رأيه جماعة من آل الجهل وحل بجزيرة ميورقة فرأس فيها واتبعه أهلها فلما قدم أبو الوليد كلموه في ذلك فدخل إليه وناظره وشهر باطله وله معه مجالس كثيرة.

ولما تكلم أبو الوليد في حديث الكتابة الذي في البخاري قال بظاهر لفظه فأنكر عليه الفقيه أبوبكر الصائغ وكفره بإجازة الكتب على الرسول الأمي صلى الله عليه

---

(١) الفصل، ابن حزم ١٢٤/٣.

(٢) سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الأندلسي، القاضي أبو الوليد الباجي، ولد سنة ٤٠٣هـ، وتوفي سنة ٤٧٤هـ، من تصانيفه: "أحكام الفصول في أحكام الأصول"، وغيرها، هدية العارفين، للبغدادي ٣٩٧/١.

(٣) علي بن أبي القاسم الوزير بن هبة الله بن علاء بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلق المعروف به، ولد ماكولا بعكبراً سنة ٤٢٩هن وتوفي قتيلاً بجرجان سنة ٤٨٧هـ، من تصانيفه: "كتاب في علم الحديث"، انظر هدية العارفين، البغدادي ٦٩٩/١.

(٤) فتح الخطيب ٢٧٣/٢.

(٥) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ابن فرحون المالكي ص ٣٨٠.

وسلم وأنه تكذيب للقرآن فتكلم في ذلك من لم يفهم الكلام حتى أثاروا عليه الفتنة وقبحوا عليه عند العامة(١).

وجد ملوك الطوائف في تنافر وتشاكس وقد توزعت الرقعة الأندلسية بين أيديهم واحتدم النزاع بينهم فقد كان الرجل من أفقه الناس وأعرفهم بمقاصد شريعته التي لا ترتقي تشتت الصفوف وأكثرهم إحساساً بالخطر الداهم من قبل الأعداء المغيرين(٢).

فقد كان أبو الوليد مقدم الأشاعرة في الأندلس والمتحدث بلسانهم وبين ابن حزم والأشاعرة ما نعرف من خصومه(٣).

وخلاصة القول أن القاضي أبا الوليد كان قد ناظر ابن حزم عندما كان رأساً في الأندلس فقد دافع ابن الوليد عن مذهب الأشعرية وكان هو المتحدث باسمهم فكفره بعضهم وأنصفه آخرين للأخذ بحديث الكتابة لقولهم بظاهره.

والحق أن أبا الوليد كان من أكابر علماء الأندلس ومتكلمهم فقد أثنى عليه كثيراً من العلماء وله جهود في مختلف العلوم الإسلامية فقهاً وأصولاً.

والأثر الذي تركه:

قيام المناظرات والبحث عن الحقيقة فقد كانت الأندلس مسرحاً لمثل هذه المناظرات وإن كانت لاختلافات ليست جوهرية في نظري مما أدت إلى شقاقات بين أصحاب هذه الفرق في وقت كان أن يجتمع المسلمون صفاً واحداً ويتناسون خلافاتهم المذهبية لاسيما فقد كانوا محاصرين من النصارى الأسبان فتشتت توحيد كلمتهم وصاروا كغثاء السيل.

---

(١) نفح الطيب، المقري ٢٧٣/٢، انظر طبقات المفسرين الداودي، تحقيق علي محمد عمر مركز تحقيق التراث بدار الكتب، الناشر مكتبة وهبة، مطبعة الاستقلال العربي، ١٩٧٢م، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٢) فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام، القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، تحقيق وتقديم محمد أبو الأجفان، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥م، ص٤٥، ثم أنظر ترتيب المدارك، القاضي عياض ٨٠٥/٣.

(٣) ابن حزم صورة أندلسية، د. طه الحاجزي، دار الفكر العربي، ص١٩٧.

المطلب السادس
الفلاسفة

يقول ابن صاعد: أما الأندلس فكان فيها أيضاً بعد تغلب بن أميه عليها جماعة عنيت بطلب الفلسفة ونالت أجزاء كثيرة منها وكانت الأندلس قبل ذلك في الزمان القديم خالية من العلم.

إلى أن افتتحها المسلمون في شهر رمضان سنة اثنين وتسعين من الهجرة فدامت على ذلك أيضاً لا يعني أهلها بشيء من العلوم إلا بعلوم اللغة والشريعة إلا أن توطد الملك لبني أمية بعد عهد أهلها بالفتنة فتحرك ذوي الهمم منهم لطلب العلوم وتنبهوا لإشارة الحقائق(١).

وكان الفقيه أبو محمد وزيراً لعبدالرحمن المستظهر بن هشام بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر لدين الله أقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن فعنى بعلم المنطق وألف فيه كتاباً سماه التقريب لحدود المنطق.. وخالف أرسطو طاليس واضع هذا العلم في بعض أصوله مخالفة من لم يفهم غرضه(٢).

ومنهم أبوالحسن علي بن إسماعيل بن سيده(٣) الأعمى، وكان أبوه أيضاً أعمى عنى بعلوم المنطق عناية كبيرة وألف فيه تأليفاً كبيراً(٤).

(ولما ولد أبوبكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجه في سرقسطة قرب نهاية القرن الخامس الهجري كانت مملكة الأندلس الزاهرة على وشك الإنحلال إلى دويلات صغيرة كان يهددها من الشمال فرسان النصارى الذين كانوا أقل من العرب ثقافة.

غير أن أسرة المرابطين البربرية جاءت لإنقاذ البلاد ولم يكن المرابطون أكثر تمسكاً بالدين فحسب بل أكثر حنكة وأحذق أيضاً بأساليب السياسة فلم يكن يجرؤ

---

(١) طبقات الأمم، ابن صاعد، ص٦٢.

(٢) نفس السابق، ص٧٦.

(٣) وفيات الأعيان، ابن خلكان ٢٨٩/٣.

(٤) طبات الأمم، ابن صاعد، ص٧٧.

على الظهور إلا آل الحديث المتشددون، أما الفلاسفة فقد كانوا عرضة للاضطهاد والقتل إن جاهروا بآرائهم فنجد أبابكر بن إبراهيم صهر علي الأمير المرابط كان حاكماً لسرقسطة فترة من الزمان يتخذ ابن باجة جليساً له ووزيراً مما أوغر صدور العساكر والفقهاء، وكان ابن باجة حاذقاً للعلوم الرياضية ولاسيما الفلك والموسيقى والطب أيضاً نظراً وعملاً وقد اشتغل بالمنطق والفلسفة الطبيعية وما بعد الطبيعة[1].

وكان يطبق لفظ زنديق على كل من تسامع الناس باشتغاله بالتعليم أو قراءة الفلسفة وربما تجاوز هذا الأمر إلى ما هو أسوأ منه (فان زل في شبهة رجمه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره إلى السلطان أو يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة وكثيراً ما يأمر بإحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت)[2].

أفكار ابن باجة:

اقترح ما يسمى بالفكر الموحد هو أن تعيش طائفة صغيرة من المفكرين وحدهم كأنهم دولة داخل الدولة كأنهم نموذج للجماعة كما يجب أن تكون في رأيه أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى قمة المعرفة بالتقدم الطبيعي الذي يبدأ بالتجارب الحسية ونفس الإنسان عنده يمكن أن تخلد بناء على توفر خصال لها أو عقل الإنسانية كلها – بسبب إتحاده بالعقل الفعال وهو الله[3].

يقول الشهرستاني[4]: العقل يقال على كل مجرد عن المادة فإن كان مجرداً بذاته عن المادة بنحو عقل لذاته وواجب الوجود مجرد بذاته عن المادة فهو عقل لذاته، فعندهم واجب الوجود متغير الذات بل واجب الوجود إنما يعقل كل شيء على

---

(١) تاريخ الفلسفة في الإسلام، ت. ج. دي بور جابق أمستردام، نقله للعربية، د. عمر عبدالهادي، بيروت، دار النهضة العربية، ص٣٧٤-٣٧٥.

(٢) نفح الطيب، المقري، ١/٢٥٥.

(٣) طبقات الأمم، ابن صاعد، ص١٠٢-١٠٣.

(٤) دراسات في الحضارة الإسلامية، الفكر الإسلامي في متابعة آثاره، ترجمة وعلق عليه د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٦٦م، ص١٢٥.

نحو فعل كلي ومع ذلك فلا يعزب عنه شيء قال تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1][2].

وكذلك من الفلاسفة ابن السيد فيلسوف بطلبورج اكتشف معاصر لابن باجه بعد أن ظل يعتبر في عداد النحويين زمناً طويلاً.

قضى حياته في تلك الفترة الحرجة الواقعة بين حكم صغار الدويلات المحلية وغزو المرابطين[3].

ومنهم كذلك ابن مسرة هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مسرة، قرطبي ولد سنة مائتين وتسعة وستين وتتلمذ على أبيه ومحمد بن وضاح الخشني في أوائل أيام عبدالرحمن الناصر إلى سنة ثلاثمائة وواحد، خرج إلى المشرق فاراً بنفسه لأنه اتهم بالزندقة ودخل القيروان.. إلى أن قال: وكان يصحبه في رحلته هذه إلى الحج اثنين من معتقدي مذهبه هما محمد بن حزم التنوخي من أهل طليطلة ويعرف بابن المديني[4]، وأحمد بن غانم وكان أسن من ابن مسرة، وحج معه مرتين ويروى أنه اشتغل بالمغرب بملاقاة آل الجدل وأصحاب الكلام والمعتزلة ثم انصرف إلى الأندلس فاختلف إليه الناس.. انقسموا حياله فريقين فرآه فريق أمامه في زهده وعلمه، وفريق غلب عليه وصف مذهبه بالقبح وسوء المعتقد[5].

يقول ابن الفرضي في شأنه: كان يجمع بين مبادئ المتصوفة وبين بعض أصول الاعتزال التي كان يقول بها في قوله بالاستطاعة والوعد والوعيد ورؤية الله[6].

ويقول ابن حزم: إن ابن مسرة شارك المعتزلة في القول بالقدر وكان يقول: إن علم الله وقدرته صنفان محدثتان مخلوقتان وإن لله تعالى علمين أحدهما أحدثه جملة

---

(١) سورة سبأ، الآية (٣).

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني ٢/١٧١-١٧٢.

(٣) تاريخ الفلسفة الإسلامية، هنري كوبان، مع السيد نصر، ترجمة نصير مردة، وآخرون، شذرات عويدان، بيروت، باريس، ط٢، ١٩٧٧م، ص٣٤٩-٣٥٠.

(٤) التكملة، ابن الأبار ١/١٩٩.

(٥) ابن الفرضي، ص٢١٧.

(٦) ابن الفرضي، ص٢١٨.

وهو علم الكتاب وهو علم الغيب كعلمه سيكون كفار، ومؤمنون بالقيامة والجزاء، والثاني علم الجزئيات وهو علم الشهادة وهو كفر زيد وإيمان عمر ونحو ذلك فإنه لا يعلم الله تعالى من ذلك شيئاً حتى يكون[١].

أما المبادئ الباطنية فإنه بناها على آراء لانبزوقليس وليست له إنما هي بعض آراء فيلون الإسكندري إفلوطين وهذه الآراء المنسوبة لانبزوقليس هي الجمع بين معاني صفات الله أنها كلها تؤدي إلى شيء واحد.

وقد يستنتج بما جاء في كتب ابن مسرة أن النبوة اكتساب وإنه الاختصاص وقد يحرزها من بلغ الغاية في الصلاح وطهارة النفس إلا أنه أنكر بعض أصحابه نسبة هذا القول له[٢].

الأثر الذي تركته الفلاسفة:

وخلاصة القول أن الأندلس كانت خالية من هذا العلم إلا أن فتحها المسلمون وجاءت دولة بني أمية فانتشرت هذه العلوم وازدهرت وقلصت في العهد المرابطي إلا ما ظهر من ابن باجه الذي حظي بكثير من الرعاية فقد أوضح اعتماده على العقل ضمن الأمور الشرعية وغيرها، وسعى لسعادة النفس البشرية وطريقة الترقي إلى أن تتحد بواجب الوجود وهو قول منكر في الإسلام ومن وحدة الوجود وهو عين الكفر والضلال وكذلك ظهر ابن مسرة فقد كان باطنياً صوفياً معتزلياً وفيلسوفاً، فقد كان يطلق على كل من تكلم بعلم الفلسفة بأنه زنديق لذلك كانت أفكارهم في خفية تامة ومعرضون للطرد والتعذيب في أي وقت كان، ولم يكن لهم أثراً واضحاً على الحياة في الأندلس فيما ظهر لي.

---

(١) الفصل، ابن حزم ١٩٨/٤.

(٢) المرجع السابق، ١٩٩/٤.

المطلب السابع

الصوفية:

التصوف: هو العلم بتجريد القلب لله وخلوه مما سواه بمعنى تقتضيه النفس من عبوديتها والقيام بالورع ي الدين بترك ما يريب إلى ما يريب مع الإكثار من العبادات (١) غير أن التصوف الأندلسي تعرض لنكسة جديدة عندما دخل المرابطون الأندلس فقد عرف عن دولتهم استنادها إلى الفقهاء الذين ظلوا على تشددهم وتنديدهم بكل ما اعتبروه خارجاً على ظاهر الشريعة، وكان من أجلى مظاهر ذلك الموقف هو ما أمر به علي بن يوسف من إحراق كتب الأحياء للإمام الغزالي في سنة خمسمائة وثلاث(٢).

مما ينبغي الإشارة إليه في هذا السياق تأثر الفكر الأندلسي الإسلامي بالمدرسة الأفلاطونية التي تغلغل تأثيرها في عدد من كبار المفكرين من فلاسفة وصوفية في المشرق والمغرب، كانت الأندلس قد نالت حظها من التأثير بالأفلاطونية المحدثة منذ القرن الرابع الهجري على يد الحركة الفكرية التي أنشأها محمد بن مسرة القرطبي سنة ثلاثمائة وثمانية عشر وهو أول مفكر أصيل وعميق النظر ظهر في الأندلس(٣).

ثم ظهر أبو العباس بن العريف (أحمد بن محمد بن موسى بن عطاالله الصنهاجي الأندلسي وكان من كبار الصالحين والأولياء المتورعين وله المناقب المشهورة، توفي سنة خمسمائة وست وثلاثين وله كرامات)(٤).

---

(١). انظر الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، الفاسي، تعليق شعيب الأرناؤوطي، المدينة المنورة، ١٩٧٧م، ص٥١.

(٢) التراث الحضاري المعتزلي بين إسبانيا والمغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الندوات، غرناطة، ١٩٩٢م، ص١٦١.

(٣) نفس المرجع السابق، ص١٩٤-١٩٥.

(٤) فوات الوفيات، محمد بن شاكر أحمد الكتبي ٢/٤٧٨-٤٧٩.

ويقول ابن الأبار: وظهرت بالأندلس في العصر المرابطي حركة دينية خاصة اتخذت طابع التصوف وهي التي أسفرت عن قيام طائفة المريدين في غربي الأندلس، وكان إمام هذه المدرسة العلامة الصوفي أبو العباس بن العريف من آل المدينة، ولد سنة أربعمائة وواحد وثمانين، درس علوم القرآن والسيرة وغلب عليه الزهد والورع(١).

كما ظهر في شرقي الأندلس أحمد بن محمد بن سفيان المخزومي.. ومال إلى التصوف والزهد ذلك أواخر سنة خمسمائة وستة وستين(٢).

مما يجدر الإشارة به أن هؤلاء المتصوفة قد مهدوا بظهور ابن عربي.

يقول كوان في ترجمته: كان ظاهري المذهب في العبادات باطني النظر في الاعتقادات ثم حج ولم يرجع إلى بلده، روى عن السلفي للإجازة وبرع في علم التصوف، توفي سنة ثمان وثلاثين وستمائة(٣).

يرى ابن عربي أن الكرامة والمعجزة تتفقان في طريق إحداثهما ذلك أن النفس الطبيعية الإنسانية توجد موهبة أو ملكه يسمها الصوفية باسم الهمة والصدق وهذه الملكة حتى في الناس العاديين في الحياة الجارية تحدث ظواهر لا يرى أحد أنها مضادة للطبيعة لكنها مع ذلك تشبه العجائب(٤).

الفناء شأنه شأن كل الكرامات ليس ثمرة ضرورية ونتيجة لأزمة عن المراد الشخصي بل يؤكد ابن العربي مراراً أن كل الظواهر الطبيعية والانفعالية التي تصحب أو تسبق الفناء تتميز بالمفاجأة في الظهور وهذا دليل على أن النفس ليس لها دور في نشأته بل هو فضل وموهبة من الله.. والفناء يمكن أن يقع للصوفية غير الكمل كما يقع للكمل وهم الواصلون إلى الاتحاد بالله(٥).

---

(١) الحلة السيراء، ابن الأبار ١٩٩/٢.

(٢) نفس المرجع السابق ٤٦٧/٢.

(٣) فوات الوفيات، الكتبي ٤٧٨/٢-٤٧٩.

(٤) ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمة عن الإسبانية عبدالرحمن بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١٩٦٥م، ص١٩٦.

(٥) الفتوحات المكية، السفر الثالث، محي الدين بن عربي، تحقيق د. عثمان يحيى، مراجعة د. إبراهيم مدكور، القاهرة، ١٩٧٤م، ٦٠٥/٢- ٧٠٦-٧٠٧.

نزول ربنا إلى السماء الدنيا:

سئل النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له صلى الله عليه وسلم: (أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ فقال: كان في العماء ما فوقه هواء وما تحته هواء) فاسم كان المضمر هو ربنا، وقال: (ينزل ربنا إلى السماء) فيدلك هذا على أن نزوله إلى السماء الدنيا من ذلك العماء (العماء الغيبي) كما كان استوائه على العرش من ذلك العماء فنسبته إلى السماء الدنيا كنسبته إلى العرش لا فرق[1].

وأنثال على صعيد عصر عدد كبير من أولياء المغرب والأندلس.. على أن أهم الطرق الصوفية الوافدة هي طريقة الإمام أبي الحسن الشاذلي الذي ولد في إحدى قرى الريف في شمال المغرب ووفد إلى مصر ومعه جملة من مريديه فاستوطنوا الإسكندرية سنة ستمائة واثنين وأربعين[2].

يقول ابن تيمية: فإن تسوية العبد بين جميع الحوادث ممتنع لذاته بل للعبد من أن يفرق، فإن لم يفرق بالفرق الشرعي، فيفرق بين محبوب الحق ومكروهه، وبين ما يرضاه وما يسخطه، إلا فرق الفرق الطبيعي يهواه وشيطانه ومن وقع منهم خلق كثير في المعاصي، وآخرون في الفسوق وآخرون في الكفر حتى جوزوا عبادة الأصنام[3].

ثم كثير منهم ينتقل إلى وحدة الوجود وهم الذين خالفوا الجنيد[4]، وأئمة الدين في التوحيد فلم يفرقوا بين القديم والمحدث وهؤلاء صرحوا بعبادة كل موجود وهو قول آل وحدة الوجود كابن العربي، وابن سبعين[5] وغيرهم[6].

---

(١) الفتوحات المكية، نفس المرجع السابق، ص٣٢٣-٣٢٤.

(٢) التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب، ص١٦٣.

(٣) شذرات البلاتين، ابن تيمية، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٤) متصوف من الكبار، ولد في نهوند وأقام حياته كلها في العراق في بغداد حيث توفى سنة ٩٠٩م، أخذ العلوم الفقهية عن سفيان الثوري، والعلوم الصوية عن خاله السري السقطي، حج ثلاثين حجة إلى مكة ماشياً على الأقدام، يعرف بسيد الطريقة الجنيدية، انظر معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ط٣. ص ----

(٥) محمد بن عبدالحق بن سبعين المقلب بالأشبيلي، ولد سنة ٦١٤هـ، مات في مكة منتحراً بقطع شريان يده عن رغبة منه في الإتحاد بالله كما قيل كان آخر فلاسفة الأندلس له مدرسة شخصية إشراقية، انظر معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص٢٥.

(٦) شذرات البلاتين، ص٢٨٧.

وقال بعضهم: إن الولي يعطي قول كن. وقال بعضهم: إنه لا يمنع عن الولي فعل ممكن كما لا يمتنع على الله فعل محال، وهذا اله ابن عربي والذين اتبعوه.. وقال ابن عربي: إن الولي لا يعزب عن قدرته شئ من الممكنات والذي لا يعزب عن قدرته شيء من الممكنات هو الله وحده[1].

الأثر الذي تركته:

خلاصة القول إن الصوفية سواء كانت في الأندلس أم في غيرها قد أصابها كثر من الانحراف وهي التي أيدت سقوط المرابطين في الأندلس لأنها كانت قائمة على الكتاب والسنة وعقيدة الإمام مالك رحمه الله فأخذت ابن العربي كنموذجاً لأفكار الطرق الصوفية في ذلك الوقت لأنه تأثر بابن مسرة في نظري وهو القائل بوحدة الوجود التي تبيح عبادة كل موجود وتؤدي إلى الاتحاد بالله كما يزعمون.

وهو قول كفر أعاذنا الله من ذلك وعندهم الولي وغيره يعطي الكرامة والمعجزة وإن كان غير مستقيم على الكتاب والسنة وقد جوزوا لهم كثير من قوادهم الوقوع في المعاصي.

لأن عندهم الولي متحد بالله تعالى وله صفات الباري جل وعلا وهكذا قد كان الصوفية في الأندلس تتمنى وتساعد على زوال حكم المرابطين، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[2].

وقد هاجرت إلى الأندلس كتب الفارابي وديوان المتنبي ومقامات الحريري ورسائل البديع والخوارزمي[3].

وخلاصة القول في ذلك أن الفلاسفة التي امتزجت بالصوفية إلي فارقت طريقة الجنيد رحمه الله قد عجلت وساعدت على نهاية دولة المرابطين بعد أن كان مختفين لأفكارهم ومعتقداتهم خوفاً من سطوة السلطان.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٢٩٤.

(٢) صحيح مسلم، للإمام مسلم، تحقيق محمد، عبدالباقي، كتاب الأقضية، ١٧، ١٣٤٣/٢، حديث رقم ١٧١٨.

(٣) الذيل والتكملة، ص٧١.

الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه ورعايته فقد تيسر لي جمع مادة هذا البحث الذي أحسب أني أول طارق له، فقد كانت هذه الأولية تخالجني وما يأتي لا أستطيع خوف غمار هذا الموضوع ولكن عندما بدأت فيه سرعان ما تلاشت هذه النظرة، ووجدت نفسي في وسط مصادر موثوق بها في تاريخ الأندلس والمغرب فشرعت في جميع هذه المعلومات من هذه المصادر ومما زادني دراية فقد كانت بحثي لنيل الماجستير عن جهود ابن عطية في العقيدة ومعلوم أن ابن عطية من علماء الأندلس، فجاءت الفكر أن أختار موضوع دراستي لنيل الدكتوراه في الأندلس بعنوان المذاهب العقدية في الأندلس في القرن الخامس الهجري وجاء هذا البحث من جانب لكل باب قسمته إلى فصول، وقسمت الفصول إلى مباحث ومطالب ومسائل وقد خلصت في نهاية هذا البحث إلى نتائج وتوصيات كان من أبرزها.

أولاً النتائج:

١- أن المذهب الذي كان سائداً في الأندلس هو مذهب الإمام الأوزاعي إلى أن رحل طلبتها إلى الحجاز وعادوا بمذهب مالك.

٢- أن الأندلس قد عرفت من الناحية العقائد فرق مختلفة كالكرامية والمرجئة والمعتزلة والمعطلة والشيعة والخوراج.

٣- أن ما كتبه ابن حزم المتوفى ٤٥٦هـ في كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل وكفيل بإبراز الصورة التي كانت عليها الأندلس في ذلك الحين.

٤- أن المرابطون الين كان في هذه الحقبة الزمنية على مذهب السلف وقد وصفهم المهدي بن تومرت بالتجسيم لمنعهم التأويل.

٥- ظهرت المالكية في المغرب وغلب انتشارها في عهد الأدراسة كمان للمرابطين الفضل في الحفاظ على العمل بهذا المذهب.

التوصيات:

١- يوصي الباحث دراسة العقيدة في الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة.

٢- ويوصي كذلك دراسة العهود السبعة التي أشرت إليها في مقدمة هذا البحث منذ عهد الولاة وحتى سقوط الأندلس في عهد غرناطة دراسة تاريخية وعقائدية وفقهية.

٣- لمعرفة الحالة الدينية في الأندلس معرفة صحيحة وكاملة في هذه الفترة التاريخية يوصي الباحث دراسة هذه الفترة في المغرب وذلك لأن المرابطين قد انتقلوا من المغرب إلى الأندلس.

الفهـــــارس

فهرس الآيات القرآنية المفسرة

م	الآيـــة	رقم الآية	الصفحة
	(٢- سورة البقرة)		
١	﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾	١٠٢-١٠٢	٢٠٢
٢	﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾	١٢٠	١١٣
٣	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾	٢٠٧	١٤٠
٤	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾	٢١٠	١٧٦
٥	﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾	٢٤٧	١٠١
	(٣- سورة آل عمران)		
١	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾	٣١	١٠٧
٢	﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾	١٠٣	٦٣
٣	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾	١١٠	٦٣
٤	﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) ﴾	١٧٤-١٧٣	١٠١
٥	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾	٢٠٠	١٠٣
	(٥- سورة المائدة)		
١	﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾	٦٤	١٩٥
٢	﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾	٦٧	١٤٦

م	الآيـــة	رقم الآية	الصفحة
	(٦- سورة الأنعام)		
١	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾	٨٢	١٢٤
٢	﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾	١١٦	١٥٠
٣	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾	١٦٣-١٦٢	١٠٢
	(٧- سورة الأعراف)		
١	﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	١٢٨	٥٢
٢	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾	١٧٣-١٧٢	١٩٣
	(٨- سورة الأنفال)		
١	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٥٣	١٢٦
٢	﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾	٦٠	١٠٣
	(٩- سورة التوبة)		
١	﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ ﴾	١١٣	٢٠٣
٢	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾	١٢٨	١٧٣
	(١١-سورة هود)		
١	﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾	٤٦	٢٠٣

م	الآيــــة	رقم الآية	الصفحة
	(١٦-سورة النحل)		
	﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	٤٠	١٩٨
	(١٧- سورة الإسراء)		
	﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾	٤	١٦٨
	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾	٢٣	١٦٨
	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾	٣٦	١٩٤
	(٢٠- سورة طه)		
	﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾	٥	١٦٦، ١٨٤، ١٩٩
	﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾	١١-١٢	١٩٨
	﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾	١٤	١٩٨
	﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾	٣٩	١٦٧
	(٢١- سورة الأنبياء)		
١	﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا ﴾	١٠	١٢٥
	(٢٢- سورة الحج)		
	﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾	٤٠-٤١	١٢٤

م	الآيـــة	رقم الآية	الصفحة
	(٢٣-سورة المؤمنون)		
	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾	٨	١٠٢
	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾	١١٥	١٦٩
	(٢٤- سورة النور)		
	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾	٥٥	١٢٤
	﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	٦٣	١٢٥
	(٢٧- سورة النمل)		
	﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾	٥٧	١٦٨
	(٢٨-سورة القصص)		
	﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾	٥-٦	١٢٤
	﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	٦٨	١٤٩
	(٣٠- سورة الروم)		
١	﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٤٧	٩٥
	(٣٢- سورة السجدة)		
١	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾	١٣	٢١٢
	(٣٤-سورة سبأ)		
	﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾	٣	٢٢٢
	(٣٨-سورة ص)		
	﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾	٢٩	١٠٤
	﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾	٧٥	١٦٧، ١٨٣، ١٨٤
	﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾	٧٦	١٨٥

م	الآيـــة	رقم الآية	الصفحة
	(٣٩-سورة الزمر)		
	﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾	٧	١٩٥
	﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾	٥٦	١٨٤، ٢٠٠
	(٤٠- سورة غافر)		
	﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾	١١	١٤٩
	(٤١- سورة فصلت)		
	﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾	١٢	١٦٧
	﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾	٤٢	١٠٤
	(٤٢- سورة الشورى)		
	﴿ ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾	٢٣	١٤٨
	﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾	٥١	١٥٩
	(٤٧- سورة محمد)		
١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾	٧	٩٥
	(٤٨- سورة الفتح)		
	﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾	١٨	١٤٦
	(٥٢- سورة الطور)		
	﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾	٣٥	١٩٣
	(٥٤- سورة القمر)		
	﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾	١٤	٢٠٠
	(٥٥- سورة الرحمن)		
	﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾	٢٧	١٨٣، ١٩٧

م	الآيــــة	رقم الآية	الصفحة
	(٥٧- سورة الحديد)		
	﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	٣	١٩٨
	(٥٨- سورة المجادلة)		
	﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾	٢٢	٦٤
	(٥٩- سورة الحشر)		
	﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	١٠	٤٠، ٧١، ٨٧
	(٨٩- سورة الفجر)		
	﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾	٢٢	١٩٦

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الأعلام

الرقم	العلم	الصفحة
٢٢.	الحميري : محمد بن محمد بن عبدالله	١٠
٢٣.	ابن حوقل : محمد بن على بن حوقلي ت ٣٦٧هـ	٤، ١١
٢٤.	ابن الخطيب : محمد بن عبدالله بتن سعيد ٧١٣-٧٧٦هـ	٥٧، ٦٢، ٨٤، ١٢٢
٢٥.	ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد بن خلدون ت ٨٠٨هـ	٧، ٣٢، ٤٤، ٧٤، ٧٦، ٨١، ٨٢، ٩١، ١٠٥
٢٦.	ابن خلكان : محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن خلكان	٧٤، ٧٥
٢٧.	الدارقطني : على بن عمر ٣٠٦-٣٨٥هـ	٩٨
٢٨.	الدرجيني : أحمد بن سعيد بن سليمان ت٦٢٦هـ	٢١٦
٢٩.	الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان ٦٧٣-٧٤٨هـ	٩٩
٣٠.	الرازي : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين ت ٦٦٠هـ	١٤٢، ١٨٥
٣١.	زيد بن علي بن الحسين	١٥٢
٣٢.	ابن سبعين: محمداً بن عبدالحق ٦١٤-٦٦٩هـ	٢٠١، ٢٢٦
٣٣.	أبوسعيد الخدري : سعد، بن مالك بن سنان ت ٦٤هـ	١٠٢
٣٤.	السلاوي : أحمد، بن خالد الناصري ١٨٣٥-١٨٧٩م	٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٨٢، ٩١، ٩٧، ١٠٧
٣٥.	سليمان بن جرير	١٥٥
٣٦.	السمح بن مالك الخولاني	٤٦
٣٧.	سهل بن سعد بن مالك الساعدي ت ٩١هـ	١٠٣
٣٨.	الشريف، الإدريسي	١٤

فهرس الأماكن والبلدان

الرقم	المكان أو البلد	الصفحة
٢٤.	جبل درن	١٠٤
٢٥.	حمص	٣٩
٢٦.	درعة	٩٤
٢٧.	دمشق	٣٩
٢٨.	روده	١٠٤
٢٩.	رومية	٤
٣٠.	زويلة	٥
٣١.	سبته	٤ ، ٩، ١٢، ٨١
٣٢.	سبو	١٥
٣٣.	سرقسطة	٦٥
٣٤.	سلا	٨٤
٣٥.	سلجماسه	٩٣
٣٦.	السويس	٥
٣٧.	شذونه	٨٢
٣٨.	شفشاوه	١٠٤
٣٩.	صقلية	١١، ٩٩
٤٠.	طليطلة	٢٥، ٤٦، ١١٥
٤١.	طنجة	٤، ٥، ١٥، ١٠٨، ٨١
٤٢.	العريش	٦
٤٣.	العمرية	١٠
٤٤.	غانة	٩١
٤٥.	غرناطة	١٠
٤٦.	فاس	١٤، ١٠٨
٤٧.	قرطبة	١٠

فهرس الفرق والمذاهب

فهرس القبائل والأمم

المصادر والمراجع

الرقم	المصدر
١.	آثار البلاد وأخبار العباد – زكريا بن محمد بن محمود القزويني – بيروت دار صادر للطباعة والنشر
٢.	آيات المبرزين – لابن سعيد الأندلسي – طبعة القاهرة ١٩٧٣م
٣.	ابن حزم صورة أندلسية – د.طه الحاجره – دار الفكر العربي
٤.	اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء – تقي الدين أحمد بن عبدالقادر المقريزي – تحقيق جمال الدين الشيال – القاهرة دار الفكر العربي ١٩٤٨م
٥.	الاحاطة في أخبار غرناطه – لسان الدين بن الخطيب – تحقيق محمد عبدالله عنان– دار المعارف بمصر.
٦.	أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم – المقدسي البشاري محمد بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالبشاري ط٢– مدينة ليون ١٩٠٩م
٧.	أخبار مجموعة في فتح الأندلس لمؤلف مجهول – مكتبة المثنى ببغداد ١٨٦٧م
٨.	الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني– تحقيق محمد يوسف موسى – الناشر مكتبة الخانجي مصر– ١٩٥٠م.
٩.	أساس التقديس في علم الكلام – للرازي (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين) مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة
١٠.	الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول نشر د.سعد زغلول – مطبوعات جامعة الإسكندرية – ١٩٥٨م.
١١.	الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى (الدولة المرابطية والموحدية) للناصري – دار الكتاب الدار البيضاء – ١٩٥٤م.
١٢.	الإسلام في المغرب الأندلس – ليفي بروفنسال – راجعه لطفي عبدالبديع – القاهرة ١٩٥٦م
١٣.	الإسلام في المغرب والأندلس – ليفي بروفنسال – ترجمة د.السيد عبدالعزيز سالم راجعه لطفي عبدالبديع– الإسكندرية– ١٩٩٠م .

الرقم	المصدر
١٤.	أسماء الله الحسنى للرازي ، القاهرة ، ط ١٩٧٦م.
١٥.	الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ط١- بيروت ١٩٨٨م
١٦.	اعتقادات فرقه المسلمين والمشركين للرازي فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين- طبعة القاهرة - ١٩٧٨م.
١٧.	الإعلامي – خير الدين الزركلي د١٦ بيروت دار العلم للملايين ٢٠٠٥م
١٨.	أفريقيا الإسلامية د.يسري الجوهري – دار المعارف مصر ١٩٨٠م
١٩.	الإمامة والسياسة (أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري ت ٢٧٥هـ تحقيق طه محمد الزيني – مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر القاهرة
٢٠.	انباه الرواة على ابناه النحاة – للوزير جمال الدين على بن يوسف القفطي تحقيقي محمد أبوالفضل إبراهيم ط١- القاهرة مطبعة دارة الكتب المصرية- ١٩٥٢م .
٢١.	الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الخلفاء – لابن عبدالبر القرطبي المتوفى ٤٦٣هـ- القاهرة – مكتبة القدسي – ١٣٥٠هـ.
٢٢.	الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري : محمد بن إبراهيم عبدالجليل ط١ الرياض ١٤١٦هـ
٢٣.	الأندلس دراسة تاريخية حضارية د. محمد كمال شبانة- ط١ – دار العالم العربي ٢٠٠٨م
٢٤.	الأنساب للسمعاني – تحقيق محمد عبدالقادر عطا- ط١- دار الكتب العلمية – ١٩٩٨م.
٢٥.	البدء والتاريخ للمقدسي ط١ مطبعة المثنى ببغداد ١٨٩٩م
٢٦.	البداية والنهاية إسماعيل بن عمر بن كثير المتوفي ٧٧٤هـ ط٢ بيروت مكتبة المعارف ١٤١١هـ – ١٩٩١م
٢٧.	البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عزارى المراكشي تحقيق ج س – كولان، ليفي بروفسال دار الثقافة بيروت ، ط١ ٢٠٠٠م
٢٨.	تاريخ أسبانيا الإسلامية لابن الخطيب ط٢ دار الكشوف بيروت ١٩٥٦م
٢٩.	تاريخ الإسلام الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ- مطبعة عيسى البابي الحلبي- القاهرة- ط٢ – ١٩٧٧م.

الرقم	المصدر
٣٠.	تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي – حسن إبراهيم حسن ودار الجيل بيروت – مكتبة النهضة المصرية
٣١.	التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – أحمد شلبي ط٢ – مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦م
٣٢.	تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية القرطبي (محمد بن عمر بن عبدالعزيز ت٣٦٧هـ ق م له أنيس الطباع دار النشر للجامعيين .
٣٣.	تاريخ الأندلس لابن الفرضي– الدار المصرية للتأليف والترجمة– ١٩٦٦م.
٣٤.	التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة – د.عبدالرحمن على الحجي ط١ دمشق – دار القلم
٣٥.	تاريخ أوربا في العصور الوسطى تأليف هـ_ أ – ل، ط٢ دار المعارف
٣٦.	تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط الجزء الأول البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس د.السيد عبدالعزيز سالم ط١ مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٣م
٣٧.	تاريخ بغداد ومدينة السلام – أبوبكر أحمد بن على الخطيب البغدادي– تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا– ط١– بيروت– دار الكتب العلمية– ١٩٩٧م.
٣٨.	تاريخ التمدن الإسلامي جرجي زيدان تحقيق حسين مؤنس دار الهلال ١٩٥٨م
٣٩.	تاريخ حضارة الإسلام والأندلس – د. السيد عبدالعزيز سالم الإسكندرية ١٩٨٥م
٤٠.	تاريخ الخلفاء – للسيوطي جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ
٤١.	تاريخ دمشق الكبير – أبوالقاسم هبة الله بن عساكر– ط١– دار إحياء التراث العربي – يروت– ٢٠٠١م.
٤٢.	تاريخه الطبري لأبوجعفر محمد بن جرير الطبري القاهرة دار لالمعارف ١٩٦٦م
٤٣.	تاريخ لدولة العربية – فلهوزن ترجمة عبدالهادي أبوريده
٤٤.	تاريخ العرب مطول – فيليب حتى بيروت دار الكشوف ١٩٦٥م
٤٥.	تاريخ الفرق الإسلامية السياسي الخوارج والمرجئة محمد إبراهيم الفيومي – ط١ دار

الرقم	المصدر
	الفكر العربي – القاهرة – ٢٠٠٣م
٤٦.	تاريخ علماء الأندلس لابن الفرض – الدار المصرية للأليف القاهرة ١٩٦٦م
٤٧.	تاريخ الفتح العربي في ليبيا – الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي دار المعارف القاهرة ١٩٦٩م .
٤٨.	تاريخ الفكر الديني الجاهلي – محمد إبراهيم الفيومي ط١ دار الفكر العربي القاهرة ٢٠٠٣م
٤٩.	تاريخ الفلسفة في الإسلام ت- ج- دي يور نقله إلى العربية محمد عبدالهادي أبوريده – بيروت دار النهضة العربية
٥٠.	تاريخ الفلسفة الإسلامية – هنري كوبان ط٢ ١٩٧٧م
٥١.	تاريخ مسلمي أسبانيا دوزي ترجمة حسن حبشي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر القاهرة دار المعارف ١٩٦٣م
٥٢.	تاريخ المغرب والأندلس د.نبيلة حسن محمد ط١ دار المعرفة الجامعية – السويس ٢٠٠٤م
٥٣.	تاريخ المغرب في العصور الوسطى من كتاب أعلام الأعلام للوزير الغرناطي لسان الدين بن الخطيب تحقيق أحمد مختار العبادي – دار الكتاب الدار البيضاء ١٩٦٤م
٥٤.	تاريخ المغرب والأندلس – د.عبدالحميد العبادي دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٨م
٥٥.	تاريخ اليعقوبي – أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح بيروت دار صادر للطباعة والنشر ١٩٦٠م
٥٦.	التبصير في الدين – أبوإسحاق الأسفرايني – تحقيق محمد زاهد الكوثري- القاهرة- مكتب نشر الثقافة الإسلامية- مطبعة الأنوار – ١٣٥٩هـ-١٩٤٠م.
٥٧.	التراث الحضاري المشترك بين أسبانيا والمغرب- غرناطة ١٧-١٩ شوال- ١٤١٢هـ-٢١-٢٣ إبريل ١٩٩٢م- مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

الرقم	المصدر
٥٨.	التراث اليوناني والحضارة الإسلامية لكبار المستشرقين ترجمة عن الألمانية عبدالرحمن بدوي ط٣ – دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٥م
٥٩.	التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات الأردن – مؤسسة آل البيت ١٩٨٩م
٦٠.	ترتيب المدارك إلى مذهب مالك للقاضي عياض بن موسى بن عياض بن غنم- تحقيق أحمد بكير محمود- دار مكتبة الحياة – بيروت – ١٩٦٧م.
٦١.	التكملة لكتاب الصلة – لابن الآبار – صححه السيد عزت العطار الحسيني – ط١٩٥٦م.
٦٢.	التمهيد – أبوبكر أحمد بن الطيب الباقلاني- المكتبة الشرقية- بيروت- ١٩٥٧م.
٦٣.	تهذيب التهذيب – أحمد بن على بن حجر العسقلاني المتوفي ٨٥٢هـ ط١ القاهرة دار الكتاب الإسلامي ١٩٩٣م
٦٤.	جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر القرطبي – دار قريب القاهرة- ١٩٧٥م.
٦٥.	الجوهر الثمين بمعرفة دول المرابطين د.على محمد الصلابي ط مكتبة الإيمان – المنصورة ٢٠٠٦م
٦٦.	الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر الطوائف البيرحبيب – ط١ – بيروت- ١٩٦٧م.
٦٧.	حضارة العرب غوستاف لوبون نقله إلى العربية عادل زعيتر ط٤ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه
٦٨.	الحلل السندسية لأمير شكيب أرسلان- منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.
٦٩.	الحلة السيراء لابن الآبار لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الآبار د.حسين مؤنس ط١ القاهرة
٧٠.	الخطط المقريزي لأحمد بن على بن عبدالقادر – ط١- بيروت- دار الكتب العلمية- ١٩٩٨م.
٧١.	خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي دار الكتاب الإسلامي – القاهرة

الرقم	المصدر
٧٢.	خلاصة الذهب المسبوك عبدالرحمن بن سنبط – مكتبة المثنى – بغداد.
٧٣.	الخوارج والمرجئة للفيومي
٧٤.	دراسات في الحضارة الإسلامية الفكر الإسلامي في متابعة وآثاره د. أحمد سلبي ط٢ – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ١٩٦٦م
٧٥.	الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة – أحمد على بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ﻫ تحقيق محمد سيد جاد الحق دار الكتب الحديثة – مطبعة المدني القاهرة
٧٦.	الدليل البيلوجرافي في القيم الثقافية العربية الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م
٧٧.	دول الطوائف حتى الفتح المرابطي – محمد عبدالله عنان – ط١ – القاهرة ١٩٦٠م
٧٨.	دول المرابطين – على محمد الصلابي
٧٩.	الدويلات الإسلامية في المغرب د. محمد كمال شبانه ط١ – دار العالم العربي ٢٠٠٨م
٨٠.	الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي– تحقيق محمد الأحمدي أبوالنور – دار التراث القاهرة.
٨١.	الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٢م
٨٢.	الزيل والتكملة لأبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالملك الأنصاري المراكشي– تحقيق إحسان عباس– دار الثقافة – بيروت– ١٩٦٥م.
٨٣.	الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل
٨٤.	رسائل الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ – تحقيق عمر أبوالنصر– بيروت– مطبعة النجوى– ١٩٦٩م.
٨٥.	رسالة إلى أهل التغريبات الأبواب أبوالحسن الأشعري تحقيق عبدالله شاكر محمد الجنيدي طبعة ١٤١٣ﻫ
٨٦.	رسالة الحسن لابن عبدون – ليفي بروفسال القاهرة طبعة ١٩٥٥م
٨٧.	روض الغرطاس لابن أبي زرع

الرقم	المصدر
٨٨.	الروض المعطار في خبر الأقطار – محمد عبدالمنعم الحميري – تحقيق إحسان عباس– ط٢– بيروت– ١٩٨٤م.
٨٩.	ريحانة الألباء وزهرة الحياة – شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي تحقيق الفتاح محمد الحلو مطبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة ١٩٦٧م
٩٠.	سراج الملوك للطرطوشي– القاهرة – المطبعة المحمودية التجارية– ١٣٥٤هـ– ١٩٣٥م.
٩١.	سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون– جمال الدين بن نباتة المصري– تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم– دار الفكر العربي– مطبعة المدني – القاهرة– ١٩٦٤م.
٩٢.	سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ط٢ تونس دار سحنون للطباعة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م
٩٣.	السير للشماخي (أحمد بن سعيد بن عيسى الشماخي) صححه محمد زكريا الباروني– ط١٣٠١هـ – ١٨٨٤م.
٩٤.	سير أعلام النبلاء – أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق شعيب الأرناؤوط ط٧ بيروت مؤسسة الرسالة ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م
٩٥.	شجرة النور الزكية – محمد بن محمد مخلوف – تحقيق عبدالمجيد خيالي– ط١– بيروت – دار الكتب العلمية – ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.
٩٦.	شذرات الذهب في أخبار من ذهب عبدالحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ط١ بيروت دار الكتاب العلمية ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م
٩٧.	شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار بن أحمد المعتزلي – تحقيق د. عبدالكريم عثمان– ط١– مكتبة وهبة القاهرة– ١٣٨٤هـ.
٩٨.	شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية أحمد بن عبدالحليم بن العباس شرح محمد صالح العثيمين خرج أحاديث سعد بن فواز ط٥ – دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

الرقم	المصدر
٩٩.	شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسي تحقيق أشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم ط١ مكتبة طبرية – الرياض ١٩٩٢م
١٠٠.	شرح نهج البلاغة – لابن أبي الحديد – بيروت– منشورات مكتبة الحياة.
١٠١.	الشيعة الزيدية للفيومي
١٠٢.	صبح الأعشى في صناعة الإنشاء – أبي العباس أحمد بن على القلقشندي – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر القاهرة
١٠٣.	صحيح مسلم للإمام أبوالحسين مسلم بن الحجاج – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ط٢– تونس– دار سحنون للطباعة والنشر ١٤١٣هـ–١٩٩٢م.
١٠٤.	الصراع على أشبيلية بين الفونسو السادس ويوسف بن تاشفين ٤٠٤–٤٨٤هـ. فارس بور مجلة دراسات تاريخية– ١٩٩٩م.
١٠٥.	صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار – أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحميري نشر ليفي بروفنسال.
١٠٦.	الصلة لابن بشكوال– أبي القاسم خلف بن عبدالملك المتوفى ٥٧٨هـ– الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.
١٠٧.	الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة– لابن قيم الجوزية اختصره الشيخ الفاضلي محمد بن علي الموصلي.
١٠٨.	صورة الأرض لابن حوقل – بيروت– مكتبة دار الحياة.
١٠٩.	ضحى الإسلام أحمد أمين ط١٠– دار الكتاب العربي.
١١٠.	طبقات الأمم لابن صاعد نشره الأب لويس شيخو اليسوعي– بيروت– المكتبة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين – ١٩١٢م.
١١١.	طبقات الشافعية لأسنوي عبدالرحيم بن علي جمال الدين الأسنوي، كمال يوسف الحوت – ط١– بيروت– دار الكتب العلمية – ١٣٨٧هـ.

الرقم	المصدر
١١٢.	طبقات الشافعية للسبكي تقي الدين أبي نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي ٧٧١هـ- تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة.
١١٣.	الطبقات الكبرى محمد بن سعد كاتب الواقدي- بيروت – دار صادر للطباعة- ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.
١١٤.	طبقات المشايخ بالمغرب- أبي العباس أحمد بن سعيد بن سليمان الدرجيني – تحقيق وطبع إبراهيم كلاي ١٩٧٤م.
١١٥.	طبقان المفسرين- للسيوطي عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي- المتوفى ٩١١هـ- ط١- القاهرة – مكتبة وهبة – ١٩٧٦م.
١١٦.	طبقات المفسرين للداودي شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي تحقيق علي محمد عمر ط١ – مطبعة الاستغلال الكبرى- القاهرة- ١٩٧٢م.
١١٧.	طوق الحمامة على الألف والألاف- لأبي محمد علي بن أ؛مد بن سعيد بن حزم الظاهري تحقيق حسن كامل الصيرفي، قدم له إبراهيم الأنصاري- المكتبة التجارية الكبرى- مصر .
١١٨.	العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لابن خلدون عبدالرحمن بن محمد المتوفى ٨٠٨٥هـ- بيروت- دار الكتاب اللبناني.
١١٩.	عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس- محمد عبدالله عنان- القسم الأول عصر المرابطين ط٩- القاهرة- ١٩٦٤م.
١٢٠.	العلم الشامخ في تفضيل الحق على الأباء والمشايخ ويليه كتاب الأرواح النوافح ط١- طبع على نفقة جماعة من الحجازيين والسوريين سنة ١٣٢٨هـ.
١٢١.	غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري- ط١- مكتبة الخانجي – القاهرة- ١٣٥١هـ-١٩٣٢م.
١٢٢.	الغوامض والمبهمات – لأبي القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود بن بشكوال – تحقيق محمود مقراوي – ط١- دار الأندلس الخضراء -١٩٩٤م.

الرقم	المصدر
١٢٣.	فتوح أفريقيا والأندلس- عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم- تحقيق عبدالله أنيس الطباع- بيروت للطباعة والنشر- ١٩٦٤م.
١٢٤.	فتوح مصر وأخبارها عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم طبع في مدينة ليون- مطبعة بريل ١٩٣٠- منشورات مكتبة المثنى بغداد.
١٢٥.	ابن عربي حياته ومذهبه - ترجمة عبدالرحمن بدوي- مكتبة الأنجلو المصرية- ١٩٦٥م.
١٢٦.	الفتوحات المكية - لابن عربي تحقق عبدالرحمن حجي راجعة د.إبراهيم مذكور- القاهرة- ١٩٧٤.
١٢٧.	الفرق الإسلامية من خلال الكشف والبيان- للقلهاني أبي سعيد محمد بن سعيد الأزدي حققه محمد بن عبدالجليل - مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية الاجتماعية، تونس ١٩٨٤م.
١٢٨.	الفرق بين الفرق- عبدالقاهر بن طاهر البغدادي- طبعة ١٩٤٨م.
١٢٩.	فرق الشيعة للنوبختي محمد بن الحسن بن موسى استانبول مطبعة الدولة - ١٩٣١م.
١٣٠.	الفصل في الملل والأهواء والنحل- لابن حزم أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد- ط٢- دار المعرفة بيروت- ١٣٩٥هـ.
١٣١.	فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام، للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، تحقيق محمد أبوالأجفان- الدار العربية للكتاب ١٩٨٥.
١٣٢.	الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للحجي - تحقيق سعيد الأرناؤوط - المدينة المنورة - ١٩٧٧م.
١٣٣.	الفهرست لابن النديم محمد بن إسحاق بن النديم- دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت- ١٣٩٨هـ.
١٣٤.	فوات الوفيات محمد بن شاكر الكتبي- تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد- دار السعادة - مصر - ط١- سنة ١٩٥١م.

الرقم	المصدر
١٣٥.	وفي تاريخ فتح المغرب والأندلس د. أحمد مختار العبادي- دار النهضة العربية- القاهرة- ١٩٧٨م.
١٣٦.	قادة فتح المغرب العربي اللواء الركن محمود شيت خطابي- ط٧- دار الفكر للطباعة والنشر - القاهرة- ١٩٨٤م.
١٣٧.	قانون التأويل أبي بكر شبيلي - دراسة محمد سليمان- جدة- ط١- ١٩٨٦م.
١٣٨.	القضايا الكبرى في الإسلام عبدالمتعال الصعيدي- ط٢- القاهرة- ١٩٦٠م.
١٣٩.	الكامل في التاريخ عزالدين أبي الحسن علي بن أبي مكرم محمد بن عبدالكريم عبدالواحد المعروف بابن الأثير- دار صادر للطباعة ونشر- بيروت- ١٩٦٥م.
١٤٠.	الكواكب الدرية للمناوي تحقيق محمد أديب الجادر - ط١- بيروت- دار صادر- ١٩٩٩م.
١٤١.	لسان الميزان- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت٨٥٢- ط١- مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٣١هـ.
١٤٢.	المجمل في تاريخ الأندلس لعبدالحميد العبادي جمع مادته أحمد إبراهيم الشريف - راجعه أحمد مختار العبادي - ط٢- المكتبة التاريخية- ١٩٦٤م.
١٤٣.	مجموع الرسائل- أحمد بن عبدالحليم بن العباس بن تيمية- تحقيق محمد رشاد سالم - ط١- مطبعة المدني- القاهرة- ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
١٤٤.	مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع- صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي المتوفى ٧٣٩هـ- تحقيق على محمد البجاوي - ط١- دار إحياء الكتب العربية -القاهرة- ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.
١٤٥.	مروج الذهب ومعادن الجوهر- للمسعودي علي بن الحسين بن علي المسعودي، ٣٤٦هـ- وتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد- ط٤- مطبعة الساعدة مصر سنة ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
١٤٦.	المسالك والممالك - للاصطخري- إبراهيم بن إسحاق الفارسي الكرخي تحقيق محمد جابر عبدالعال- الجمهورية العربية المتحدة- وزارة الثقافة والإرشاد القومي- القاهرة- ١٩٥٨م.
١٤٧.	المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل - تحقيق د.بدرالدين جتين آر ط٢-

الرقم	المصدر
	تونس- دار سحنون للطباعة والنشر- ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
١٤٨.	مشاهير علماء الأمصار محمد بن حبان البستي صححه م.فلا يشهمر القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م.
١٤٩.	مظاهر اقتصادية في عصر المرابطين والموحدين بالأندلس والمغرب د.عبدالله محمد حسين- مجلة آفاق للثقافة التراث- ص٢٨.
١٥٠.	المعارف – أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري- تحقيق د.ثروت عكاشة – دار المعارف – القاهرة- ط٢- ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.
١٥١.	المعجب في تلخيص المغرب- عبدالواحد المراكشي- تحقيق محمد سعيد العريان – طبعة القاهرة- ١٩٦٣م.
١٥٢.	المعجم الإسلامي إعداد أشرف طه أبوالدهب – ط١- القاهرة- دار الشروق- ٢٠٠٢م.
١٥٣.	معجم البلدان ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي- ط٣ – بيروت- دار صادر للطباعة- ٢٠٠٧م.
١٥٤.	معجم الفلاسفة جورج طرابيشي – ط٣- دار الطليعة- بيروت.
١٥٥.	معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع- للوزير الفقيه أبي عبيدالله عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي تحقيق مصطفى السقا.
١٥٦.	معجم المطبوعات العربية والمعربة – يوسف اليان سركيس مطبعة سركيس – القاهرة- ١٩٢٨م.
١٥٧.	معجم المؤلفين تراجم مضعي الكتب العربي- عمر رضا كحالة – ط١- بيروت- مؤسسة الرسالة – ١٤١٣هـ-١٩٩٤م.
١٥٨.	المغرب بذكر بلاد أفريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري- مطبعة المثنى بغداد.
١٥٩.	المغرب عبر التاريخ تقديم محمد علي الفاسي- ط١- طبع ونشر دار السلمي- ١٩٦٥م.

المصدر	الرقم
المفيد في تحرير أحاديث المنهاج والمختصر – لبدرالدين الزركشي.	١٦٠.
مقالات الإسلاميين الأشعري– تحقيق محمد محي الدين – ط١– مكتبة النهضة المصرية– ١٩٥٠م.	١٦١.
المقفى تقي الدين أحمد بن عبدالقادر المقريزي– تحقيق واختيار محمد اليعلاوي – بيروت– دار الغرب الإسلامي– ١٩٨٧م.	١٦٢.
الملل والنحل– للشهرستاني – تحقيق محمد عبدالقادر الفاضلي –ط٢– المكتبة العصرية صيدا – بيروت– ٢٠٠١م.	١٦٣.
المنجد في اللغة والإعلام – مجموعة من اللغويين العرب – بإشراف لويس معلوف– ط٣٤– القاهرة – دار الشروق – ١٩٩٤م.	١٦٤.
منهاج السنة النبوية– أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني تحقيق د. محمد رشاد سالم– ط٢– الناشر مكتبة ابن تيمية– القاهرة– ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م.	١٦٥.
المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغريردي الاتابكي تحقيق أحمد يوسف نجاتي – ط١– القاهرة– مطبعة دار الكتب المصرية– ١٩٥٦م.	١٦٦.
موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها: شاكر مصطفى – ط١– دار العلم للملايين– بيروت– ١٩٩٨م.	١٦٧.
الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس أحمد بن سودة– ط١– دار الأمير – بيروت– ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.	١٦٨.
موسوعة علماء العرب والمسلمين– محمد فارس – ط١– دار الفارسي للنشر والتوزيع– ١٩٩٣م.	١٦٩.
موسوعة المورد العربية– منير البعلبكي – ط١– بيروت– دار العلم الملايين – ١٩٩٠م.	١٧٠.
ميزان الاعتدال في نقد الرجال– أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي	١٧١.

الرقم	المصدر
	المتوفى ٨٥٢هـ تحقيق علي محمد البجاوي- دار إحياء الكتب العربية- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه- القاهرة.
١٧٢.	ميلاد العصور الوسطى – ٣٩٥- ٨١٤هـ- وسانت. ل.ب – تحقيق عبدالعزيز توفيق راجعه السيد الباز العريني- عالم الكتب – ١٩٦٧م.
١٧٣.	النبوغ المغربي في الأدب العربي- محمد عبدالله كنون – ط٢- دار الثقافة.
١٧٤.	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغربردي الاتباكي – ط١- مطبعة دار الكتب المصرية – ١٩٣٥م.
١٧٥.	نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لأبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
١٧٦.	نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام- د.علي سامي النشار.
١٧٧.	نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الإدارية- عبدالحي الكتاني- دار الكتاب العربي- بيروت – لبنان.
١٧٨.	نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي- محمد يوسف موسى.
١٧٩.	نظم الجمان لابن القطان لأبو علي حسن بن أبي الحسن علي بن محمد تحقيق د.محمود علي مكي- طبعة الرباط- المغرب.
١٨٠.	نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب لابن الخطيب – تحقيق عبدالحميد العبادي راجعه عبدالعزيز الأهواني- القاهرة- دار الكتاب العربي.
١٨١.	نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني- تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد- بيروت- دار الكتاب العربي.
١٨٢.	نيل الابتهاج التطريز الديباج- لأحمد بابا التنبكتي – تحقيق علي عمر – ط١- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ٢٠٠٤م.
١٨٣.	هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين – إسماعيل باشا البغدادي- طبعة استانبول- ١٩٥١م.

المصدر	الرقم
الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي- ت٧٦٤هـ- تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى- ط١- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.	١٨٤.
وصف أفريقيا الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بالليون الأفريقي ترجمة عن الفرنسية محمد حجي – ط٢- دار الغرب الإسلامي – بيروت- ١٩٨٣م.	١٨٥.
وقعة صفين – نصر بن مزاحم – تحقيق عبدالسلام محمد هارون- ط٢- المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع – ١٣٨٢هـ.	١٨٦.
وفيات الأعيان وأنباء الزمان- لأبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان – تحقيق يوسف علي الطويل- د. مريم قاسم طويل – ط١- بيروت- دار الكتب العلمية- ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.	١٨٧.

فهرسة الموضوعات